الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتعلـيـم الـعـالي والبـحـث الـعلـمــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة مصطفى سطمبولي
معسكر

Université Mustapha Stambouli
Mascara

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

مخبر:الدراسات التاريخية والأثرية لشمال إفريقيا

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

تخصص: التاريخ الوسيط

فرع: علوم إنسانية

العنوان:

إسهامات علماء المغرب الأوسط المجاورين في الحياة العلمية في بلاد الحجاز

تقديم الطالبة:لزرق ريمة يوم:11/11/2025

لجنة المناقشة:

الرقم	الإسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
01	كرارز فوزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	رئيسا
02	بوشريط أمحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	مشرفا ومقررا
03	صف الدين محي الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا مناقشا
04	بودالية تواتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا مناقشا
05	مغزاوي مصطفى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
06	هواري رضوان	أستاذ محاضر –أ–	جامعة سيدي بلعباس	عضوامناقشا

السنة الجامعية: 2026/2025

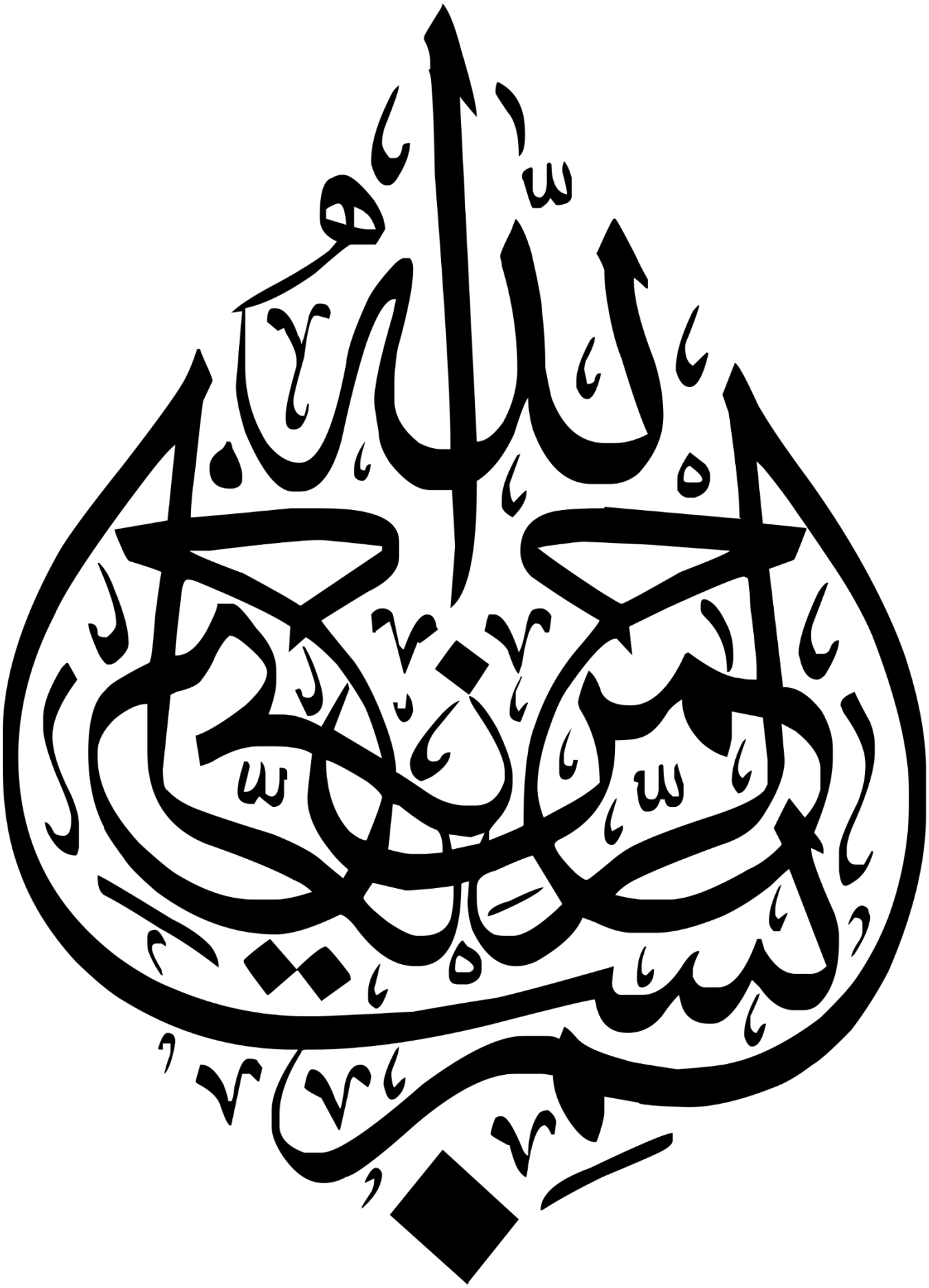
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

﴿يَرْفَعِ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُم والَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

سورة المجادلة، الآية 11.

الإهداء

من سيقول: أنا لها، سيمضي إليها حتى ينالها.

ستطول الرحلة،

وسيتأخر الحلم،

لكن الطريق—وإن خلا من التسهيلات—سيقود إلى الوصول.

الحمد الله حباً وشكراً وامتنانا

إلى ملاكي الطاهر، وقوّتي بعد الله، داعمتي الأولى والأبدية "أمي" أهديكِ هذا الإنجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة؛ لأنّ الله قد اصطفاك لي من البشر أمّا يا خير سند وعوض.

إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل "أبي"

إلى من قيل فيهم سنشدّ عضدك بأخيك

إلى من مدّ يده دون كلل ولا ملل وقت ضعفي "أخي" أدامك الله ضلعا ثابتا لي.

إلى من أمنتْ بقدراتي "أختي الكبرى"

إلى إخوتي الصغار حبّا وكرما

إلى كل من وسعهم ذكري ولم تسعهم أطروحتي للذكر من أقارب وأصدقاء وزملاء في حياتي

وإلى قارئ هذه السطور،

بقلبٍ ممتن وفخرٍ عميق، ابنتكم وأختكم وصديقتكم وزميلتكم وطالبتكم لزرق ريمة.

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :(وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ).

أحمد الله عزوجل الذي ألهمني الصبروالثبات وأمدّني بالقوة والعزم لمواصلة مشواري الدراسي وتوفيقه لي لإنجازهذا البحث، فنحمدك اللهم ونشكرك على نعمتك وفضلك ونسألك البروالتقوى ومن العمل ما ترضى والسلام على حبيبه وخليله الأمين عليه أزكى الصلاة و أتم التسليم.

كما أتوجّه بجزيل الشكروالتقديروأصدق عبارات الامتنان والثناء إلى الأستاذ الدكتوربوشريط أمحمد لتفضّله بالإشراف على هذا البحث وسعة صدره وصبره وعلى حرصه أن يكون هذا العمل في صورة كاملة لا يشوبه أيّ نقص، راجية من الله أن يجزيه عني خيرالجزاء جاعلا ذلك في ميزان حسناته يوم الدين.

و أثني بالشكرإلى الأستاذ نويري ساكرالذي أفادني كثيرا ولم يبخل عليّ بالنصح والتوجيه.

وأخصّ بالشكرلجنة التكوين في طور الدكتوراة والعاملين في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيةبجامعة معسكرمن أساتذة وإداريين على ما يبذلونه من جهود دؤوبة، وحرصهم الدائم على توفيربيئة أكاديمية محفّزة وداعمة للطلبة والباحثين، متمنيةً لهم مزيداً من التوفيق والسداد.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكرالخاص إلى زملائي وزميلاتي طلبة العلم، والشكرموصول إلى اللجنة الموقّرة التي ستناقشني.

وإلى كل من أسدى إليّ نصحاً وقدّم لي المساعدة أوحتى مجرد السؤال عن سيرالبحث، وأسأل الله أن يهبهم من نعمه.

مقدّمة

كان الحضور العربي الإسلامي لبلاد المغرب قاطبة والمغرب الأوسط بشكل خاص عبارة عن نقطة تحول بارزة في تاريخ المنطقة، لما تحمله من مظاهر دينية وحضارية وعلمية،فرغم بعض المواجهات التي دارت بين ساكنة المغرب الإسلامي والعنصر المشرقي الوافد، حيث عُني هؤلاء ممن وطئت أقدامهم بلاد المغرب الاسلامي عناية شديدة بنشر الدين الإسلامي واللّغة العربية، وجعلهما عنصرين أساسيين في الحياة اليومية والثقافية للسكان ومع ترسّخ هذه القيم: الدين واللّغة، بدأت تظهر حركة علمية نشطة تمثّلت في إقبال علماء المغرب الأوسط على طلب العلم خارج أوطانهم، وخاصة في المشرق الإسلامي وفي مقدّمتها بلاد الحجاز وقد كان مايعرفُ بالمجاورة أحد أشكال هذا الطلب، وذلك للتعرّف على العلوم النقلية والعقلية والأدب واللّغة والنّحو، فنجد أنه قد ظهر عدد من علماء المغرب الأوسط في الحجاز تركوا أثارا علمية واضحة.

ومما زاد الرّغبة عند علماء المغرب الأوسط على المضي قُدُما نحو البلاد الحجازية، أنّها فضاء علمي ومعرفي ممتاز، بالإضافة أيضا إلى النّهضة العلمية التي عاشتها مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة التي مكّنتها من أن تكون مقصدا للعلماء المجاورين من مختلف البلاد على مرّ العصور.

وهنا تكمن أهمية الموضوع في أنّه يعالج الإسهامات العلمية التي قدّمها علماء المغرب الأوسط ببلاد الحجاز وبيان تأثّرهم وتأثيرهم في تلك الحقبة والتعرّف على العلماء المشهورين وحتى المغمورين حسب ما توصّلتْ إليه المصادر وما أدْلَت به.

ونظرا للغموض الذي يحوط فئة المجاورين من علماء المغرب الأوسط ومدى إسهاماتهم العلمية ببلاد الحجاز طيلة الحقبة الوسيطية، وجدنا أنفسنا أمام موضوعٍ يتطلّب منّا بذل جهدٍ كبير ولاسيما أنّ الموضوع يتناول بالأساس المجاورين؛ إذ لم تهتم به الدراسات ولم ينل فيها حقّه من قِبَلِ الباحثين، إذا ما قارنّاه بالجوانب الأخرى وفي أقطار أخرى، مثل: الأندلس ومصر وبلاد الشّام، حتّى أنّ هنالك من لا يكاد يذكر أنّ علماء المغرب الأوسط قد جاوروا بمكّة

المكرّمة والمدينة المنوّرة كغيرهم، وإنّما ذكروا أسماء لبعض العلماء، فنجدهم لا يسهبون في الحديث عنهم.

أسبابُ اختيارِ الموضوعِ: وممّا دفعنا للبحث في موضوع علماء المغرب الأوسط المجاورين وإسهاماتهم العلمية ببلاد الحجاز؛ كونه من الموضوعات التي ماتزال طيّ الكتب لقلّة الدراسات فيها هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الرّغبة في معرفة ورصد المشاركات والإسهامات التي قدّمها علماء المغرب الأوسط أثناء تواجدهم في بلاد الحجاز وذلك بتقصّي أوضاعهم ووصف أماكن تواجدهم كون الموضوع يتعلّق بدراسة شريحة مهمّة من المجتمع.

كما سعينا من خلال هذا الموضوع إلى معرفة مدى الأثر العلمي الذي تركه علماء المغرب الأوسط خلال مجاورتهم ببلاد الحجاز.

أمّا فيما يخص الإطار الزمني للموضوع، فقد أُعْتُمِدَتْ الحقبة الوسيطية بكامل امتدادها، إذ إنّه لو حُدِّدَ الموضوع بعدد معيّن من القرون، فإنه لا يتيح لنا حصر فئة المجاورين وتصنيفهم بدقّة، كما أنّ هذا التحديد الزمني الواسع يهدف إلى تجنّب تضييق نطاق الدراسة؛ مما قد يؤدّي إلى نقص في المعطيات المتوفرة، وهو ما قد يحدّ من آفاق البحث ويعيق تحقيق أهدافه العلمية.

دون أن ننسى الرغبة الشّخصية في دراسة تلك العلاقة الموجودة بين علماء المغرب الأوسط والحجاز التي تعدّ المنبت الأوّل لظهور العلوم الدينية وفضل أستاذي المشرف الذي كان أوّل من وجّهني بعد اختياري للموضوع الموسوم بـــ:"**إسهامات علماء المغرب الأوسط المجاورين في الحياة العلمية ببلاد الحجاز**"، أيْ باختصار تناولنا في هذه الأطروحة جهود علماء المغرب الأوسط المجاورين العلمية ببلاد الحجاز طيلة الحقبة الوسيطية.

الإشكاليةُ المطروحةُ: إذا تمكّن علماء المغرب الأوسط من ترك بصماتهم في جلّ العلوم ببلاد الحجاز من القرن الثالث الهجري إلى غاية القرن التاسع الهجري، فقد كان

للمجاورين نصـــيبهم فيها؛ حيث نجدهم قد تبوّئوا مكانة مهمّة بفضـــل ما قدّموه من اجتهادات ذات أثر فعّال، ولمعالجة هذا الموضوع كان لابد من طرح إشكالية رئيسة وهي:

– هل كانت إسهامات علماء المغرب الأوسط العلمية ذات أثر ملموس خلال حقبة مجاورتهم لبلاد الحجاز؟ وتتفرّع عنها بعض التساؤلات وهي كالآتي:

- هل اشتهر علماء المغرب الأوسط ببعض العلوم إبّان حقبة مجاورتهم؟
- إن كانت هناك إسهامات في بعض العلوم، ففيمَ تتمثّل جهود العلماء المجاورين؟
- هل يوجد من المجاورين من ألّف في العلوم، فخُلِّدت أسماؤهم؟
- ماهو المنهج الذي اتّبعه علماء المغرب الأوسط المجاورين في دراستهم العلمية؟ أو بالأحرى، هل كان للمجاورين منهج خاص بهم اختلفوا فيه عن علماء الحجاز؟

وفيما يتعلق **بالدراسات السابقة** المتخصّصة التي عالجت هذا الموضوع، فلم نتوصل إلى دراسة مستقلّة، سوى بعض المقالات وبعض المباحث في بعض الدراسات وفي بعض الرسائل الجامعية، مثل: دراسة عبد الرؤوف زواري أحمد الموسومة ب: العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7–9هـ/ 13–15م، وهي دراسة مهمّة جدّا تؤرّخ للرّحلات العلمية التي قام بها علماء المغرب الأوسط، حيث أُقِيمَتْ من خلالها علاقات علمية بين البلدين–المغرب الأوسط والحجاز– بالإضافة إلى العوامل الطاردة والجاذبة للعلماء من كلا القطرين، إلا أنّ صاحبها كان قد عرّج على فئة المجاورين بصورة عابرة لم تفِ هاته الفئة من العلماء حقّهم.

وثَمَّ أيضا دراسة لعبد العزيز بن راشد السنيدي معنونة بـ: المجاورون في مكّة وأثرهم في الحياة العلمية، وهي عبارة عن بحث مقدّم إلى ندوة مكّة المكرّمة عاصمة الثقافة الإسلامية

سنة 2005م والذي تناول المجاورين من المغرب الأوسط ببلاد الحجاز في بعض صفحاته فقط دون الإسهاب في ذكر أهم إسهاماتهم في الفضاء العلمي والحضاري بالحجاز.

ومن المقالات أيضا نجد: عامر مريقي وإبراهيم بحّاز: دور علماء المغرب الإسلامي في بلاد الحجاز، وهو مقال صادر عن مجلّة الأحياء تناولا جانبا مهّما من ظاهرة التواصل العلمي بين المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط؛ حيث ركّزا على أبراز إسهامات العلماء الذين شدّوا الرحال إلى الحجاز طلبا للعلم أو أداء للحج، غير أنّ هذه الدراسة جاءت شاملة لمجمل علماء المغرب الإسلامي دون تخصيص لمنطقة المغرب الأوسط أو التمييز بين المجاورين والمارّين.

ومقال لعبد الرّحمن الأعرج: دور رحلات الحج في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق القرن8هـ/14، وهو مقال نشر في مجلّة الحكمة تناول فيه الكاتب الأبعاد الحضارية والعلمية لرحلات الحج المغاربية مبرزا كيف تحوّل الحج من أداء شعيرة دينية إلى جسر للتواصل العلمي والثقافي بين ضفتيْ العالم الإسلامي، ورغم أنّ الدراسة تميّزت برؤية شمولية للتواصل الثقافي إلا أنها لم تفصل في الجانب الخاص بعلماء المغرب الأوسط أو إسهام المجاورين منهم في الحياة العلمية للحجاز؛ مما يجعلها تمثّل إطار مرجعيا عاما يمكن البناء عليه.

- **أمّا المنهج المتّبع:** فقد اتّبعنا المنهج التاريخي التحليلي حسب ما توفّره المادة التاريخية وهو المناسب لذلك، من منطلق كونهيجمع المادة ويحلّلها، ثم ينقد الظاهرة ويصدر الأحكام، كما استعملنا أيضا استقراء واستنباط مضامين الكتب وتصنيفها وفقالما تقتضيه طبيعة الموضوع مستهدفين في ذلك إبراز جهود العلماء مع الاستعانة بالمنهج المقارن وتركيب هذه الجزئيات لتعطي في الأخير نسقاً تاريخياً متماسكا، كما استعملنا أداة الإحصاء في بعض أجزاء البحث للتعرّف على أعداد ونسب العلماء المجاورين طيلة مرحلة الدراسة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع من خلال ما جمعناه من معطيات إلى تقسيم هذه الدراسة إلى مقدّمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

بدأت الدراسة بتمهيد للموضوع للوصول إلى عمق التحليل، حيث جاء الفصل التمهيدي بعنوان:"**الحجاز والمجاورة: (المصطلحات والمفاهيم)**، وقد شمل **المبحث الأول: الجغرافية التاريخية لبلاد الحجاز** ثلاث نقاط رئيسة: مفهوم الحجاز من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، والجغرافيا التاريخية للمنطقة، والأهمية العلمية لبلاد الحجاز خلال مرحلة الدراسة.

وتناول المبحث الثاني من هذا الفصل موضوع "**المجاورة ومجال المغرب الأوسط**"، حيث عالج المفاهيم الأساسية للمجاورة خلال مرحلة الدراسة من الجانبين اللغوي والاصطلاحي إلى جانب بحث مدّة المجاورة، كما تطرق إلى مواقف العلماء منها، واختُتم بتحليل العوامل والدوافع الكامنة وراء المجاورة.

جاء المبحث الثالث بعنوان **مجال المغرب الاوسط** والذي عالج الإشكالية المرتبطة بجغرافية المغرب الأوسط .

فيما جاء الفصل الأوّل معنُونا بـ "**علماء المغرب الأوسط المجاورون لمكّة المكرّمة من القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجريين (9–15م)**"، وقد قُسِّم إلى مبحثين، خُصِّص **المبحث الأوّل** لدراسة علماء المغرب الأوسط المجاورين بمكّة المكرّمة خلال القرون الثالث والرابع والخامس والسادس الهجريّة (9–12م)، واشتمل على دراستين؛ تناولت الأولى تحليل توزيع العلماء من حيث أعدادهم وحواضرهم، بينما خُصِّصت الثانية لبحث أسباب تأخّر الرحلة العلميّة خلال هذه القرون.

أمّا **المبحث الثاني**، فعُنوِنَ ب"**علماء المغرب الأوسط المجاورون بمكّة المكرّمة خلال القرون السابع والثامن والتاسع الهجريّة (13–15م)**"، حيث تتبّعنا فيه العلماء

المجاورين ببلاد الحجاز ضمن مجموعات قُسِّمت بحسب القرون، وقد أبرزنا في كل مجموعة الموطن الأصلي لكلّ عالم، إلى جانب توجّهاته العلميّة التي تميّز فيها، مع توضيح ذلك من خلال دراسة إحصائية .

تناول الفصل الثاني موضوع **علماء المغرب الأوسط المجاورين بالمدينة المنوّرة خلال القرون السابع والثامن والتاسع الهجريّة (13–15م)**، وبناءعلى ذلك، قُسِّم إلى مبحثين، جاء المبحث الأوّل بعنوان "**علماء المغرب الأوسط المجاورون للمدينة المنوّرة خلال القرون السابع والثامن والتاسع الهجريّة (13–15م)**"، حيث أُسهب فيه الحديث عن علماء المغرب الأوسط الذين آثروا مجاورة المدينة المنوّرة، مع إبراز دورهم في ازدهار الحركة العلميّة، والكشف عن أبرز الأسماء التي أسهمت في بلورتها وتنشيطها طوال العصر الوسيط.

أمّا المبحث الثاني، المعنون بـ "**دراسة مقارنة بين علماء المغرب الأوسط المجاورين بالمدينة المنوّرة ومكّة المكرّمة خلال القرون السابع والثامن والتاسع الهجريّة (13–15م)**"، فقد خُصِّص لدراسة إحصائيّة تحليليّة لمجموع علماء المغرب الأوسط المجاورين بكلٍّ من المدينة المنوّرة ومكّة المكرّمة، من حيث الحواضر التي انطلقوا منها، وكذلك تخصّصاتهم العلميّة مع التطرّق بشيء من التفصيل إلى أماكن المجاورة.

كان من الضروري أن يحمل الفصل الثالث عنوان "**جهود علماء المغرب الأوسط المجاورين بالحجاز**"، وقد قُسِّم إلى مبحثين:

جاء المبحث الأول بعنوان "إسهامات علماء المغرب الأوسط المجاورينبمكة المكرمة في العلوم النقلية والعقلية"، وقد آثرنا فيه التركيز على أبرز العلماء المجاورين، حيث قدّمنا عرضا وافيا لنشأتهم العلمية، وشيوخهم، وتلامذتهم، ثم تناولنا مؤلفاتهم مع الإشارة إلى بعض

آرائهم العلمية، واســـتُهلّ الحديث بإســـهامات علماء المغرب الأوســـط في العلومالنقلية بمكةالمكرمة: كالفِقه والحديث والقراءات والتفسير، ثم أُتبِع ذلك بدراسة إسهاماتهم في العلوم العقلية مع الوقوف عند أبرز أعلام المجاورين في هذا المجال.

أمّا المبحث الثاني، فقد جاء بعنوان "**إســـهامات علماء المغرب الأوســـط المجاورين بالمدينة المنورة في العلوم النقلية والعقلية**"، حيث خُصِّص للحديث عن جهودهم في العلوم النقلية بالمدينة المنورة، وبما أنّ إسهامات المجاورين في العلوم العقلية قد عُولِجت في سياق الحديث عن مكة المكرمة، فقد اقتضى المنهج العلمي الإشارة إلى نشاطهم في هذا المجال بالمدينة المنورة أيضـــا، قبل أن نختتم المبحث بتناول جهود علماء المغرب الأوســـط في الدراسات الأدبية بالمدينة المنورة.

وأخيرا **خاتمة:** استعرضنا فيها أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال إسهامات علماء المغرب الأوسط أثناء مجاورتهم لبلاد الحجاز خلال الحقبة الوسيطية.

دراسةٌ نقديةٌ للمصادرِ والمراجعِ المعتمدةِ:

للوصول إلى هذا العمل، اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع، إضافة إلى المقالات والدوريات والملتقيات العلمية التي لها ارتباط بموضوع البحث، وأهمّ مصادر البحث المعتمدة هي:

أولًا: كتبُ التراجمِ: وهي المصادر الأكثر استعمالافي مثل هذه البحوث التي تعتني بتراجم العلماء الذين خاضوا في علوم شتّى؛ إذ شكّلت هذه الأخيرة قاعدة أساسية ومنطلقاً للبحث، ونظرا لأنّنا أمام أسماء أعلام كان لابدّ من إجراء جرد وفحص في مضانّها لاستخراج أكبر عدد من الأسماء ومن أهمها نذكر:

1: كتبُ التراجمِ المغربيةِ:

كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء ببجاية لأبي العباس أحمد بن يحيى الغبريني (ت 704هـ/1304م) من أبرز المصنفات التراجمية التي أرّخت للحياة العلمية في المغرب الأوسط، وقد ألّفه أحد أعلام بجاية وقضاتها ومؤرّخيها في القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري، ويُعد الغبريني شاهدا مباشرا على ازدهار الحركة العلمية ببجاية، فجمع في هذا الكتاب تراجم علمائها وأعيانها، موثقا بذلك مكانة المدينة بوصفها أحد أهم المراكز العلمية في الغرب الإسلامي، ويمثّل هذا الكتاب وثيقة تاريخية وعلمية بالغة الأهمية، لما يتضمّنه من معطيات دقيقة عن النخبة العلمية ببجاية، كما يعكس شبكة العلاقات العلمية التي ربطت علماء المدينة بمراكز العلم في المغرب والأندلس وإفريقية، إضافة إلى الحجاز والمشرق الإسلامي، وقد أورد الغبريني تراجم لعلماء رحلوا في طلب العلم، أو جاوروا بالحرمين الشريفين، أو كانت لهم صلات علمية مباشرة بشيوخ المشرق، مبرزاً أشكال التفاعل العلمي القائمة على الرحلة، والسماع، والإجازة، والتدريس، وتتجلّى القيمة العلمية للكتاب في هذه الدراسة في كونه لا يقتصر على حصر التراجم المحلية فحسب، بل يُبرز دور علمائها في نقل المعرفة وتداولها بين المغرب الأوسط وسائر الأقاليم الإسلامية، ويُعدّ هذا المصدر من أهم ما يمكن الاعتماد عليه لتتبع علماء بجاية، ورصد مساراتهم العلمية، وصِلاتهم بالمراكز العلمية الكبرى، وإسهاماتهم في التعليم والقضاء والتأليف.

الديباج المُذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهبلابن فرحون(ت799هـ/1396م) من أهم كتب التراجم في المدرسة المالكية؛ إذ جمع فيه مؤلّفه تراجم نخبة من العلماء الذين أسهموا في ترسيخ المذهب، ويكتسب الكتاب قيمته من ثراء مادته العلمية ودقّة منهجه في عرض سير العلماء مع بيان شيوخهم وتلامذتهم ومؤلفاتهم كما يقدّم رؤية واضحة لمسار تطوّر المذهب المالكي وانتشاره في الحجاز والمغرب والأندلس، ويبرز في هذا المصنّف الدور الكبير الذي لعبه علماء المغرب الإسلامي، خصوصا في ترسيخ المرجعية المالكية بالمغرب الأوسط، وقد

أصبح الكتاب مرجعا لا غنى عنه للباحثين، نظرا لاعتماد المؤرّخين عليه في تدوين سير العلماء، ويمتاز أسلوبه بالبساطة والوضوح؛ ممّا جعله نموذجا في كتب التراجم، ولذلك ظلّ الديباج المُذهَّب شاهدا على الحيوية العلمية التي عرفها المذهب المالكي في العصر الوسيط في القطرين.

2: كتبُ التراجمِ المشرقيةِ:

كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي(ت832هـ/1429م) يُعدّ واحدامن أهم المصادر التي تناولت تاريخ نزلاء الحجاز من كلّ الأقطار، والملاحظ أنّ الكتاب يتناول بصورة خاصّة وواضحة المجاورين بمكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة فقط دون البلاد الأخرى في الحجاز، وتمثّلت الاستفادة منه في الفصل الأول والثاني والثالث من خلال ذكر العلماء والترجمة لهم ما يؤكّد بصورة مباشرة اهتمام العلماء من المغرب الأوسط بمقدّساتهم الدينية.

كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1449م) من أبرز المصنّفات في مجال التراجم والتاريخ العلمي في العصر المملوكي، وقد ألّفه أحد أعلام القرن التاسع الهجري وأئمة الحديث والتاريخ الذي خلّف تراثا علميا ضخما أسهم في تشكيل الكتابة التاريخية والتراجمية في العالم الإسلامي، وقد خصّص ابن حجر هذا الكتاب لرصد تراجم أعلام القرن الثامن الهجري من علماء ومحدّثين وفقهاء وأدباء وأعيان موزّعين على مختلف أقاليم العالم الإسلامي، ويمثّل هذا الكتاب وثيقة تاريخية وعلمية بالغة الأهمية، لما يتضمّنه من معطيات دقيقة عن الحياة العلمية والفكرية خلال القرن الثامن الهجري، كما يعكس شبكة العلاقات العلمية الواسعة التي ربطت بين علماء المشرق والمغرب من خلال الرحلة في طلب العلم، والمجاورة، والتحديث، والإجازة. وقد أورد ابن حجر في «الدرر الكامنة» تراجمَ لعدد كبير من العلماء الوافدين إلى

الحجاز، أو المتصلين علميا بمراكزه العلمية، ومن بينهم علماء المغرب الإسلامي، ولا سيما المغرب الأوسط، الذين شاركوا في حلقات الدرس والسماع، أو كانت لهم صلات علمية بشيوخ الحجاز ومصر والشام، ومن هنا تتجلّى القيمة العلمية للكتاب في هذه الدراسة؛إذ يُبرز طبيعة التفاعل العلمي بين علماء الحجاز وسائر الأمصار في إطار التبادل المعرفي المستمر، كما يُعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لتتبع حضور علماء المغرب الأوسط في المراكز العلمية الكبرى، ورصد مساراتهم العلمية، وصلاتهم بشيوخ عصرهم، وإسهاماتهم في التدريس والرواية خلال القرن الثامن الهجري.

ثانياً: كتبُ الطبقاتِ:

لا يخفى على القارئ أهمية هذا النوع من المصادر للبحث، لذلك استعننا ببعضها في إطار الأطروحة ومنها:

1: كتبُ الطبقاتِ المغربيةِ:

كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي(ت544هـ/1149م) من أهم المصادر التي توثّق للمدرسة المالكية ورجالاتها، يتميز الكتاب بطابعه الموسوعي الذي جمع فيه المؤلف تراجم العلماء مع تقديم رؤية شاملة لنشأة المذهب المالكي وتطوره ومدارسه، ومن أبرز ما يميّز هذا المصنّف عناية القاضي عياض بأعلام المغاربة الذين ارتحلوا إلى المشرق، وبخاصة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، طلبا للأخذ عن الإمام مالك أو كبار تلامذته، وقد أبرز المؤلف دور هؤلاء العلماء في ترسيخ المذهب في الغرب الإسلامي من خلال نقلهم الأصول العلمية مباشرة من مراكزها الأولى، وعلى مستوى المنهج، اعتمد القاضي عياض ترتيبا طبقاتيا محكما يجمع بين الرواية التاريخية والتحليل النقدي، كما امتاز بدقته في تمحيص الأخبار وتوثيق الأسانيد، مما جعل الكتاب مرجعاأساسيافي تاريخ الفقه المالكي، وقد أسهم ترتيب المداركفي إبراز الصلات العلمية

بين المشرق والمغرب مؤكّدادور العلماء المغاربة في إثراء الحركة العلمية في الحجاز وانتقال المعرفة بين الحواضر الإسلامية.

كتاب الصـــلة لابن بشـــكوال أبو القاســـم خلف بن عبد الملك بن موســـى (ت587هـ/1183م) يُعَدّ كتاب الصـلة لابن بشـكوال مصـدرا مهماً لتوثيق حركة الرحلة العلمية إلى الحجاز، وهي ظاهرة بارزة في المغرب الأوسـط خلال القرنين الخامس والسـادس الهجريين، فقد ذكر ابن بشكوال عددامن العلماء الذين نشئوا في مدن المغرب الأوسط، مثل: بجاية وتلمســان والجزائر، ثم شــدّوا الرحال إلى الحجاز طلباللعلم أو لأداء الحج، وهي رحلة كانت تجمع بين البُعد الديني والبُعد العلمي، ومن خلال التراجم التي وردت في الصــلة يمكن ملاحظة أنّ كثيرامن علماء المغرب الأوسط قصدوا مكة والمدينة للسماع من كبار المحدّثين، وتلقي الإجازات، ومقابلة العلماء القادمين من مختلف الأمصــار، وقد أســهم هؤلاء الراحلون في نقل العلوم الحديثية والفقهية إلى المغرب الإســلامي بعد عودتهم، فكانوا جســرامعرفيابين الحجاز والمغرب.

وتظهر أهمية رصــد ابن بشــكوال لهؤلاء العلماء في أنّه حفظ لنا أســماءهم، وشــيوخهم في الحجاز، وما ســمعوه من كتب، مما يســاعد الباحثين في تتبّع مســارات الحركة العلمية بين المغرب الأوســط والحجاز ودورها في ترســيخ المذهب المالكي وتنشــيط علم الحديث في المنطقة.

2: كتبُ الطبقاتِ المشرقيةِ:

طبقات الحنابلة لأبي الحسن محمد بن أبي يعلى(ت526هـ/1131م) وهو من الكتب التي تُعنى بدراسة واحد من المذاهب الأربعة، ويعدّ من أوائل الكتب التي أُلِّفتْ في المذاهب على الرغم من أنّ المذهب الحنبلي كان أخر المذاهب ظهورا، فكان استعمال هذا الكتاب

مختصراً على عائلة ابن عبد القوي التي كانت من أبرز الأسر العلمية في المغرب الأوسط ببلاد الحجاز وأكثرها مجاورة؛ لذلك كان استعماله ضمن الفصل الأول والثاني والثالث.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي(ت911هـ/1505م) يعدّ أحد أهم الكتب التي عنيت بترجمة أعلام اللغة العربية بكامل فنونها، وكان استعماله وافراً في الدراسة وهو ما يتجلى للقارئ خاصة في الفصل الثالث، وقد مدّ البحث بدراسات قيّمة للعلماء الذين شاركوا في التأليف في حقل اللغة خاصة وأنّه كان أحد المجاورين في الحرم المكي، وهو الأمر الذي مكّنه من تكوين حصيلة معرفية للكثير من العلماء المتخصصين في الإقراء؛ لذلك تجدنا استفدنا منه بشكل كبير في هذا الجانب وذكر حلقاتهم وإنتاجهم العلمي في الحرمين الشريفين.

طبقات المفسرين لداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد(ت945هـ/1539م) من أشهر كتب الداودي، وهو كتاب جمع فيه المؤلف تراجم أعلام المفسرين حتى أوائل القرن العاشر الهجري، وقد جمع 704 ترجمة من بينها تراجم لعلماء المغرب الأوسط المجاورين بالحرمين الشريفين، لذلك تجلت الاستفادة منه بشكل واضح في الفصل الأول والثاني في جرد علماء التفسير ضمن جداول خاصة بالقرن التاسع هجرية.

ثالثاً: كتبُ الأنسابِ: وهي من الكتب التي وُجِبَ الاعتماد عليها خاصّة وأنّها تُدوِّن الأنساب وتُبسِّطها للباحث، ومن أهم كتب الأنساب التي اعتمدنا عليها في الأطروحة:

جمهرة أنساب العرب لابن حزم أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1064م) يُعدّ كتاب ابن حزم في الأنساب من أوسع المؤلفات وأدقّها، لِمَا تميّز به من اعتماد واسع على مصادر القرون الأولى، وقد أُتيح للمؤلف الاطلاع على عدد كبير من كتب الأنساب السابقة، الأمر الذي مكّنه من المقارنة بين الروايات وتنقيحها وتصويب ما وقع فيه بعض العلماء من أخطاء، ويظهر في كتابه منهج نقدي واضح يمحّص ويتحقّق من صحة الأقوال؛ مما أكسبه

مكانة مرجعية بين الدارسين، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الأول عند التعريف بعلماء المرحلة الأولى؛ إذ قدّم ابن حزم معلومات وافية عن طبقاتهم وأنسابهم، كما يسهم كتابه في فهم البيئة العلمية والاجتماعية المبكرة التي نشأت فيها حركة التأليف في الأنساب، وبذلك يشكّل هذا المصدر حلقة وصل مهمة بين مؤلفات الأوائل وما تلاها من جهود في هذا العلم.

في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكُنَى والأنساب لابن ماكولا علي بن الأمير الحافظ (ت 475هـ/1082م) ويُعرف أيضا بعنوان الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنَى والأنساب، من أهم المؤلفات في هذا المجال؛ فقد قدّم فيه المؤلّف معالجة دقيقة لمسائل المؤتلف والمختلف مبيّنا أنساب العلماء وكُنَاهم وأسماءهم على نحو يساعد في تمييز المتشابه منها، وتمتاز مادته بإفادتها في التعريف ببعض العلماء المجاورين، الأمر الذي جعله يحضر بوضوح في مباحث الفصل الأول.

رابعاً: كتبُ الرحلاتِ: يمثّل هذا الصنف من الكتب أهمية كبيرة للبحث بعد كتب التراجم والطبقات؛ حيث نجد أنّ أغلب مؤلّفيها كانوا عبارة عن شهود عيان لأوضاع البلاد التي زاروها، ورسم الطرق المؤديّة إليها، والملاحظ أنّ معظم الكتب المعنية هنا كانت عبارة عن إنتاج مغربي بحت:

مستفاد الرحلة والاغتراب للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت614هـ/1217م) وقد كانت هاته الرحلة شاهداً على أحداث سياسية وأخرى اجتماعية بعد أن قام برحلته نجده نزل مدينة الإسكندرية فوصفها، ثم عرج على القاهرة ومختلف المدن المصرية، ثم توجه بعد ذلك إلى الحجاز، والجدير بالذكر أنّ التجيبي عايش العصر الأيوبي والعصر المملوكي، واستعنّا به في ذكر بعض الشخصيات التي كان قد التقاها أثناء رحلته، وبعض المعلومات حول الكتب التي كانت تُدرَّس بمكة المكرمة.

رحلة العبدري أو الرحلة المغربية لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري (كان حيّا بعد 700هـ/1300م) يعدّ هذا الكتاب مهمّا جداً وقيّما يخص رحلة علماء المغرب الأوسط ويعود ذلك إلى أنّ العبدري كان قد مرّ في رحلته على مدن المغرب الأوسط ذهاباً وإياباً، واستعماله كان بارزاً في ذكر العلماء الذين فضّلوا الرّحلة ضمن ركبه الخاص؛ فالمتصفح للبحث يجدنا استفدنا منها في تقديم العلماء لاسيما في الفصل الأول الخاص بعلماء المغرب الأوسط المجاورين بمكة المكرمة.

رحلة ابن بطوطة لأبي عبد الله محمد بن بطوطة (ت779هـ/1217م) تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وهي رحلة عالمية جاب من خلالها ابن بطوطة جلّ أقطار العالم القديم، ومن بينها الحجاز، فنجد لها في رحلته معلومات قيّمة التي بُنِيَتْ على المشاهدة الحية من المؤلف شخصيا، ويعدّ مصدرا أساسيا للحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية بمكة المكرمة، وأيضا خزائن الكتب بالمسجد الحرام، وأسماء الأربطة التي كانت معروفة على عصرهم.

خامسًا: كتبُ الجغرافيَا

صـفة جزيرة العرب للهمذاني لسـان الدين أحمد بن يعقوب (ت336هـ/947م) من أهم المؤلفات الجغرافية التي وصـلتنا من القرن الرابع الهجري، وقد اكتسـب مكانته المرموقة في التراث العربي والإسلامي لما يتمتّع به من دقّة وصف وعمق تحليل، فالهمذاني لم يكتفِ بعرض جملة من المعلومات الجغرافية العامة، بل قدّم عملاً موسـوعياً يجمع بين الجغرافيا الطبيعية والبشرية والسياسية معتمداً على ملاحظاته المباشرة ورحلاته الواسعة، إضافة إلى ما نقله عن أهل الخبرة من السـكان المحليين والنسّـابين وأهل العلم، وقد خَصَّ المؤلّفُ بلادَ الحجاز بقدر كبير من العناية؛ إذ تناولها ببيان حدودها وأقاليمها ومخاليفها، وشـرح طبيعتها الجغرافية والقبلية، وما يتصل بها من طرق ومسالك وموارد مائية، فضلا عن ضبطه لأسماء

المواقع والبلدان والمواضع بدقّة ملحوظة، وتنبع أهمية هذا الوصف من كونه يقدّم صورة شبه معاصــرة لواقع الحجاز في القرن الرابع الهجري، وهو ما يجعل الكتاب مرجعا أســاســيا لكل باحث في الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية، ومن هنا تتجلّى الإفادة العلمية للكتاب في الفصـــل التمهيدي ضـــمن المبحث الثاني المتعلق بالجغرافيا التاريخية لبلاد الحجاز، حيث يُسهم في تأسيس إطار معرفي واضح عن الامتداد الجغرافي لمنطقة الدراسة، وتوزيع المراكز العمرانية، ومســارات الحركة، وطبيعة البيئة التي شـكّلت الخلفية التاريخية والثقافية للأحداث والوقائع اللاحقة، وبذلك يُعدّ كتاب الهمذاني حجر زاوية في فهم التشكّل الجغرافي والسياسي للحجاز، وفي إدراك العلاقات بين الجغرافيا والتاريخ في تلك المنطقة الحيوية من العالم الإسلامي.

المسالك والممالك للإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ/956م) من أوائل المؤلفات الجغرافية في التراث الإسلامي، وقد اكتسب مكانته لِما قدّمه من وصف دقيق لأقاليم العالم الإسلامي، ويعرض الإصطخري في كتابه تفاصيل المدن والطرق والمسالك، مما يوفّر صورة واضحة عن البنية الجغرافية والاقتصادية للعصور الإسلامية المبكرة، كما يقدّم وصفا يعين الباحث على فهم طبيعة الحركة والتنقل بين الحواضر الإسلامية، وتبرز أهمية هذا الكتاب فيما يحتويه من إشارات تساعد على تتبّع حركية العلماء عبر الأقاليم المختلفة، ولذلك أفاد هذا المصدر في دعم التحليل المتعلق بحركة العلماء في الفصلين الأول والثاني.

المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري(ت487هـ/1094م) من المصادر الجغرافية المهمّة التي قدّمت لنا معلومات ذات قيمة عالية حول الطرق والمسالك التي كان يسلكها الرحّالة القادمون من المغرب الأوسط نحو البلاد المشرقية وغيرها من الأقاليم، وعلى الرغم من أنّ المؤلّف لم يزرْ بلاد المغرب بنفسه، فإنّ معطياته جاءت دقيقة ووافية تضاهي في كثير

من الأحيان ما أورده الجغرافيون الذين سبقوه وزاروا تلك الديار، ويعكس ذلك اعتمادَه على روايات موثوقة ومصادر معتمدة، مما أكسب كتابه مكانة بارزة في دراسة جغرافية الطرق وارتباطها بحركة الرحّالة والعلماء.

نزهة المشتاق في اختراق الأفاق لأبي عبد الله محمد الإدريسي (ت560هـ/1160م) من أهم المصادر الجغرافية التي قدّمَت وصفاً دقيقاً للطرق والمسالك في العالم الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، وقد استفدنا من مادته الغنية في الفصل الثاني، والمبحث الثاني، لا سيما الطرق المؤدية إلى **بلاد الحجاز**، وقد امتاز الإدريسي برسم **خرائط متقنة تتجاوز دقة من سبقه**، مما أتاح لنا الاعتماد على معلوماته لتوضيح مسارات العلماء والحجاج، وتحديد النقاط المأهولة ومواطن المياه كما قدّم وصفا واسعا للطرق الصحراوية، ففصّل محطاتها وصعوباتها، وأبرز طبيعتها الجغرافية، مما أسهم في بناء صورة أوضح لحركة العلماء ورحلاتهم عبر تلك الدروب الوعرة.

سادساً: كتب التاريخ العام: يحتوي مثل هذا النّوع من المصادر على معطيات علمية ومعرفية مكنّتنا من الاستفادة منها وتوظيفها في حدود الموضوع والحقبة الزمنية المقيدة بها ومن أبرزها نجد:

البيان المُغْرِب في أخبار المَغْرِب لابن عذارى المراكشي(ت712هـ/1312م) يُعَدّ كتابه من أوثق كتب التاريخ المغربي في العصر الوسيط، وذلك لاعتماده على مصنفات مفقودة لم يصلنا منها إلا القليل، مما أكسبه قيمة علمية فريدة، وقد انعكس هذا الاعتماد على مصادر أصلية في ثراء مادته التاريخية، وخاصة فيما يتعلّق بتفسير **الأسباب التي عرقلت ظهور ظاهرة المجاورة** في مراحل مبكّرة من العصر الوسيط، ويبدو جليّا أنّ المؤلف جمع معلومات دقيقة حول العوامل الاجتماعية والسياسية والعلمية التي حالت دون انتشار الرحلة العلمية إلى الحجاز في تلك الحقبة؛ ولهذا جاء الكتاب حاضرا في **الفصل الأول** من البحث ضمن تحليل **أسباب**

تأخر الرحلة العلمية إلى بلاد الحجاز، لما يقدّمه من شواهد موثوقة وتفاصيل تساعد على فهم طبيعة تلك المرحلة وإشكالاتها.

تاريخ المدينة المنورة أو نصيحة المشاور وتعزية المجاور، فالعنوان واحد لصاحبه **البدر ابن فرحون(ت769هـ/ 1368 م)** وهو من المصادر القيّمة التي تناولت بطريقة ما الحياة العلمية بالمدينة المنوّرة خلال حقبة حياة الكاتب، والترجمة للعلماء الذين عاصرهم؛ لذلك نجد نصيحة المشاور مرجعا لكل باحث في الحياة العلمية بالمدينة المنورة وعلمائها والعلماء المجاورين بها من كل أصقاع الأرض، ومن ثَمَّ، فالاعتماد عليها كان واضحا وجليا في الفصل الثاني ضمن الجدول الخاص بجرد العلماء المجاورين بالمدينة المنورة من المغرب الأوسط والفصل الثالث في المبحث الثاني بذكر ترجمتهم وأبرز مؤلفاتهم.

العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ/1405م) يُعدّ هذا الكتاب من أهم مصادر العصر الوسيط، وفائدة كتاب العبر عظيمة لا يمكن حصرها في المقدمة أو في جزء من أجزائه، وإنّما أهميّته تكمن في تحديد مواطن العرب وذكر شعوبهم وأماكن إقامتهم، وبالتالي، فإنّ كتاب العبر يُعدّ من أهم المصادر التي استفدنا منها في جميع مراحل البحث، فحاز على مكانة كبيرة، كما أنّ المطلع عليه يجد أنّ مستويات الخطاب التاريخي عنده يتغيّر حسب نسق الأحداث المكوّنة للنّص، نجد أيضاً أنّ ابن خلدون تكلم عن الأسباب التي أدّت إلى تأخر العلماء في القيام بالرحلة العلمية في أجزاء متفرقة من كتابه، لذلك نجد أننا استفدنا منه بدرجة كبيرة في كتابة الفصل التمهيدي والفصل الاول والثاني.

إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن محمد بن فهد(ت 885هـ/1480م) يعدّ من المؤلفات التي نالت حصة الأسد من حيث الاستعانة به للترجمة لعلماء المغرب الأوسط وغيرهم من العلماء ونشاطهم العلمي بمكة المكرمة والمدينة المنورة،

حيث يقع في أربعة أجزاء، مرتّبا العلماء ترتيبا زمنيا وقد أورد فيها الكثير من الأخبار حول الحج، واستفدنا منه في الاستيفاء لأخبار أهل مكة المكرمة والمبادلات التي كانت تقام بين أهل مكة وغيرهم من البلاد، بالإضافة إلى الإشارات البسيطة التي كان قد ذكرها ابن فهد حول تاريخ إنشاء الأربطة واعتكاف العلماء المجاورين بها وهو ما أوردناه في الفصل الثالث.

قراءةٌ في أهمِّ المراجعِ:

ومن أهمّ المراجع المعاصرة التي تناولت موضوع بحثنا في بعض جوانبه، نجد:

كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر لعادل نويهض، أحد الأعمال المرجعية المهمة في حقل التراجم والسير، لما يوفّره من مادّة تراكمية واسعة تغطي مسارا زمنيا طويلا يمتد من بداية الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا وصولا إلى المراحل المتأخرة من التاريخ الجزائري. وقد نجح المؤلف في جمع عدد كبير من أعلام الفكر والعلم والسياسة من مختلف العصور، مما أضفى على المعجم طابعاً شاملا يضم شخصيات تنتمي إلى فروع معرفية متعددة: كالفكر الديني، والفقه، واللغة، والتاريخ، والأدب، إضافة إلى أعلام آخرين كان لهم أثر في الحياة الاجتماعية والسياسية.

وقد شكّل هذا المعجم مرجعا رئيسا في الأطروحة، إذ أُعْتُمِدَ عليه في عدة مواضع لتتبّع المسارات العلمية للأعلام الجزائريين، ولا سيما أولئك الذين كان لهم حضور في الحواضر الإسلامية الكبرى، بما في ذلك مكة المكرمة، وتميّز اعتمادنا عليه بكونه يساعد في تحديد الخطوط الأساسية لسير العلماء، خاصة في الفترات التي قد تشِحّ فيها المصادر أو تتشتّت فيها المعلومات.

كتاب العلماء الجزائريون المدرّسون في المسجد النبوي ليحي بكلي، يُعدّ هذا الكتاب من المصنفات المهمة التي وثّقت لعدد معتبر من مدرّسيْ المسجد النبوي الشريف المنتمين إلى المغرب الأوسط، وذلك منذ العهد المملوكي وصولا إلى الزمن الحاضر، وعلى الرغم من أنّ المؤلِّف لم يتمكّن من حصر جميع الأسماء التي تولّت التدريس في المسجد، فإنّه أفاض في الحديث عن المذكورين منهم، مقدّما تراجم وافية تتناول جوانب متعددة من سيرهم العلمية والعملية، فقد اهتمّ بعرض مساراتهم المعرفية، ورصد رحلاتهم إلى مختلف الحواضر الإسلامية، كما لم يُغفل الإشارة إلى شيوخهم الذين تلقّوا عنهم، وإلى طلبة العلم الذين تتلمذوا على أيديهم، فضلا عن إبراز إسهاماتهم العلمية ومنجزاتهم في مجالات التدريس، والتأليف، ونشر المعرفة وبذلك يشكّل الكتاب مادّة غنية تسهم في فهم الدور الذي اضطلع به علماء المغرب الأوسط في الحياة العلمية بالمسجد النبوي عبر العصور.

جغرافية شـــبه الجزيرة العربية لعمر رضـــا كحّالة: يعدّ من الأعمال المرجعية التي تناولت بالدراســة والتحليل الخصــائص الجغرافية لشــبه الجزيرة العربية بمختلف أقاليمها وقد استطاع المؤلف، وهو أحد أبرز الباحثين العرب في مجالات التراجم والجغرافيا التاريخية، أن يقدّم في هذا العمل معالجة شــاملة لطبيعة شــبه الجزيرة من حيث تضــاريســها، ومناخها، وسكانها، وتركيبها القبلي، إضافة إلى التطرق لمدنها الرئيسة ومكانتها التاريخية.

ويمتاز الكتاب بدقة معلوماته واعتماده على مصـــادر جغرافية وتاريخية قديمة وحديثة، مما أكسبه طابعا علميا موثوقا، كما يعرض كحّالة في كتابه وصفا للجغرافيا البشرية، من خلال توثيق مســارات الاســتقرار والتنقل، والتغيرات التي عرفتها المنطقة عبر القرون، ويُعد هذا المرجع مفيدا للباحثين في التاريخ والأنثروبولوجيا والجغرافيا؛ نظرا لما يوفّره من معطيات أســاســية تســاعد في فهم البيئة الطبيعية والاجتماعية لشــبه الجزيرة العربية والظروف التي شكّلت مسارها الحضاري.

- **الصعوباتُ:**

يواجه الباحث في دراســـة إســـهامات علماء المغرب الأوســـط المجاورين في الحياة العلمية في بلاد الحجاز جملة من الصعوبات المنهجية والمعرفية، لعل أبرزها: ندرة المصادر المباشرة التي تناولت هذا الموضوع بصورة مستقلة، وتشتّت الأخبار المتعلقة به في بطون كتب التراجم والطبقات والرحلات مع ما يعتريها أحيانا من الإيجاز وعدم التفصـــيل في بيان طبيعة الإســـهامات العلمية، كما تبرز صـــعوبات منهجية تتعلق بضـــبط الإطارين الزمني والجغرافي للموضوع، فضلا عن التداخل بين النشاط العلمي الذي مارسه العلماء في أوطانهم الأصـــلية ونشـــاطهم بالحجاز، ويضـــاف إلى ذلك امتداد الحقبة التاريخية للبحث وتفاوت الظروف الســـياســـية والعلمية التي أثّرت في حركة العلماء وانتقالهم، إلى جانب قلّة التواريخ الدقيقة لرحلاتهم وإقامتهم، كما تمثّل الصعوبات الجغرافية والحضارية عاملا مؤثّرا، نظرا لبُعد المسافة بين المغرب الأوسط والحجاز، واختلاف البيئات العلمية والمذهبية، مما أدّى أحيانا إلى اندماج بعض العلماء في الوسط الحجازي دون إبراز أصولهم المغاربية، ولا تخلو الدراسة كذلك من صعوبات تحقيقية تتعلق باختلاف ضبط الأسماء والأنساب، فضلا عن صعوبة قياس حجم التأثير العلمي لهؤلاء العلماء في الحياة العلمية بالحجاز مقارنة بعلماء المشرق.

الفصلُ التمهيدِي :

الحجازُ والمجاورةُ (المصطلحاتُ والمفاهيمُ)

المبحثُ الأولُ: الجغرافيةُ التاريخيةُ لبلادِ الحجازِ.

المبحثُ الثانِي: المجاورةُ ودوافعها

المبحثُ الثالث: مجال المغربِ الأوسطِ.

تُعدّ المجاورة العلمية في الحجاز أحد أبرز مظاهر النشاط العلمي في العالم الإسلامي، لما تمثّله من حلقة وصل رئيسة بين المشرق والمغرب، ومن تجسيد حيّ للتفاعل المعرفي والروحي بين العلماء وبيئاتهم العلمية، وتكتسب هذه الظاهرة أهمية خاصة عند تناول علماء المغرب الأوسط الذين اتخذوا من الحجاز موطنا لمجاورتهم؛ إذ تمكّن من فهم طبيعة مشاركتهم في الحياة العلمية، وطرائق اكتسابهم للمعرفة ونقلها، إضافة إلى استجلاء صلاتهم بالحلقات العلمية في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة.

المبحثُ الأوّلُ: الجغرافيةُ التاريخيةُ لبلادِ الحجازِ.

ليست الجغرافية التاريخية أحد فروع الجغرافيا الطبيعية أو الجغرافيا البشرية وإنما هي جغرافية الماضي بجوانبه الطبيعية والبشرية، أيْ أنها لا تقتصر في دراستها على الظروف الطبيعية للماضي وإنما تهتم أيضا بالنشاط البشري، ومجمل القول أنّ الجغرافيا التاريخية تضم في رحابها وجهيْ الجغرافيا الطبيعية والبشرية لتجعلهما علماً واحداً[1].

1- مفهومُ الحجازِ:

ورد لفظ الحجاز في المصادر التاريخية بتعريفات عديدة ومختلفة بين ماهو لغوي وما هو اصطلاحي، ولعل من أبرزها ما يلي:

أ- **لغةً:** يأتي في اللغة بكسر الحاء وهو مأخوذ من الحَجْز وهو اسم للحاجز وهو اسم للحجاز لغة، يدلّ على البلد، وسمي بذلك من الحجز أيْ: الفصل بين شيئين[2].

---

[1]- محمد الفتحي بكير محمد، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص ص 2-3-4.

[2]- البكري عبد الله بن عبد لعزيز الأندلسي، معجم من استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: مصطفى السقاء، ط1، (د.د.ن)، القاهرة-مصر،1945، ج1، ص12.

ب- اصطلاحًا:

يعرّفه البكري نقلا عن الفراهيدي[1] أنه سمي بذلك لأنّه فصل بين الغور[2] والشام وبين تهامة[3]ونجد[4]،[5]والحجاز جبل ممتد حال بين الغور –غور تهامة– ونجد، وكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالأخر[6]، بينما الحميري يقول: أنه سمي حجازا؛ لأنه حجز بين الغور والشام، وقيل: لأنه حجز بين نجد والسراة[7] ويرى الأزهريأنه سمي حجازا؛ لأنّالحرار[8]حالت بينه وبين عالية نجد[9]؛ لذلك يكاد الجغرافيون يتفقون على أنّ الحجاز سمّي حجازا؛ لأنّه يفصل بين شيئين أو بين منطقتين، والناظر في هذه التعريفات يجد خلافاً واضحاً في مفهوم

---

[1]– الفراهيدي الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم: نحوي لغوي، وهو أول من استخرج العروض وحصن بها أشعار العرب، توفي بالبصرة سنة170هـ، وصنف كتب منها "العروض والشواهد" و" الإيقاع" ...ينظر: ابن النديم محمد إسحاق أبو الفرج، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، (د.ت.ن)، ص63–64؛ ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله الرومي، معجم الأدباء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1991، ج3، ص63–64.

[2]– الغور: بالفتح ثم السكون، وهي المنخفض من الأرض قال الأزهري": الغور تهامة وما يلي إلى اليمن ..." ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صاد، بيروت –لبنان، (د.ت.ن)، ج4، ص217.

[3]– تهامة: وهي بالكسر، قدر تحديدها في جزيرة العرب منها مكة والحجاز وتهامة وإلى عرق اليمن ...ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص63؛ ابن خردذابة أبا القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت–لبنان، (د.ت.ن)، ص125.

[4]– نجد: تعد هضبة نجد قلب شبه الجزيرة العربية، وهي أرض واسعة تمتد من شمال تهامة واليمن إلى جنوب العراق وبلاد الشام، وسمّي نجد لارتفاع أرضه، وقد قسّمت إلى قسمين: نجد العالية وهي ما ولي الحجاز وتهامة ونجد السافلة وهي ما ولي العراق...ينظر: أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت–لبنان، (د.ت.ن)، ص73؛ جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الحجاز، (د.د.ن)، بيروت–لبنان، 1968، ج1،ص 181–182.

[5]– البكري، معجم من استعجم، ج2، ص12.

[6]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص218.

[7]– الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1975، ص188.

[8]– الحرار: هي الحرار الخمس حرة بني سليم، حرة وأقم، حرة النار، حرة شوران، وحرة ليلى...ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص219.

[9]– الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية لتأليف والترجمة، القاهرة–مصر،1978، ص122.

هؤلاء المؤلفين لمصطلح الحجاز[1]، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ هؤلاء كانوا قد كتبوا في فترات مختلفة، فتأثّروا بما ساد في عصرهم من تغيرات إدارية تؤثّر على التعريف الجغرافي للمنطقة التي يكتب عنها، فمن هذه الأقوال من جعل الحجاز هو الحاجز بين الشام واليمن وبين نجد وتهامة[2]، ومنهم من جعله الحجز بين نجد وتهامة فقط واعتبر مكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية[3]، وقيل: المدينة نجدية وقيل: تهامية وقيل: نصفها نجد ونصفها تهام[4]، وفي موضع أخر الحجاز هو ما حجز بين اليمامة العروض[5]، وفيما بين اليمن ونجد، فصارت نجد ما بين الحجاز إلى الشام وإلى العذيب[6]والطائف من نجد والمدينة من نجد، يقول الحربي: "...والطائف تخل في نجد، لأنّ حدّها ما بين فيد[7] إلى المدينة إلى أعالي أرض تميم والطائف منها..."[8].

---

[1]– صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1990، ص ص7–9.

[2]– تقي الدين الفاسي، الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية–مصر، 2001، ص23.

[3]– ابن خميس عبد الله بن محمد، المجاز في اليمامة والحجاز، دار اليمامة للبحث الترجمة والنشر، الرياض–السعودية، 1970، ص328.

[4]–القليوبي شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة أبو العباس، النبذة اللطيفة في مباحث شريفة، تحقيق: سعيد عبد الفاتح، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض– السعودية، 1997،ص34.

[5]– العروض: قرى بين الحجاز واليمن ...ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص103.

[6]– العذيب: بفتح العين المهملة وضم الذال المعجمة وسكون الياء، ثم باء موحدة وهو ماء بين القادسية والمغيثة، وبينه وبين القادسية أربع أميال...وهو وادٍ لبني تميم ومنزل من منازل الحج العراقي...ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص92.

[7]– فيد: بفتح الفاء، بليدة بنجد على منتصف طريق حجاج العراق من الكوفة إلى مكة المكرمة، موقعها بجنوب مينة الحائل...ينظر: أبي الفداء، المصدر السابق، ص 96.

[8]– الحربي إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد جاسر، ط2، دار اليمامة، الرياض–السعودية، 1981، ص537.

إلا أنّ المتعارف عليه قديما –ولازال إلى غاية اليوم– لدى ساكنة المدن الحجازية، فإذا قلت لساكن هذه الجبال وأنت في مكة أو جدة أو المدينة أين أهلك؟ أو من أيّبلد أنت؟ قال من الحجاز..."[1].

2: جغرافيةُ بلادِ الحجازِ:

اختلف الجغرافيون في حدود الحجاز الجغرافية، ولكن أقدم من حدّدها هو الشافعي بأنّ الحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها[2] وكذلك ما روي عن الأصمعي[3]"...الحجاز من تخوم صنعاء إلى تخوم الشام..."[4] وأقرب الآراء إلى التحديد الجغرافي للحجاز ما رواه الهمذاني نقلا عن ابن الكلبي الذي حدّد الحجاز جنوب بقعرة أقصى بلاد اليمن حتى أطراف بوادي الشام، أيْ أنّه عدّ الحجاز سلسلة جبال السروات بأكملها[5]، التي تمتد من أقصى جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها، تاركا سهول تهامة الضيّقة في الغرب وهضبة نجد في الشرق[6]، كما أنّ اسم الحجاز يشمل في العُرف تهامة أيضا وبذلك يكون الحجاز هو المنطقة الممتدة من خط عرض 20° شمالاً إلى خط عرض29° شمالاً[7].

---

[1]– ابن خميس، المصدر السابق، ص329.

[2]– الفيروز أبادي محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد جاسر، ط1، دار اليمامة، الرياض–السعودية، 1969، ص102.

[3]– الأصمعي عبد الملك بن قريب عبد الملك: من مشاهير اللغة والأدب والنحو والتاريخ اختلف في تاريخ وفاته والأرجح سنة 210هـ بالبصرة وله الكثير من الكتب ومنها نوادر الأعراب، كتاب اللغات، المذكر والمؤنث...ينظر: ابن نديم محمد بن إسحاق، المصدر السابق، ج3، ص82.

[4]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص219.

[5]– الهمذاني لسان الدين أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض–السعودية، 1974، ص54.

[6]– الدباغ مصطفى مراد، الجزيرة العربية، دار الطليعة، بيروت–لبنان، 1963،ج1، ص65.

[7]– المرجع نفسه، ج1، ص65.

أمّا التحديد الإداري الحديث، فإنّه لا يختلف كثيرا عن التحديد الجغرافي في الكتب القديمة عند العرب، فقد حدده ياقوت الحموي بقوله: "...يحدّ الحجاز من الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق البادية الكبرى..."[1] ومن الجنوب بلاد قبيلة بني مالك الكائنة بجبال السروات المتاخمين لبلاد زهران[2]، وشمالا بادية الشام إلى تبوك من الداخل ومن جهة البحر الأحمر العقبة[3].

3: الأهميةُ العلميةُ لبلادِ الحجازِ:

لازالت الحجاز تكتسب مكانتها العلمية من مكانتها الدينية منذ ظهور الإسلام وإلى اليوم – وستبقى إن شاء الله إلى قيام الساعة– وقد اكتسب هذه المكانة العلمية والدينية كونها مركز إشعاع فكري وحضاري[4]، وقبلة لقاصديْ بيت الله ومسجد رسوله الكريم؛ حيث لا تنفك قوافل الحجيج والمعتمرين أن تنقطع عنها كل عام، استجابة لنداء الله سبحانه وتعالى: ﴿**وأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾[5]، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[6]، ممّا جعلها ينبوعا حضاريا بقدوم الناس من كل الأماكن، والقاعدة الروحية لكل مسلم في أصقاع الأرض؛ حيث إنّ مكة تعدّ من أهم المراكز

---

[1]– ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص316.

[2]– زهران: بفتح أوله، وإسكان ثانية بعده راء مهملة، بلدة بالسراة وفيه الجبل المشهور بذي كشاء... وتقع بلاد زهران في الجنوب الغربي من بلاد الحجاز وتهامة ...ينظر: البكري، معجم من استعجم، ج1، ص704؛ الزهراني محمد مسفر الحسن، لمحات من بلاد زهران، ط1، نشر الرئاسة العامة لرعاية الشباب، السعودية، 1982، ص11.

[3]– عمر رضا كحالة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مطبعة الترقي، دمشق–سوريا، 1925، ص131.

[4]– عامر مريقي وإبراهيم بحاز، دور علماء المغرب الإسلامي في بلاد الحجاز، مجلة الأحياء، ع28/جانفي2021، ص08.

[5]– سورة الحج، الآية 27–28.

[6]– سورة إبراهيم، الاية37.

العلمية بالحجاز ويعزى هذا الانتعاش والازدهار إلى وجود بيت الله الحرام، فضلا عن وقوعها في منتصف الطريق بين الشام واليمن وقربها من ميناء جدة على البحر الأحمر[1]، مما جعلها مسلكا للعلماء وطلبة العلم ما أكسبها أهمية علمية منذ أقدم العصور.

أمّا عن مدينة الرسول، فإنّها تحتل المكانة الثانية في نفوس العالم الإسلامي بعد مكة المكرمة، لأنّها مهجر الرسول وبها مسجده ﷺ، وقاطبة للمسلمين لأسباب جعلتها كذلك، منها: أنه يوجد بها أعظم المساجد بعد المسجد الحرام؛ فصلاة فيه تفضل عن غيره بألف صلاة كما ثبت في حديث أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال:"الصلاةُ فِي مَسجِدِي هَذَاْ خَيرٌ مِنْ أَلْف صَلاةٍ فِيما سِوَاهُ إِلاَّ اَلْمَسجدَ اَلْحَرَاْم"[2]، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:"لَاْ تُشَد اَلْرِحَاْلٍ إِلَاْ إِلْى ثَلَاْثةِ مَساجِدِ: المسَجدُ الْحَرامُ وَمَسَجِدي هَذَاْ والمسجدُ اَلْأَقَصى"[3]، وثاني هذه الأسباب هو نيل بركة دعاء النبي فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله:"اَللَّهُمَّ اجْعَلْ بِاَلْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَاْ جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنْ اَلْبَرَكةِ"[4]، فالمسلمون إجمالاً يسعون لنيل كل هذه الفضائل والنفحات الإيمانية هذا من الجانب الديني، أمّا من الجانب العلمي، فهي مقصد وقبلة طلبة العلم والعلماء للنهل من معين علمائها الذين آثرواجوار الحرمين(مكة المكرمة، المدينة المنورة) من أمثال: الطبري والسخّاوي والفاسي وابن فهد...، والقائمة تطول بذكر أسمائهم.

---

[1]- احمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، الإسكندرية-مصر، 1985، ص3-4.

[2]- البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن الكثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، 2002، ص 185؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب أرناؤوط، دار الرسالة العالمية، مصر، 2013، ج 4، ص426.

[3]- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج4، ص419.

[4]- حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج6، ص214.

المبحثُ الثانِي: المجاورةُ ودوافعها.

1-مفهومُ المُجَاورةِ:

عند تصفّحنا لمعاجم اللغة العربية وجدنا أنّ مصطلح المجاورة يتخذ العديد من المفاهيم، والتي من خلالها قسّمنا التعريف إلى مفهومين اثنين: لغوي واصطلاحي

أ- لغةً:

يأتي معنى المجاورة في اللغة بمعنى: المُسَاكنة، حيث يقول: جَاْور الرجل مُجَاْورة وجوَارا والكسر أفصح وجارك الذي يجاورك، وفي الجمع أجوارا وجِيرة وجِيرانا[1]، واسمالجُوَاربالضم يُقصَد به لاصقه في السكن والجار الذي يجاورك بَيَتابَيَتا[2]، ويقال: جاوَرَهُ مُجَاوَرَةً أيْ: أصبح جاره[3] .

تتضمن المجاورة أيضاً معنى الإقامة في مكان ما، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى﴿ **لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**﴾[4]، وكما جاءت المجاورة أيضا في السنة النبوية بمعنى الإقامة في مكان ما مدّة زمنية معيّنة، ففي بداءة الوحي يحدّثنا جابر بن عبد الله أنّ الرسول الله ﷺ قال "جَاْوَرْتُ بالحرِاْء شَهْرا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَاْرِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ اَلْوادِي فَنُوديتُ فَنَظَرتُ أَمَاْمِي وخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فلم أَرَأحَدا، ثُمَّ نْودِيتُ فَنَظَرَت فَلَمْ أَرَ أَحَدا، ثُمَّ

[1]- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة-مصر، (د.ت.ن)، ج2، ص 723-724.

[2]- الفيومي أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ج1، ص114.

[3]- الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس، اعتنى به ووضع حواشيه: عبد المنعم إبراهيم خليل ومحمد الحسين الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت.ن) ج1، ص307.

[4]- سورة الأحزاب، الاية60.

نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَاْ هِوَ عَلْى اَلْعَرْش فِي اَلْهَوَاءِ، يَعْنِي جِبرِيلَ عليه السَّلاَم، فَأَخَذتني رجفَةُ شَدِيدةُ، فَأْتَيْتُ خَدَيِجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرْونِي، دَثِّرونِي، فَصَبُّوا عَليَّ الماء"[1].

ب-اصطلاحًا:

أمّا من الناحية الاصطلاحية، فيُقصَد بها مجاورة الحرمين، أيْ: المقام مطلقا غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي[2]، وهذا ما يطلق عليه في لسان العرب اَلْثَّوِي، والأمر في هذا لابدمن أن يأتي له بمثال، فيذكر الأزهري اَلْثَّوِي واَلْثَوَىْ والفرق بينهما، حيث اَلْثَوَىْ هو الضيف وكانت تقال للغريب الذي يقيم ببلده؛ فنقول أنّ فلان ثَأْويها[3]، بينما اَلْثوِي يُرَاد بها المجاورة في الحرمين[4].

ويدعم هذا القول الزبيدي في كتابه تاج العروس أنّ اَلْثَوَىْ هو المجاورة بأحد الحرمين[5]، وإن أمكن ما قلنا، فالمجاورة هي الاعتكاف في بيت الله، والشاهد في هذا المقام هو حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عندما قالت: "كَاْنَ رَسُولُ اللهِ يُجَاْوِرُ فِي اَلْعَشْر اَلْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَاْن"[6]، أيْ كان يعتكف به، وعند تقييدها بالمسجد تصبح بمعنى: الاعتكاف، أيْ:

---

[1]- مسلم بن الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1991، ص139.

[2]-ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص724.

[3]-الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998، ج1، ص118.

[4]- الأزهري، المصدر السابق، ص456.

[5]- الزبيدي، المصدر السابق، ج1، ص307.

[6]- مسلم، المصدر السابق، ج1، ص257.

ملازمة المسجد بالتزام شرائط الاعتكاف الشرعي، وعند تقييدها بالحرمين الشريفين تصبح بمعنى: المقام في مكة المكرمة والمدينة المنورة من غير تقييد بشرائط الاعتكاف[1].

2- مدّةُ المجاورةِ:

لا تمدّنا المصادر بمعطيات صريحة وحقيقة حول مدة المجاورة، ففي الغالب ما تلمّح فقط، دون أن تصرّح ما إن كان هذا العالم أو غيره قد جاور بالحجاز مدّة من الزمن[2]، أو تؤكّد بأنه جاور حتى توفي، وهناك من المصادر[3] من تقرّ بطريقة غير مباشرة، من خلال التأكيد على بقاء أحد العلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة حقبة زمنية تمكّن من خلالها من رواية الحديث ونشر العلم فيها[4].

وثَمَّ مصادر أخرى وضّحت لنا مدة المجاورة التي أمضاها عدد من العلماء والطلاب في بلاد الحجاز، وقد أكّدت لنا هذه المعلومات أيضا تفاوت مدة المجاورة بين عالم وأخر أو بين طالب وأخر، فهي تخضع للظروف الخاصة والعامة ذات الصلة بحياة المجاور أو المجتمع الذي يحيط به أو المنطقة التي قد أتى منها.

---

[1]- الجوهري إسماعيل حماد، الصحاح تاج اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج1، ص218.

[2]- ابن الفوطي أبي الفضل عبد الرزاق البغدادي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003، ص165- 166.

[3]- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1968، ص169.

[4]- عبد العزيز بن راشد السنيدي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، (د.د.ن)، السعودية، 2005، ص28-29.

حيث هنالك فئة من المجاورين من بقيت في مكة سنة كاملة، ومن هؤلاء نجد محمد بن محمد بن ميمون الجزائري المعروف بابن الفخار (ت801هـ/1399م)[1]، ومن المجاورين من مكث سنتين وثلاثة إلى أكثر، من ذلك علي بن عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي (ت769هـ/1368م)[2]، ومنهم من امتدت مجاورته من خمس سنوات إلى عشرة من أمثال محمد بن محمد بن أبي قاسم المشدالي أبو الفضل(ت865هـ/1461م)[3].

ومن العلماء وطلابّ العلم من كرّر المجاورة أكثر من مرة، ومن هؤلاء خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى بن محمد أبو الخير الصنهاجي (ت826هـ/1423م) الذي وصلت مجاورته الأولى بمكة نحو عشرين سنة[4].

أمّا الذين فضّلوا النزول الدائم في الحجاز، فكان عددهم أعلى من عموم المجاورين من المغرب الأوسط والذين ستكون فائدتهم على الحياة العلمية أكثر نفعا نذكر منهم: أحمد بن عيسى بن عياش العوكلي القسنطيني (ت860هـ/1456م) والذي كان استقر بمكة ووُلِّيَ مشيخة أحد أربطتها[5].

---

[1]– تقي الدين الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، دار مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان 1986، ج2، ص326.

[2]– ابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي، الدرر الكامنة فيأعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد الضان، دائرة المجلس للمعارف العثمانية، الهند، 1997، ج3، ص93.

[3]– السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تقديم: طه حسين، مطبعة دار النشر للثقافة، القاهرة–مصر، 1989، ج2، ص25–26 .

[4]– أبو الفضل محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، الطبعة السلفية، القاهرة–مصر، 1930، ج1، ص263.

[5]– السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار جيل، بيروت–لبنان، (د.ت.ن)، ج2، ص243.

3- موقفُ العلماءِ من المجاورةِ:

كانت مسألة المجاورة وما يتصل بها من أحكام محل خلاف واسع وجدل بين العلماء المسلمين وفقهائهم، لذلك نجد قد تباينت في ذلك أراءهم كما اختلفت وجهات نظرهم حول الموضوع إلى رأيين اثنين: تقلّد الرأي الأول الإمام أبو حنيفة[1] والشافعي[2] ومعهم طائفة من العلماء الذين يرون بكراهية المجاورة، ويحتجون بذلك مخافة من وقوع الملل لدى الإنسان ولكي لا يقل احترامه لقدسية المكان، إضافة إلى الخشية من ارتكاب المعاصي والذنوب، فضلاً عن أن في البُعد عن مكة تهييج للشوق لها[3]والرغبة في العودة عند الابتعاد والفراق- وكيف لايكون للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها التعلق بها وهم يتوجهون تلقاءها في خمسة أوقات- وقد قال قائل منهم:

نَحْنُ اَلْذِينَ إِذَا دُعُوا لصَلاتِهِمْ *** وَاَلْحَرْبُ تَسْقِي اَلْأَرَضُ جَاْما أحمرا

جَعَلُوا اَلْوُجُوهَ إِلَى اَلْحِجَازِ فَكَبَّرُوا *** فِي مَسْمَعِ اَلْرُّوحِ الأمِين فَكَبْرَا[4]

---

[1]- أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التابعي وهو من أسرة فارسية ولد بالكوفة وتوفي بها(80-150هـ/700-768م)، ... ينظر: أبو الفضل محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص43.

[2]- محمد بن إدريس المطلبي الشافعي(150-204هـ/767-819م)، ولد بغزة ونشأ بمكة وبها تعلم وتتلمذ على يد الإمام مالك وعلى محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، تمكّن من إنشاء مذهب جديد انفرد به عن سواه واشتهر باسمه...ينظرّ: الحافظ ابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي، طبقات الفقهاء الشافعيين، باب: ترجمة الشافعي، تحقيق: أنور الباز، ط1، دار الوفاء، مصر، 2004، ج1، ص22.

[3]- الطبري أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين، القرى لقاصد أم القرى، ط2، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1993، ص660-661؛ الإسفراييني محمد بن محمد بن عمر، زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال في تاريخ مكة والمدينة، ط1، مكتبة نزار باز، مكة المكرمة-السعودية، 1997، ص168-169؛ الخوارزمي محمد بن إسحاق، إثارة الغريب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي،ط1، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة-السعودية، 1998، ص280-281.

[4]- ابن رجب الحنبلي الدمشقي زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، لطائف المعارف، تحقيق: عامر بن علي ياسين، ط1، دار ابن خزيمة، الرياض-السعودية، 2007، ص241.

ونجد أيضا الشاعر العباسي السهروردي ينشد معبرا عن شوقه ومتعته في البقاع المقدسة[1] فيقول:

هَذِهِ اَلْخَيَفُ وَهَاْتِيك مِنى

فَتَرفَقَ أَيُّها اَلْحَادِي بِنا

وَاِحبِس اَلْرَكبَ عَنَّا سَاْعَة

نَنَدُب اَلرَّبع وَنَبَكي اَلَوطَنَاْ

فَلِذَاَ اَلْمَوْقِف أَعَدَدْنا اَلْبُكَاَ

وَلِذَاْ اَلْيَوُم اَلْدُمُوعَ تُقَتَنِي

ولابن القيم قصيدة طويلة يطلق عليها ميمية ابن القيم وهي قصيدة رائعة ينشد فيها الموقف العظيم الذي تشهده الديار المقدسة عند ابتعاده عنها، فيقول:

أَمَاْ وَاَلْذِي حَجِّ اَلْمُحِبُّوَنْ بَيْتَهُ

وَلَّبوا لهُ عِندَ اَلْمَهَّلِ وَأحْرَمَوُا

دعاهُمْ فلبَّوْهُ رِضا ومَحَبَّة

فَلْمَّا دَعَوهُ كَاْن اَقربَ مِنهمُ

تَرَاهُمْ عَلْى اَلْأَنضاْدِ شُعْثا رؤوسَهَمْ

[1]– السهروردي أبي الفتوح يحي بن حبش، ديوان سهروردي، صنعه وشرحه وأصلحه: كامل مصطفى الشيبي، المكتبة الوطنية، بغداد–العراق، 2005، ص 53.

وغُبْرا وَهُمْ أسَرٌّ وأنْعَمُ

وَقَدْ فَارَقوا الأوطانَ والأهلَ رغبة

ولم يُثنِهمُ لذَّاتَهَمْ والتَّنعُّمَ[1].

وهذا الرأي أو التوجه من هؤلاء العلماء ما هو إلا مراعاة منهم لضعف الخلق والخوف من قصورهم في القيام بحق المكان وطلب العودة إليه.

في حين أنّه استحبها طائفة من العلماء من أصحاب مالك[2] وأحمد بن حنبل[3]، وقد سئل الإمام أحمد عن الجوار بمكة، فأجاب وكيف لنا بها وقال النبي ﷺ"إِنَكِ لأحِبُ اَلْبِقَاعِ إِلَى اللهِ، وَإِنَكِ لأَحَبُ إِلَي"[4].

[1]– مصطفى عراقي، الرحلة إلى بلاد الأشواق شرح القصيدة الميمية للإمام ابن القيم الجوزية، مطبعة التقدم، القاهرة–مصر، 1987، ص166.

[2]– عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر من قبيلة ذي أصبح اليمنية، ولد بالمدينة وتوفي بها (93–179هـ/712–795م)، لقب بإمام دار الهجرة واليه ينسب المذهب المالكي...ينظر: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، ط1، دار الرشاد الحديثية، الدار البيضاء–المغرب، 2010، ص17؛ محمد علي الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، ط1، دار ابن خلدون، القاهرة–مصر، 2007، ج2، ص530.

[3]– أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني (164–241هـ/780–855م) فقيه ومحدث، رابع الأئمة عند أهل السنة والجماعة وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي ... ينظر: أبي الحسن محمد بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، صححه: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة–مصر، 1952، ج1، ص4–5؛ مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة–مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، 1991، ج4، ص07.

[4]–ابن ماجه ابي عبد الله محمد بن يزيد الربعي، السننّ، باب فضل الصلاة في مسجد الحرام وسجد النبي، تحقيق: عصام موسى هادي، ط1، دار الصديق، بيروت–لبنان، 2010، ص250 ؛ الصباغ محمد بن سالم، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة–السعودية، 2004، ص600.

وقال أيضا: "مَاْ أَسَهْل اَلْعِبادَةُ بِمَكَةَ، النَظَرُ إِلىّ البَيَتِ عِباده"[1].

وحجة هؤلاء بما رواه عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع النبيﷺ يقول وهو واقف في سوق مكة:" وَاللهِ اِنَّكِ لَخَيْرُ اَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ اَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ وَلَوْلَا إني أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَاْ خَرَجْتُ"[2].

وعن ابن العباس قال، قال رسول الله ﷺ" مَاْ أَطْيَبَكِ مِنْ بَلد وَأَحبَّكِ إِلَيْ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مَنكِ مَاْ سَكَنْتُ غَيْرَكِ"[3]، وقال جل ذكره في مكة: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4]، ويشيد سبحانه بالبيت قائلا: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[5]، وقال جل ذكره:"﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾[6]، ويؤكد سبحانه وتعالى بقوله: "﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ**﴾[7].

---

[1]- مسلم، المصدر السابق، ج2، ص1003.

[2]- ابن ماجه، المصدر السابق، ص 250؛ ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم عبد السلام، جامع المسائل، تحقيق: عبد العزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة-السعودية، 2008، ج5، ص ص 20-45-240.

[3]- الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل مكة، دار السلام لنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، 2000، ج5، ص723.

[4]- سورة البقرة، الآية 126.

[5]- سورة أل عمران، الآية96-97.

[6]- سورة إبراهيم، الآية35.

[7]- سورة العنكبوت، الآية67.

وعن المدينة يقول عاصم الأحول[1]، قال: سألت الإمام مالك أحرم رسول الله ﷺالمدينة؟ قال: نعم هي حرام، حرمها الله ورسوله لا يختلي خلاها، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وفي رواية أخرى "المَدِينَةُ حَرَامُ مِنْ لَدْن كَذَاْ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحَدْثَ حَدَثًا أَوْ أَوى مُحَدثًا فَعَلْيهُ لَعنَةُ اللهِ والملائكةِ وَالْنَاسِ أَجَمعين، لا يعضد شَجَرهاْ إِلاَّ لَعَلفٍ اَلْبَعِير"[2].

4-دوافعُ المجاورةِ:

عند دراسة كتب التراجم وتصفح أسماء العلماء من المغرب الأوسط الذين فضلوا الخروج إلى بلاد المشرقية عامة وبلاد الحجاز خاصة، سنجد أنّ لكل عالم قصة أو ظروف خاصة به تختلف عن العالم الأخر على الرغم من انتمائهم إلى مجال جغرافي واحداً، إلا أنّ الدوافع التي كان لها الأثر في خروجهم تختلف، فمن العلماء من كان يرغب في تلبية نداء الله بالحج ومنهم من أراد أن يرتوي من علم علماء الحجاز بحكم أنها مسقط رأس النبي ﷺ ومنهم من جعل الغاية مزدوجة حجا وعلم، كما احتوت كتب التراجم على مجموعة من العلماء الذين فضلوا الخروج من المغرب الأوسط نتيجة الوضع الاقتصادي والسياسي الذي كانت تعيشه البلاد.

[1]- عاصم الأحول: وهو عبد الرحمان البصري مولى بني تميم ويقال مولى عثمان بن عفان ويعدّ من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي، قال عنه شمس الدين الذهبي: "...ثقة من الحفاظ توفي بعد140هـ..." ينظر :الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط3، مؤسسة الرسالة، الرياض-السعودية،1985، ج6، ص15 .

[2]- مسلم، المصدر السابق، ج2، ص86.

أ_ الدافعُ الدينِي والدافعُ العلمِي:

عرف المغرب الأوسط، خلال جميع مراحله التاريخية على أنه السباق إلى الأخذ بناصية العلم ولربما الشاهد هنا هو الرصيد المعرفي المحفوظ الذي جعل أبا حسن القلصادي(ت891هـ/1486مـ) ينتهي إلى القول على أنّ المغرب الأوسط يوجد به الكثير من الصلحاء والعباد مشيرا في ذلك بقوله:"...وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المعلّمين والمتعلمين رابحة والهمم إلى تحصيله مشرفة وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقبة..."[1]

والدارس لمثل هذه المواضيع والمتطلع عليها قد يلاحظ مدى صحة قول القلصادي، حيث إنّ معظم الذين ذهبوا للحج من المغرب الأوسط لم تكن الرغبة الدينية وحدها من تدفعهم لأداء فريضة الحج، إنما كان يدفعهم أيضاً الجانب الثاني وهو تحقيق الطموح العلمي وإثراء الزاد المعرفي لديهم والشاهد في ذلك هو ما نجده في تراجم العلماء والطلاب من المفردات والصيغ ذات العبارات التي تؤكّد الثنائية بين الحج وطلب العلم، نجد العديد من الأمثلة نذكر منها: العالم أبو علي عبد المحسن الوجهاني السوّاف (توفي نحو691 هـ/1292م)"...أدّى فريضة الحج، وأخذ عن كبار علماء مكة..."[2] أو"...حج وجاور وسمع بمكة..."وهو ما جاء في ترجمة العالم عبد القوي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي أبو محمد البجائي (توفي سنة 816هـ/1413م)[3] أو"...حج ولقي مشائخ الحرمين واستفاد منهم..." مثل ما كان قد فعل العالم

[1]– القلصادي أبا الحسن علي، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1978، ص94.

[2]– السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج1، ص275.

[3]– الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1983، ج3، ص376.

المجاور لمكة المكرمة أبو محمد عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن موسى بن سليمان (توفي سنة 661هـ/1263م)[1].

كما كانت الرحلة العلمية غالبالدى علماء المغرب الأوسط تتسم بازدواجية الهدفين وتحقيق الرغبتين الدينية والعلمية[2]، ومن الأمثلة التي لابد أن تذكر في هذا المقام حول ازدواجية الحج وطلب العلم هو ما ذكره علي بن أبي نصر فاتحبن عبد الله أبو الحسن البجائي (ت652هـ/1254م) "...حج وجاور وسمع بمكة..."[3].

كما نجد بين طيّات كتب التراجم ما يشير إلى الرغبة في أداء فريضة الحج لا غير إلا أنّ عددها ضئيل جدا، ومن أمثلة ذلك هو ما ورد في ترجمة علي بن عبد الله بن محمد بن عبد النور التلمساني(ت764هـ/1363م) بأنّه جاء مكة حاجّا في سنة أربع وستين وسبعمائة[4]، والوضعية نفسها وردت في ترجمة أحد علماء القرن السابع هجري الخامس عشر ميلادي وهو أبو عبد الله محمد بن مختار الزواوي(660هـ/1260م) الذي رحل إلى مكة وتوفي بها سنة(ت660هـ)[5].

ب-الدافعُ الاقتصادِي:

مثلما كان الدين والعلم قد شكلا عنصرين مهمين لانتقال علماء المغرب الأوسط وطلبة العلم نحو الحجاز، فنجدالأدلة التاريخية تؤكّد البُعد الاقتصادي في الرحلة إلى الحجاز، حيث شهد المغرب الأوسط طوال الحقبة الوسيطية انتكاسات اقتصادية جعلته في صدامات

---

[1] - الغبريني، عنوان الدراية، ص ص 322-324.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، ص302.

[3]- الغبريني أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة في بجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت-لبنان، 1979، ص ص66-68.

[4]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص183-184.

[5]- تقي دين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص352-353.

داخلية وخارجية لا تنتهي، الأمر الذي خلق أزمات جعلت السلطة بحاجة إلى عوائد مالية لتغطية كل حاجيات البلاد[1].

ومن البديهي أن يتحدث ابن خلدون في مقدمته عن هذا الموضوع بقوله:"...إنّ من عوامل الانهيار الاقتصادي والسياسي للدولة الزيادة المستمرة في الجباية لما تحتاج إلى الحامية من العطاء، والسلطان من نفقة ثم يزيد الخراج والحاجات والتدرج في...عوائد الترف وفي عطاء الحامية، ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها عن جباية الأموال من الأعمال وتكثر أرزاق الجند وعطاؤهم الاقتصادي؛ فيستحدث أصحاب الدولة أنواعا من الجباية يضربها على البياعات، ويفرض لها قدرا معلوما على الأثمان..."[2] في هذا المقام ومن العلماء الذين خرجوا من المغرب الأوسط نتيجة الانتكاسات الاقتصادية نجد العالمين: أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام المطماطي وأبو حسن بن يخلف عبد السلام المطماطي لقيهما العبدري في رحلته سنة 688هـ/1286مـ–وهم إخوة– وتشير المصادر إلى أنّ رحلتهما نحو المشرق كانت نتيجة الاضطرابات الاقتصادية التي شهدها المغرب الأوسط[3]، خاصة وما ترتّب على الصراعات الداخلية وضعف الأمن والاستقرار، مما أثّر على النشاط العلمي والاقتصادي[4].

---

[1]– مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة الإسلامية، بيروت–لبنان، 2009، ج1، ص101.

[2]– ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الاشبيلي، المقدمة، اعتنى به: شيخ مصطفى المصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق–سوريا، 2012، ص287–288.

[3] –العبدري، المصدر السابق، ص31؛ ابن مريم التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص ص 66-68.

[4]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص73-74.

وقد أشار ابن صعد التلمساني (ت901هـ/1496م) أيضا إلى كثرة الضرائب التي فرضها ولاة الدولة الزيانية على المجتمع، الأمر الذي دفع بالبعض منهم إلى الالتجاء إلى رجال الصوفية طالبين الشفاعة من الأولياء[1].

وفي ذات السياق،كان عامل تلمسان[2] يفرض المكوس ويجبر الناس على دفعها؛ فكانوا يجدون في ذلك مشقة كبيرة نظراً للأزمات المتتالية التي حلّت بهم[3]، فكان من البديهي في ظل هذه الأزمة الاقتصادية المتأزّمة أن يفكّر بعض علماء المغرب الأوسط والطلبة في ترك الموطن، والاتجاه نحو المشرق لتحسين وضعهم.

ج-الدافعُ السياسِي:

من الدوافع الأساسية أيضا التي أدّت إلى اللجوء نحو الحجاز هو الوضع السائد في بلاد المغرب الأوسط والتي كانت تتأرجح بين الصمود واضطراب وما تمخّض عنه من مضايقات لبعض العلماء، ومن العلماء الذين تلقّوا مضايقات نجد العالم محمد الخراز التلمساني وهو أحد أعيان تلمسان، قبض عليه من طرف ابن تاشفين وسجنه، هرب بعدها

---

[1]- ابن صعد محمد لأنصاري التلمساني، روض النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1، منشوراتANEP، الجزائر،2002، ص220.

[2]- تلمسان: قاعدة المغرب الأوسط، تقع في أقصى المغرب الأوسط، وهي مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاج، تقع على ارتفاع 830م على سطح البحر، تحيط بها من الجنوب الجبال الصخرية ويحدها من الشمال الغربي مرتفعان... ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال سانة، المكتبة الثقافية الدينية، الجزائر، 2002، ص183-184؛ مارمولكربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، المغرب، 1989، ج2، ص291؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج1، ص87.

[3]-بونابي الطاهر، الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين(8-9هـ/14-15م)، أطروحة دكتوراة في التاريخ الإسلامي، إشراف: عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009، ص116 .

إلى مدينة فاس التي تلقى ترحيب من صاحبها، وبعدها حج إلى مكة المكرمة وصار قائد الركب لعدة سنين[1].

كما كان المغرب الأوسط أكثر تأثّرا بالصراع بين الدول المغرب الإسلامي وأكثر عُرضة له بسبب موقعه الجغرافي الوسطي بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، وبالتالي تعرّض إلى ضغط مستمر من هاتين الدولتين، فأحيانا يتبع واحدة منهم وأحيانا ينفصل[2]، ومن أمثلة الضغوطات التي تعرّض لها المغرب الأوسط هي تلك الصراعات التي كان يخوضها بنو حفص وبنو مرين، وهو الأمر الذي استمر طيلة القرنين السابع والثامن هجريين الرابع عشر والخامس عشر ميلاديين التي كانت غالباً ما تنتهي باحتلال أرض واسعة من المغرب الأوسط بما في ذلك عدة مدن كالاستيلاء على العاصمة تلمسان[3].

وفي نهاية القرن 7هـ/13م، تعرّضت تلمسان إلى حصار من طرف المرينين دام ثمانيسنوات وثلاثة أشهر، ذاق فيه أهلها الويلات، الأمر الكثير وهو الأمر الذي عبر عنه ابن خلدون بقوله: "...حيث ذاقت فيه تلمسان من الجهد والجوع ما لم يسمع بمثله في البلدان واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران وحتى أشلاء الموتى من الناس وغلت الأقوات والحبوب وسائر المرافق..."[4] ما أدّى إلى تضرر السكان في داخلها، لانعدام الأقوات ونفاذ المخازن، فلم يطق الناس تحمّل المجاعة فمات منهم الخلق الكثير، وهرب منهم من استطاع الهروب ولم يبق داخل المدينة سوى ألف جندي، وبضع مئات من السكان[5]، وفي

---

[1]–ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص452.

[2]– عبد المجيد القريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، جسور لنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص14–15.

[3]– عبيد بوداود، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية، مجلة عصور، ع6–7/جوان–ديسمبر، 2005، ص174.

[4]– ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت–لبنان، 2000، ج7، ص128.

[5]–التنسي محمد بن عبد الله، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود أغا عياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص ص241–271.

هذا يقول ابن مرزوق:"...فكم خرجت فيها من أمم وكم انجلى من أهلها أعلام وكم كابدوا فيها من محن الانتقام..."[1].

وفي ظل هذه الفتن والفوضى التي كانت قد سادت بلاد المغرب الأوسط جرّاء كل الضغوطات التي مرّ بها، أجبر العلماء وطلاب العلم على ترك كل شيء والاتجاه نحو المشرق طلبا للأمن والأمان ومن العلماء الذين فضّلوا الرحيل لا التورط في هاته الصراعات السياسية: العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد(ت 842هـ/1438م) الذي وصف حال تلمسان في هذه المرحلة بقوله: "...وقد اضطرب أمر الناس في هذا القطر وتفرّقت الكلمة، وكثرت الفتن بين القبائل، وتنافس الأمراء في الرياسة حتى صار العلم مطموس الأثر، وأهله في خمول وخطر..."يشير النص إلى أنّ أحوال المجتمع في ذلك القطر قد شهدت درجة عالية من الاضطراب، نتيجة تشتّت الكلمة وتنامي النزاعات بين القبائل، فضلًا عن احتدام التنافس بين الأمراء على السلطة، وقد أسهمت هذه العوامل مجتمعة في تفاقم حالة الفوضى السياسية والاجتماعية، الأمر الذي أدّى إلى طمس أثر العلم وتراجع مكانته، وجعل العلماء يعيشون في عزلة وخمول، بل ويواجهون أخطارا تهدّد دورهم في المجتمع[2].

---

[1]– ابن مرزوق ابو عبد الله محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوسبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص203.

[2]–التنسي، المصدر السابق، ص132.

وأمام تفاقم الوضع المتردي الذي عرفه المغرب الأوسط والضغوطات المتباينة على أهل العلم، بدأت هذه الأخيرة تشهد نزيفا بشريا واضح المعالم يظهر جليا في العدد الكبير للعلماء المجاورين في مكة المكرمة والمدينة المنورة[1] وحتى المستقرين في بلاد المشرق كلها.

المبحث الثالث: مجالُ المغربِ الأوسطِ.

1- التحديد الجغرافي:

تُعدّ إشكالية تحديد حدود المغرب الأوسط في العصر الوسيط من الإشكالات المنهجية البارزة في دراســـة تاريخالمغرب الإســـلامي، وذلك لغياب مفهوم ثابت للحدود الجغرافية والسـياسـية بالمعنى الحديث، واعتماد المؤرخين والجغرافيين المسـلمين على تقسـيمات نسـبية متغيّرة، فقد ورد مصطلح المغرب الأوسط ضمن التقسيم الثلاثي المعروف للمغرب الإسلامي إلى مغرب أدنى، ومغرب أوسـط، ومغرب أقصـى، غير أنّ هذا التقسـيم لم يكن محلّ اتفاق جامع بين أصـحاب المصـنفات الجغرافية والتاريخية، إذ اختلف مدلوله تبعا لاختلاف الأزمنة والسـياقات العلمية والسـياسـية، وقد ركّز الجغرافيون الأوائل على وصـف المجال العمراني والطرقي دون عناية دقيقة بضـــبط الحدود، وهو ما يعكس طبيعة الجغرافيا الوصـــفية في القرون الأولى من الإسلام[2].

ويظهر هذا التوجّه بوضوح في أعمال الجغرافيين مثل: ابن خرداذبه(ت300هـ/912م) الذي ربط الأقاليم بشـبكة الطرق والمسـالك ومراكز العمران في كتابه المسـالكوالممالك، مما جعل مفهوم المغرب الأوسط مرتبطا بالمحاور التجارية ومناطق الاتصال، لا بحدود سياسية

[1]- عبد الرؤوف زواري أحمد، العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7-9هـ/ 13-15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورا في التاريخ، إشراف: البشير غانية، جامعة حمة لخضر، الوادي-الجزائر، 2020-2021، ص21.

[2]- اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن واضح، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت.ن)، ص 187-190؛ شوقي أبو خليل، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق-سوريا، 2005، ص50.

دقيقة، وهو ما يدل على أنّ التقسيم الإقليمي في الفكر الجغرافي الوسيط كان تقسيما وظيفيا يخدم أغراض الوصف والرحلة والتجارة أكثر من كونه تقسيما إداريا صارما[1].

في حين أنَ البكري (ت 487هـ/1094م) من خلال منهجه الجغرافي القائم على الوصف العمراني والطرقي، لا على التحديد السياسي الصارم للحدود، وهو ما يتجلّى بوضوح في كتابه المسالكوالممالك،فالبكري لا يقدّم تعريفًا نظريًا مباشرًا للمغرب الأوسط، بقدر ما يرسم معالمه عبر ذكر المدن والمسالك والمراكز العمرانية التي تنتظم ضمن هذا المجال، ومن خلال استقراء نصوصه، يتّضح أنّه يجعل من المغرب الأوسط مجالًا وسيطًا بين إفريقية شرقاً والمغرب الأقصى غرباً، حيث تمثّل إفريقية، في تصوّره الإقليم الشرقي المنفصل إدارياً وعمرانيا، بينما يبدأ المغرب الأقصى غرب وادي ملوية أو نواحي تلمسان، التي تبدو عنده منطقة تماسّ وانتقال بين المجالين[2]، أمّا من حيث الامتداد الجغرافي، فإنّ البكري يربط المغرب الأوسط بشبكة من الحواضر الكبرى، مثل تاهرت، وتلمسان، ومليانة، وبجاية في مراحل لاحقة، ويجعل هذه المدن محاور أساسية في تنظيم المجال، بما يدلّ على أنّ حدوده تُستخلص من توزيع العمران واتصال الطرق التجارية، لا من خطوط فاصلة ثابتة، ويمتد هذا المجال شمالًا إلى السواحل المتوسطية، حيث الموانئ المرتبطة بالتجارة البحرية، بينما ينفتح جنوبًا على مجالات الزاب وتخوم الصحراء، التي تمثّل مناطق عبور قوافل الذهب والملح، وهو ما يعكس الطبيعة الوظيفية للمغرب الأوسط في التصور البكري[3]

[1]- ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص 67-70.

[2]-أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندريه فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ص 63-71.

[3]- المصدر نفسه، ص 201-205.

ويُلاحظ الأمر نفســه عند الإدريســي(ت560هـ/1165م) الذي قدّم تصــورا واســعا للمغرب الأوســـط جعله يمتد من تلمســـان غرباً إلى تخوم إفريقية شـــرقا مع تركيزه على الخصـائص الطبيعية والعمرانية، وهو ما يؤكّد غلبة البُعد الجغرافي على السـياسـي في تحديد هذا المجال[1].

2- التحديد السياسي:

في مقابل هذا التوجه الجغرافي، اعتمد المؤرخون معيارا ســـياســـيا في تحديد حدود المغرب الأوســـط، فربطوه بنطـاق نفوذ الـدول التي قـامـت في هـذا المجـال، ويُعـدّ ابن خلدون(ت808هـ/1405م) أبرز من تناول هذه الإشـــكالية بوعي منهجي واضـــح؛ إذ ربط مفهوم المغرب الأوســـط بانتشـــار قبائل زناتة والدول المنبثقة عنها:كالحمّاديين ثم الزيانيين، وجعل حدوده خاضــعة لتغيّر العصــبيات وموازين القوى الســياســية، وقد أكّد ابن خلدون أنّ الأقاليم في المغرب الإسـلامي لم تكن ثابتة، بل كانت تتبدل بتبدّل السـلطان[2]، وهو ما يجعل تحديد حدود المغرب الأوسط أمرا نسبيا مرتبطا بالسياق التاريخي[3].

كما تعكس روايات ابن الأثير(ت630هـ/1233م) في الكامل في التاريخ واقع هذا الاضــطراب، إذ تناول أخبار المغرب الأوســط في ســياق الصــراعات الســياســية بين القوى المتعاقبة دون تحديد جغرافي صـارم[4]، مما يدل على أنّ المجال كان يُفهم بوصـفه نطاق نفوذ سـياسـي متغير، وقد أسـهم تعاقب الدول، من الفاطميين إلى الزيريينفالحمّاديين ثم الزيانيين،

---

[1]- الإدريســـي أبو عبد الله محمد،نزهة المشـــتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصـــر، (د.ت.ن)، ج1، ص 212-215.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 15-18.

[3]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 1996، ص 112.

[4]-ابن الأثير، المصدر السابق، مج09، ص403.

في إعادة تشكيل المجال مرارا، وهو ما أدّى إلى تغيّر مدلول مصطلح المغرب الأوسط عبر الزمن، وتعدد استعمالاته في المصادر[1].

وفي سياق متّصل، يُبرز تناول أبي العباس الغبريني (ت 704هـ/1304م) للمجال المغاربي بعدًا جغرافيًا غير مباشر، يتجلّى من خلال كتاباته في التراجم، في كتابه عنوانالدرايةفيمنعُرف من العلماء ببجاية،فرغم أنّ الغبريني لم يكن جغرافيًا بالمعنى الاصطلاحي، فإنّ إدراجه لبجاية ضمن المجال الأوسط، وتصويره لها بوصفها حاضرة مركزية تستقطب علماء الإقليم، يكشف عن تصور جغرافي–ثقافي للمغرب الأوسط، تُستخلص حدوده من خلال شبكة المدن العلمية ومجالات التأثير الحضري، ويدلّ ذلك على أنّ المجال الجغرافي لم يكن يُفهم فقط في ضوء العناصر الطبيعية والطرقية، بل كذلك في ضوء الوظائف الحضارية التي أدّتها الحواضر الكبرى داخل الإقليم[2].

وانعكس هذا التعدّد والاضطراب المفاهيمي على الدراسات التاريخية والعلمية، إذ أدّى عدم ضبط الإطار الجغرافي إلى صعوبة تصنيف العلماء ونسبة انتمائهم الإقليمي، ولا سيما في البحوث المتعلقة بالحركة العلمية والرحلات إلى المشرق والحجاز[3]، ومن ثمّ، فإنّ معالجة إشكالية تحديد حدود المغرب الأوسط تقتضي اعتماد تعريف إجرائي يراعي الإطار الزمني المدروس، ويجمع بين المعطى الجغرافي والسياسيمع الاستناد إلى المقارنة النقدية بين المصادر والمقاربة بين الاطاريح المذكورة من قبل المؤرخين والجغرافيين والاخذ بالشائع

[1]–حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، الدار التونسية للنشر، تونس،1965، ص 54.

[2]– الغبريني، المصدر السابق، ص5–8.

[3]–عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ج1، 1986، ص 41–43.

بينهم، تفاديًا للخلط المنهجي وضـــمانًا للدقة العلمية في دراســـة تاريخ المغرب الأوســـط وإسهامات علمائه[1].

[1]–محمد المنوني، مصادر تاريخ المغرب، دار القرويين، فاس–المغرب، 1983، ص 27–29

الفصلُ الأوّلُ

علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكّةَ المكرّمةِ

من القرنِ الثالثِ إلى القرنِ التاسعِ الهجريين(9 إلى 15م).

المبحثُ الأوّلُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكّةَ المكرّمةِ خلالَ القرنِ 3-4-5-6هـ/9-10-11-12م.

المبحثُ الثاني: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكّةَ المكرّمةِ خلالَ القرونِ7-8-9هـ/13-14-15م

كان لعلماء المغرب الأوسط علاقة وطيدة ببلاد الحجاز لأسباب عديدة ومختلفة خاصة منها الدينية والتاريخية، وذلك لاحتوائها على أعظم المقدسات الدينية وفي مقدمتها بيت الله الحرام الذي يعدّ قبلة المسلمين وإليه تُشَدّ الرّحال لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام تلبية لقوله تعالى: ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[1]، كما كانت غاية مثل هذه الرّحلات طلب العلم، لذلك كانت وجهة المغاربة في الكثير من الأحيان لتحقيق هذا الغرض، فرحلات العلماء وطلبة العلم غالبا ما كانت تنتهي بالاستقرار والبقاء هناك ومجاورة الحرم المكّي والحرم المدني.

المبحثُ الأوّلُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكةَ المكرمةِ خلالَ القرنِ 3-4-5هـ/9-10-11م.

1- العلماءُ المجاورونَ لمكةَ المكرمةِ خلالَ القرونِ الثلاثةِ:

من خلال ما طالعناه في المصادر التاريخية، وما قمنا به من بحث وتنقيب –قدر المستطاع– في المؤلفات التي تناولت تراجم علماء المغرب الأوسط، تمكّنا من رصد مجموعة من العلماء الذين جاوروا مكة المكرمة، وقد أسعفنا الحظ بالعثور على عددٍ منهم، وإن كان هذا العدد قليلا إذا ما قُورِن بالفترات الزمنية اللاحقة.

وعليه، سنحاول من خلال مااستطعناجمعه من المصادر التعرف على هؤلاء العلماء الذين آثروا المجاورة بمكة المكرمة، وهذا من خلال الجدول الذي سيمدّنا بأسماء هؤلاء العلماء وهم على النّحو التالي:

[1]– سورة أل عمران، الآية: 97.

الرّقم	اسم العالم	مسقط رأسه	اتجاهاته العلمية
01	أبا عمر أحمد بن الحسين بن محمد الطبني (ت 394هـ/ 1003م)	طبنة[1]	علم الحديث[2].
02	عبد الرّحمان بن عبد الله بن خالد الوهراني أبو القاسم المعروف بابن الخراز (ت411هـ/1020م)	وهران[3]	الحديث والفقه[4].
03	عبد الملك بن زياد الله بن علي الطبني أبو مروان(ت 457هـ/ 1064م)	طبنة	اللغة العربية والحديث[5].

[1]– طبنة: لقبت بأسماء متقاربة ومتشابهة مثل: ثوبونا عند بطليموس وطوبونيس في نصوص أغسطين، يقول الحموي: "... طبنة بضم أوله وثم السكون نون المفتوحة وهي فيما أحسب أعجمية ومثلها في العربية، الطبنة لعبة للأعراب، وهي خطة يخطّونها مستديرة وجمعها: طبن... وطبنة صوت الطنبور" تقع حاليا على بعد أربعة كلم جنوب شرق مدينة بريكة بولاية باتنة...ينظر: الحمويمعجم البلدان، ج4، 21؛ ياقوت عبد الحكيم، طبنة عبر التاريخ الشواهد الأثرية والأبحاث العلمية، مجلة الدراسات الأثرية، ع2018/1، جامعة الجزائر، الجزائر، ص22–23.

[2]– ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرّحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1997م، ص 62.

[3]– وهران: يعود تأسيس مدينة وهران إلى الفينيقيين وكانوا هم من أطلق عليها اسم المرسى الصغير تمييزا عن المرسى الكبير...يعدّ موقعها من أفضل المواقع الاستراتيجية في منطقة الغرب الجزائري، لأنها نشأت على ربوة قليلة الارتفاع...ينظر: محمد بن يوسف الزيان، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: الشيخ المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2012، ص46؛ العبدري، المصدر السابق، ص561.

[4]– الضبي أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1997م، ص 319.

[5]– المقري، المصدر السابق، ج4، ص 492.

التعليق: يتّضح من خلال الجدول المعروض عدد العلماء الذين كانوا يقيمون في مكة المكرمة خلال القرون الثلاثة الأولى من الحقبة الوسيطية، حيث تمكّنا من رصد ثلاثة علماء فقط، قدموا من مدن المغرب الأوسط قاصدين الحجاز، وقد أقاموا فيها لفترات زمنية متفاوتة، وفقا للظروف التي أحاطت بكل عالم على حِدَة، ويظهر هذا جليا عند استعراض تفاصيل حياتهم وتواريخ إقامتهم في مكة، مما يعكس اختلاف الظروف التي أدّت إلى أن يصبحوا من العلماء المجاورين بهذه المدينة المقدسة، من بين هؤلاء العلماء، نذكر بعض الأسماء التي كان لها دور بارز في هذه الحقبة وهم:

أحمد بن الحسين الطبني: يُعدّ أحمد بن الحسين بن محمد بن أسد بن محمد بن إبراهيم، أبو عمر، أحد أبرز أعلام الطبقة العلمية والأدبية الذين توافدوا على الأندلس في القرن الرابع الهجري، وينتمي إلى قبيلة بني سعد بن زيد مناة، وهو من أهل طُبنة، إحدى الحواضر المهمّة في إفريقية آنذاك[1].

شدَّ الرّحل إلى الأندلس في سياق الحركة العلمية الواسعة التي ميّزت ذلك العصر، فسمع من عدد من الشيوخ البارزين، منهم: قاسم بن أصبغ وابن أبي دُليم وغيرهما، وأخذ عنهم علما غزيرا وقد عُرف ابن الحسين بورعه وصلاحه وفضله، حتى إنّ المؤرخ الأندلسي ابن الفرضي روى عنه بعض ما حدّث به، ما يدلّ على مكانته العلمية ومصداقيته في الرواية، كما كان ابن الحسين من الشعراء الأدباء المُتفنّنين، إذ جمع بين علوّ القدر في الرواية وإجادة الأدب وذائقته الرفيعة، وهو امتداد لبيتٍ عُرف بالعلم والأدب والرئاسة،وتكشف سيرته عن شخصية جَمَعت بين العلم والخُلُق والأدب، ما أهّله ليكون من المراجع المُعتبرة

[1]– ابن ماكولا علي بن الأمير الحافظ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت.ن)، ج5، ص263

التي سجّلها مؤرخو الأندلس في تراجمهم، كانت رحلته الأولى إلى الأندلس مدخلا لتوسيع معارفه وتثبيت قدمه في علوم الحديث والأدب، إلا أنّ رحلته الثانية إلى المشرق شكّلت مرحلة أكثر عمقا في تكوينه العلمي، فقد قصد الحجاز لأداء فريضة الحج سنة 342هـ/954م، واغتنم وجوده في تلك الحواضر العلمية الكبرى للإكثار من السماع عن شيوخها المعتبرين[1].

لم تقتصر رحلته على التلقّي فحسب، بل كان له حضور علميّ فاعل في مجالس الحجاز، إذ عُرف بين أهل العلم هناك بسلامة الرواية وحسن الفهم، أسهم في نقل ما حصّله من معارف المغرب والأندلس إلى الوسط العلمي في مكة والمدينة جامعا بين الرواية والتعليق والمناقشة في تلك المجالس،وقد مكّنته هذه الرحلة من ترسيخ مكانته، وأسهمت في انتشار رواياته داخل الحجاز، الأمر الذي جعله حلقة وصل علمية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه ومنح تكوينه طابعا موسوعيا انعكس لاحقا في رواياته وشعره وأدبه[2].

عبد الرّحمن بن عبد الله الوهراني: هو عبد الرّحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني الوهراني المكنّى أبا القاسم، المعروف بابن الخرّاز، وهو من علماء المغرب الأوسط في القرنين الرّابع والخامس هجريين(10-11م)، روى عن علماء المشرق من أمثال: أبي عمر المروزي

[1]-ابن الفرضي، المصدر السابق، ص62.

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص128؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، 1980، ص201.

وتميم محمد القروي وغيرهما،كما سمع في العراق من أبي بكر أحمد بن جعفر القطيعي وأبي إسحاق البلخي وغيرهم، وأخذ عنه العلم يوسف بن عبد الله بن عبد البر وأبو محمد بن حزم[1].

كانت لعبد الرّحمن الوهراني (ابن الخرّاز) رحلة إلى المشرق، وكان الهدف الأصلي منهاهو أداء فريضة الحجّ،ويذكر الضبي أنّ هذا العالم كانت له رحلات لاحقة إلى الحجاز، أقام فيها نحو عشرين سنة، هذه الإقامة الطويلة والممتدة أكّدت ترسّخ مكانته في المراكز العلمية الحجازية، حيث تلقى العلم وعلّمه، ما جعله حلقة وصل علمية مهمة بين المشرق والمغرب الإسلامي[2].

عبد الملك بن زيادة الله الطبني: هو عبد الملك بن زياد الله بن علي بن حسين بن محمد بن أسد التميمي، المكنّى أبا مروان ينتمي إلى بيت علم ونباهة وأدب وجلالة ورياسة، جمع بين علم الحديث والشعر واللغة، روى عن عددٍ من الشيوخ وسمع منهم من أمثال: القاضي يونس بن عبد الله وأبي المطرف القانزعي وأبي القاسم الإفليلي وغيرهم[3].

إنّ العلاقة العلمية لأبي مروان التميمي بالحجاز تأسست على رحلاته المتعددة إلى المشرق والتي كانت تبدأ بأداء فريضة الحج[4]، وتشير المصادر ومنها الضبي[5] وابن

[1]– الضبي أحمد بن يحيى عميرة أبو جعفر، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1997، ص 319؛ ابن بشكوال، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، ط1، 1989م، ج3، ص 475.

[2]–الضبي، لمصدر السابق، ص 319؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص475.

[3]– الضبي، المصدر السابق، ص319؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص 528.

[4]– المقري، المصدر السّابق، ص 492.

[5]– الضبي، المصدر السابق، ص 319.

بشـــكوال[1]، إلى أنّه جاور في مكة المكرمة مرات عديدة، وهو ما يدل على ترســـيخ وجوده العلمي في المنطقة.

وقد تمثّلت إسهاماته المباشرة في الحجاز في النقاط التالية:

التلقِّي المباشرُ: سمع وأخذ العلم والرواية مباشرة عن شيوخ مكة والمدينة المنورة، مما وسّع من شبكة إسناده الحديثية، وتأكّد ذلك بروايته للحديث عن شيخه أبي القاسم بن بندار، وهو أحد سكان مكة[2].

التعليمُ والتحديثُ: لم يقتصر دوره على الأخذ، بل أصبح مُحدّثا، فقد حدّث في المشرق بما حصّـــله من علم، كما روى عن علماء من الأندلس، مما جعله قناة لنقل المعارف المغاربية إلى الأوساط العلمية في الحجاز ومصر[3].

بذلك، شكّلت إقامته المتكررة في الحجاز محطة حاسمة لتعزيز مكانته كراوٍ موثوق، وأصبح حلقة وصـــل فاعلة في نقل الروايات الحديثية وتبادل العلوم اللغوية والأدبية بين مراكز العلم في المشرق والغرب[4].

تُمثّل هذه المجموعة من أعلام المغرب الأوســـط –وإن كانت محدودة العدد– عيّنة تكشف عن تركُّز علمي في مدن المنطقة، ولكن الأهم هو أنّ سيرهم تؤكّد أنّ القرون الثلاثة الأولى من الحقبة الوسيطة –الرابع والخامس الهجري وما قبلهما– قد عَرَفَت بوضوح ظاهرة الرحلات الحجازية بهدف المجاورة في البقاع المقدسة، لقد كانت هذه الرحلات تتجاوز مجرد

[1]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص 528.

[2]–الضبي، المصدر السابق، ص319.

[3]–ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص475.

[4]– المصدر نفسه، ج3، ص475.

فريضـــة الحج، لتُشـكّل مرحلة تعميق للتحصـــيل العلمي، خاصـــة في علوم الحديث والرواية والفقه، وعليه، فإنّ هؤلاء العلماء الذين أقاموا وجاوروا في مكة والمدينة، كانوا حلقات وصـــل محورية في تبادل المعارف، ما منح تكوينهم طابعا موســـوعيا وعزّز مكانتهم العلمية في كلا شطريْ العالم الإسلامي.

2- أسبابُ تأخّرِ الرّحلةِ العلميةِ خلالَ القرونِ الثالثِ والرّابعِ والخامسِ والسادسِ هجرية (09- 10- 11- 12م).

عرف المغرب الأوسط في فترات تاريخية متفاوتة توافد العديد من الأقوام من المشرق: البربر والكنعانيين وحمير والمصريين وغيرهم، وقد شمل هذا التوافد كلّ مجال المغارب، لذلك تنوّعت أسباب الهجرة والوفادة من المشرق، بعد الانهزام في الحروب أو التهجير أو الهروب، أو غيرها من الأسباب التي شهدتها بلاد المشرق واستدعت الهجرة التي وطّدت العلاقات بين القطرين المشرقي والمغربي في الفترتين القديمة والوسيطة.

كان فتح مصر من الأمور التي لزم على المسلمين القيام بها في ظل الدعوة إلى دين جديد شامل وخاتم وهو دين الإسلام، الذي سيوحّد المنطقتين المشرقية والمغربية، فأجبر الفاتحين على تأمين الحدود الغربية لمصر، وهنا بدأت موجة الحملات لفتح بلاد المغرب الإسلامي[1].

تتمثّل الموجة الأولى في قدوم العرب الفاتحين والقيام بفتح المغرب الإسلامي سنة 27هـ/647م وكان قد ضمّ الجيش العربي آنذاك عددا كبيرا من الصحابة والتابعيين في

[1]- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس طباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1964، ص45.

المشرق[1]، من الشّام وأجناد دمشق[2]، ومن مصر وبلاد فارس وحتى خرسان، ثم تمّ لهم فتح بلاد المغرب الإسلامي دام من سنة 22هـ/620م حتى سنة 95هـ/714م والتي وجد الفاتحون أهلها إلى المسيحية وأرضهم متمكّنة من طرف محتلّ أجنبي ما عسر على ساكنيها الدفاع والنّهوض بأنفسهم؛ فوجدوا في الدّخيل الجديد الخلاص من البيزنطيين، فكانت هذه المرحلة مرحلة فتح وتوطيد وتنظيم بلاد المغرب[3].

وهنا نجد أنّ هذه الحقبة من وجود العنصر المشرقي في بلاد المغرب كانت لبناء مشروع بديلٍ عن المشروع الأجنبي البيزنطي الرّوماني، فكانت مرحلة الاندماج الجزئي لأبناء المغرب بعد الاطلاع على نصوص القرآن الكريم والسّنة النبويّة؛ مما عزّز التشابه بين العنصر البربري والعنصر المشرقي.

وممّا أخّر علماء المغرب الأوسط عن القيام بالرّحلة العلمية إلى بلاد الحجاز هي السّياسة الأُمويّة اتجاه ساكنة المغرب؛ ما شدّد المعارضة للحُكم الأُموي وخاصة الحركات الخارجية التي لم يتقبّلها البربر، ما جعلهم في حالة رفض دائمة وواضحة لسياسة الأُمويين خلال النّصف الأوّل من القرن الثاني الهجري(08م)، الأمر الذي أخّر عن البربر الإسلام والأخذ بتعاليمه؛ ما جعل ثقتهم تهتز إزاء الفاتحين[4].

---

[1]– البلاذري أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، نشره: صلاح الدين المنجد، شركة طبع الكتب العربية،(د.م.ن)، 1900، ص26؛لطفي بن ميلاد، المشارقة في إفريقيا خلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2013، ص 10 .

[2]– صلاح الدين المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلس في القرون الوسطى، ط1، دار الكتاب الحديد، بيروت–لبنان، 1963، ص17.

[3]– البلاذري، المصدر السابق، ص 266.

[4]– لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص97.

إضافة إلى الموجات المشرقية التي مثّلت كيانات سياسية شُكّلت على أرض المغرب أدّت إلى قطيعة كليّة بين المشرق والمغرب، والتشتّت داخل الدولة الأُمويّة وانعدام الأمن والذي شكّل أيضا سببا لعدم القيام بالرّحلة العلمية في النّصف الأوّل من القرن الثاني هجرية[1].

فهذا كلّه أدّى إلى ظهور وقيام دول وإمارات مستقلّة عن مركز الخلافة ببلاد المغرب الإسلامي والتي كان لها دورٌ تاريخي بارز على مستوى المغرب الأوسط التي عزّزت من تكوين ساكنته وتمثّلت هذه الدّول في الدّولة الرستمية (160هـ/296هـ) نسبة إلى عبد الرّحمان بن رستم الذي أنشأ الدولة الإباضية[2] بالمغرب الأوسط واتخذ من تاهرت عاصمة لها[3]، ونشر مذهبه في أوساط القبائل: كلواتة ولماية وهوارة ونفوسة ومزاتة[4]، وهنا، أخذت مدينة تاهرت في النّمو وذلك لما توفّر لها من أسباب الحضارة والرفاه، فكانت تتشبّه بقرطبة وبغداد ودمشق، وكانت تلقّب بعراق المغرب[5]، سكن بها أهل الكوفة والبصرة وأهل القيروان وكذا أهل الأندلس والعجم من أرباب الحرف والفنون وكان عددهم وافرا جدّا، الأمر الذي سيعود بالإيجاب على علماء المغرب الأوسط، وقد وفد على تاهرت كبار أعيان المشرق من بينهم نجد صقر قريش عبد الرّحمان الداخل الذي حلّ مستجيرا ببلاط أئمة تاهرت الذين أعانوه وأيّدوه حتى وصل الأندلس.

---

[1]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلّق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق: إبراهيم شيوخ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة- مصر، 1968، ج1، ص ص 180-215.

[2]- الإباضية: إحدى الطوائف الإسلامية، ويسمى مذهب الاستقامة أو مذهب أهل الاستقامة، تأسس على يد التابعي جابر بن زيد وهو من أخص تلاميذ عبد الله بن عباس، وسميت بالإباضية نسبة إلى عبد الله بن أباض التميمي... ينظر: أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص30.

[3]- المصدر نفسه، ص85.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 206.

[5]- الحموي، معجم البلدان، ج2، ص7- 8.

يتبيّن، من خلال استقراء المعطيات التاريخية وربط عناصرها في سياقها الزمني والمجالي، أنّ تأخّر رحلة علماء المغرب الأوسط إلى الحجاز خلال النصف الأوّل من القرن الثاني الهجري لا يمكن فهمه خارج البنية العامّة التي حكمت تشكّل المجتمع المغاربي في تلك المرحلة، فقد تداخل العامل السياسي بالعامل الاجتماعي، حيث أسهمت السياسة الأموية، بما انطوت عليه من مظاهر الغلبة والتشدّد في تدبير المجال المغاربي، في تعميق حالة النفور والاحتقان لدى ساكنته، ولا سيما في ظلّ انتشار الحركات الخارجية التي أفرزتها أوضاع الاضطراب والتمييز، وانعكس ذلك مباشرة على استقرار المجال وأمن مسالكه، الأمر الذي جعل شروط الرحلة، بما تستلزمه من طمأنينة واستمرارية، شبه منتفية.

وإلى جانب ذلك، فإنّ حداثة العهد بالإسلام في المغرب الأوسط أملت على علمائه الانصراف إلى تثبيت أصول الدّين وتقويم الممارسة الدينية داخل المجتمع المحلي، قبل التوجّه إلى تحصيل العلوم في مراكزها المشرقية، وهو توجّه ينسجم مع منطق العمران الذي يقتضي تقديم الضروري على الكمالي، كما زاد من حدّة هذا المسار انفصال المجال المغاربي تدريجيًا عن مركز الخلافة، وظهور كيانات سياسية مستقلّة، من أبرزها الدولة الرستمية، التي أسّست لنمط جديد من التنظيم العلمي، جعل من تاهرت قطبًا معرفيًا استقطب علماء وافدين من المشرق والأندلس، وأتاح تداول المعرفة داخل المجال دون الحاجة الملحّة إلى الارتحال خارجه، وعليه، فإنّ تأخّر الرحلة العلمية لا يُفهم بوصفه قطيعة معرفية، بل هو تعبير عن مرحلة انتقالية في تشكّل العمران العلمي بالمغرب الأوسط، ستتجاوزها المنطقة لاحقًا مع تحقّق الاستقرار واتساع دائرة الاتصال بالمشرق وهو مسنراه في الفصل الثاني والثالث.

أ- الأسبابُ الطبيعيةُ:

تعرّضت بلاد المغرب خلال النّصف الأول من الحقبة الوسيطية خاصّة خلال القرنيين الثالث والرّابع الهجريين (09-10م) إلى بعضالمحن والشدائد جرّاء الجوائح التي مسّت الإنسان والحيوان وحتى النبات: كالقحط والأوبئة والسيول، وهي مجموعة الأسباب التي أدّت إلى تراجع عدد الرحلات أو تأخّرها، أو اختصار مدّتها بسبب ضعف التمويل وقلّة الدعم العلمي، بإضافة إلى بُعد المسافة واتساع المجال الجغرافي ونستدل هنا بما ذكره الإدريسي عن طول الطريق وصعوبة اجتيازه من المغرب الإسلامي إلى بلاد المشرق بقوله: "... أطول المسالك وأصعبها..."[1].

- **القحطُ وانتشارُ الأوبئةِ والأمراضِ:** بخصوص هذه الظاهرة يذكر ابن أبي زرع أنّه عرفت بلاد المغرب قحوطا عظيمة، فنضبت المياه، وظلّ القحط يتوالى إلى غاية النّصف الثاني من القرن الثالث الهجري (09م)[2]، وكان ابن عذارى قد ذكر ذلك[3] مؤكّدا: "... وفي سنة 303هـ/916م حدثت مجاعة عظيمة شبهت بالمجاعة التي حدثت سنة 258هـ التي

[1]- الإدريسي أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ت.ن)، ج1، ص121-130.

[2]- ابن أبي زرع أبو الحسن، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صححه وطبعه ونشره وترجمه: كارل يوجنتورنبرغ، دار الطباعة المدرسة أوسباله، بيروت- لبنان، ص96.

[3]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، مكتبة صادر، بيروت- لبنان، 1950، ج1، ص149.

بلغت مبلغا لا عهد لهم مثله، حتى أنّ النّاس أكلت بعضها بعضا[1]،حتى أنه تكرّرت مثل هذه المجاعة سنة 307هـ/919م[2].

هنا أيضا يذكر ابن عذارى أنّ قحط سنة 303هـ/916م رافقه وباء عظيم، راح ضحيّته الكثير حتى يُقال أنّ النّاس قد عجزوا عن دفن موتاهم[3]، وتكرّر مثل هذا الوباء سنة 307هـ/920م، فكان في هذه السّنة طاعون شديد، وفيها أيضا هبّت الريح السّوداء سدّت الأفق حتى أنّ الرّجل منهم لا يرى جليسه، وكانت قد دامت لأيام كما قلعت الأشجار وهدّمت الدور وأدّت إلى حدوث كوارث وهو الأمر الذي أدّى إلى تأثّر حركة السكان وارتفاع معدل الوفيات وانقطاع الطرق مؤقتا ما أثّرعلى الرحلة العلمية من خلال تعطّل طرق الحج –التي هي طريق علمي أيضا– بسبب نقص القوافل أو الخشية من حمل المرض[4].

بعدها شهدت البلاد أيضا وباء عظيما سنة 317هـ/929م كان قد شمل الأجزاء الشرقية من المغرب وكان لا يقلّ قساوة عمّا تقدّمه من الأوبئة، وهلك فيه الكثير من النّاس، فمات فيه طبقات من النّاس، أهل العلم والتجار والنّساء ما لا يحصى عددهم[5].

– **الحرائقُ والفيضاناتُ:** شهدت بلاد المغرب الإسلامي خاصّة في جزئه الأوسط حرائق كانت خسائرها فادحة مع نهاية القرن الثالث الهجري (09م) وامتدت للقرن الرابع هجري

---

[1]– ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص173؛ السّلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء– المغرب، 1954 ج1، ص83؛ جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع هجريين(9–10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت.ن)، ص454.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص173.

[3]– ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص173.

[4]– ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص181؛ السّلاوي، المرجع السابق، ج1، ص83؛ إبراهيم القادري، الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، 1995، ص23.

[5]– ابن عذارى، المصدر نفسه، ص194.

(10م)، وكان هذا بسبب الحروب، من أمثلة ذلك أنّ أبا عبد الله الشيعي[1] عند دخوله إلى إفريقية نصّب على مدنها الدبابات –نوع من المنجقيات– ورماها بالنّار فأحرقها[2]، وهي نفس السّياسة التي مارسها ضدّ مضارب زناتة، حيث دخل تاهرت فانتهبها وانتهك حرمتها وأهلك الحرث والنّسل[3].

وفي سنة 298هـ/910م حارب زناتة وأحرق بعض المدن بالنّار، وحين دخلت جنود عبيد الله المهدي[4] مدينة تاهرت سنة 299هـ/911م قام بإحراق المدينة بالنّار وقد وصف هذا المشهد ابن أبي زرع حين قال:"... وأحرقت النّار أسواق تاهرت قاعدة زناتة ... وكان ذلك كلّه في شوال من سنة 305هـ فسُميت سنة النّار..."[5].

يتّضح لنا من خلال ما ذُكِر في المصادر أنّ الفاطميين كانوا يقومون بحرق كل المدن التي يُستعصى عليهم فتحها وهو الأمر الذي خلّف أثارا مباشرة وغير مباشرة على الرحلة العلمية وحركة الرحلة الى بلاد المشرق وحتى الأندلس، من خلال تدمير المراكز العلمية، فنجد أنه قد تضررت المدارس والمساجد وحلقات الدرس، مما أدّى إلى انهيار البنية العلمية المحلية

---

[1]– أبو عبد الله الشيعي: هو داعي المغرب أبو عبد الله الحسن ابن محمد بن زكريا، أصله من الكوفة ويعرف بالمعلم لتعليمه الناس مذهب الإمامية الباطنية(ت 298هـ/910م)... ينظر: ابن الخطيب أبو عبد الله السلماني، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1978، ص34؛ وهو عبد الله المشرقي عند ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص30؛ وهو عبد الله المحتسب الصنعاني عند القاضي النعمان... ينظر: القاضي النعمان بن محمد، افتتاح الدعوى، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1976، ص30.

[2]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص ص456–461.

[3]– الدرجيني أبو العباس احمد بن سعيد، طبقات مشائخ المغرب، تحقيق: إبراهيم طلاى، مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر، (د. ت. ن)، ج1، ص94.

[4]– عبيد الله المهدي: إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية يعود نسبه إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق توفي سنة 322هـ/934م، خلفه ابنه أبو القاسم محمد وكانت فترته بمنزلة عهد التأسيس وإرساء القواعد... ينظر: حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة– مصر، 1957، ص17.

[5]: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 61؛ السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 83.

مؤقتا، وتعطيل الدروس وفقد العلماء أماكن التدريس ما أدّى إلى تأخر تنظيم الرحلة العلمية؛ لأنّ العلماء أصبحوا منشغلين بإعادة الاستقرار المحلي بدل السفر[1]، ويشيرالذهبي في العبر عند عرضه لأحداث القرن الرابع الهجري إلى أنّ وفود العلماء من المغرب كانت قليلة مقارنة بغيرهم من أقاليم الإسلام، ويُرجع ذلك إلى عدة عوامل من أهمها: الاضطرابات السياسية جرّاء الدخول الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي، وما نتج عنه من خراب وفتن أثّرت في الأمن والطرق[2].

أمّا **الفيضانات**، فقد شهد المغرب الأوسط فيضانات غزيرة تسبّبت في تهديم الجسور والقناطر وإغراق بعض المساكن وتهديمها وإتلاف المزارع، وكانت عواقبها وخيمة جدّا خاصة على الفقراء وكان سبب في تشريدهم، ومن هذه الأمطار تلك التي هطلت على أبي القاسم الفاطمي، وفرضت عليه الإقامة شهرا متواصلا في سوق إبراهيم بالمغرب الأوسط قرب وادي الشلف سنة 315هـ/997م إضافة إلى العواصف العاتية[3].

ما يُلاحظ من خلال هاته الجوائح التي أصابت بلاد المغرب أنها تسبّبت في أزمات اقتصادية واجتماعية وحتى أزمات ثقافية، حيث أنها تركت أثرا سلبيا على الإنتاج الفلاحي[4]وروح الحياة الاقتصادية، إذإنّه رافق القحط الذي حدث سنة 303هـ/923م "...انعدام

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج1، ص 365.

[2] - الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: عبد العزيز المنجد، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، الكويت، 1960، ج2، ص208.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص 162-166؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص45.

[4]- يشير الونشريسي في العديد من نوازله إلى الجوائح التي تصيب المحاصيل في المغرب ومنها السيول والجفاف والقحط وكذلك الصراصير والحشرات الضارة كالجراد وبق الفراش...ينظر: الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط-المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1981، ج5، ص243.

الأقوات وارتفاع الأسعار حتى وصل مدّ[1] القمح ثلاثة دنانير..."[2]، وهو المبلغ الذي لم يكن غالبية النّاس ميسّرا لهم، ففي سنة 316هـ/998م والسّنة التي تليها كان هناك غلاءٌ في الأسعار نتيجة لقلّة الإنتاج، وبالتالي، كان هناك ضعف في الحالة الاقتصادية وذلك نتيجة القحط الذي أتى على البلاد "... فبلغ القفيز[3] من القمح بالكيل القرطبي مثقال ذهب..."وبالتالي، فيصبح السفر مكلفا أو غير ممكنا؛ ممّا يدفع العلماء إلى تأجيل الرحلة حتى تستقر الأوضاع الاقتصادية[4].

ما يجب أن نعرفه أنّ الجوائح التي مرّت بها بلاد المغرب خلّفت أزمات اقتصادية، وأنّها جوائح ليست آنية بل تمتد لسنوات، وإذا مسّت الجائحة منطقة في بلاد المغرب فحتما سيمسّ الضرر المناطق الأخرى، كما أثّرت مجريات الحروب الطاحنة بين الفاطميين وقبائل المغرب الأوسط خاصة الزناتية منها على مصير الحياة الثقافية خاصة بعد تدهور طرق التجارة التي كان يسلكها طلبة العلم في الترحال والتنقل، الأمر الذي أدّى إلى تدهور وضعف العلم في بلاد المغرب.

لقد تركت الأسباب الاقتصادية أثرا بالغا على البنية الاجتماعية لبلاد المغرب الإسلامي، إذ دفعت السكان إلى أوضاع معيشية صعبة لا يُحسدون عليها، فقد شهدت

---

[1]- المدّ: من المكاييل السائدة في معظم بلدان المغرب، تؤدّى به الصدقات والزكاة كان حوالي رطل وثلث والمعروف أنّ الرطل يساوي ستة أعشر أوقية... ينظر: كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1996، ج2، ص265.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص194؛ السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص83.

[3]- القفيز: وهو من مكاييل الحبوب والمواد الجافة يساوي 8 وبيات والوبية تساوي أربعة أثمان، والثمنة تساوي 6 أمداد، فإنّ القفيز القيرواني على 32 ثمنه و192 مدّا قيروانيا... ينظر: الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن12م، نقله إلى العربية: حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992، ج2، ص265.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص194؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص463.

المنطقة خلال العصر الوسيط حالة من الاضطراب الاقتصادي بسبب تقلّبات الإنتاج الزراعي، وضعف البنية التجارية، وتراجع عائدات الدولة نتيجة الصراعات المتكررة، الأمر الذي انعكس مباشرة على مستوى الأمن الاجتماعي والاقتصادي[1].

وإلى جانب هذه العوامل، عاش المغرب الإسلامي عموما حالة من التجزئة السياسية، بفعل تناوب عدد كبير من الأنظمة والدول على حكمه، مثل: المرابطين والموحدين والزيانيين والحفصيين، وغيرها من الكيانات التي لم تستطع في كثير من الأحيان فرض سلطة مركزية قوية ومستقرة، وقد أدّى هذا التعدد السياسي إلى تشظّي الولاءات داخل المجتمع، حيث استمر اعتماد السكان على الانتماءات القبلية والعشائرية من منطلق كونها الإطار الأكثر استقرارا مقارنة بالسلطة المركزية المتغيّرة.

هذه البنية القبلية، على الرغم من أنها كانت وسيلة حماية اجتماعية، فإنّها خلقت نوعا من التنافس المحلي وضعفت معها سلطة الدولة، وهو ما انعكس على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، ولم تكن الحياة العلمية بمنأى عن ذلك؛ فغياب الاستقرار السياسي وتقلّص موارد الدولة أدّيا إلى تراجع تمويل المدارس والزوايا والمساجد العلمية وهجرة العلماء نحو مناطق أكثر استقرارا وتعطّل حلقات العلم لفترات طويلة بسبب الاضطرابات وكذلك غياب سياسة علمية موحّدة ترتقي بالمعرفة وتطويرها[2].

وبذلك يمكن القول إنّ التداخل بين العامل الاقتصادي والتجزئة السياسية والنزعة القبلية أسهم في خلق بيئة غير مستقرة حدّت من ازدهار العلوم والمعارف بالمغرب الإسلامي

[1]–ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص194.

[2]– السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص83.

خلال العصـــر الوســـيط، وجعلت المنظومة العلمية تعاني من ضـــعف في البناء والتطوير والاستمرارية.

ب- الثوراتُ الخارجيةُ الإباضيةُ بالمغربِ الأوسطِ:

قامت ببلاد المغرب بعض الثورات الخارجية، والتي يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

قبل ثورة أبي يزيد الخارجي: من بين هذه الثورات الخارجية التي شهدتها بلاد المغرب، نتعرّض إلى واحدة منها وهي:

- **ثورة أبي بطة (310هـ/ 922م):** تمكّن إباضية نفوسة من إحياء الإمامة الإباضية بعد سقوطها في تاهرت، وكان قد بايع مشايخهم أبا يحيى الأرجاني المعروف بأبي بطة بإمامة الدفاع[1]، وشكّلوا مجلسا من مشايخ الذهب وقام زكرياء بالإغارة على الوالي الفاطمي بطرابلس علي بن سلمان الكتامي فهزمه الكثير من رجاله، بعد هذه الأحداث تشجّع المهدي وبعث بجيشه لغزو نفوسة وكان ذلك سنة 310هـ/922م إلا أنّ محاولته الثانية أيضا باءت بالفشل وهُزِمَتْ جيوشه عند قرية الجزيرة وهي منطقة بالقرب من نفوسة، إلا أنّه أعاد الكرّة في العام

[1]- تنقسم الإمامة عند الإباضية إلى أربعة أقسام تعرف بمسالك الدين وهي إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان... ينظر: أبو حفص عمر، مقدمة التوحيد، شرح: أبي العباس الشماخي وأبي سليمان التلاتي، ط02، (د.ت،ن)، الجزائر، 1973، ص69؛ عوض خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان،(د.د.ن)، عمان- الأردن، 1982، ص75؛ إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في المغرب الإسلامي، "ليبيا، تونس، المغرب، موريطانيا"، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، دار العودة، بيروت- لبنان، 1976، ص235.

التالي سنة 311هـ/923م[1]، ولم تختلف عن سابقتها وخرج الفاطميون حصن أبي بطة ونكّل بأنصاره النّفوسيين قتلا وسبيا وكان هذا أواخر شعبان 311هـ/923م[2].

- **ثورة محمد بن خزر المغراوي (312هـ/924م):** نشطت حركة محمد بن خزر المغراوي[3] في مجلات الزّاب وإفريقية وتلمسان في وقت مبكّر، إذ إنّه لمّا تعرّض موكب عبيد الله عند الرّجوع من سجلماسة ومرورهم بأرض تاهرت، ربط صلة مع بني دلوس من سكان المدينة؛ فحثّوه على الزّحف إلى تاهرت لإخراج دواس بن صولات عامل الشيعة على تاهرت وطرد حامية كتامة[4] ووعدوه بالتأييد والمساعدة، لكن تسرّب أخبارها جعل محمد بن خرز يزحف إلى تاهرت، وهو ما جعل المهدي يعيّن مصالة بن حبوس أميرا على تاهرت سنة299هـ/ 911-912م وكل بقيادة حملة تأييدية ضدّ محمد بن خرز من زناتة[5].

---

[1]- محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى حقائق جديدة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 1991، ص235؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1975، ص408.

[2]- موسى لقبال، المرجع نفسه، ص407-408.

[3]- محمد بن خرز المغراوي: هو محمد بن خرز المغراوي بن يعلى بن صالح اليفريني من أشهر رؤساء تاهرت بداية الوجود الفاطمي بالمغرب الإسلامي. ينظر مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، مؤسسة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج2، ص145.

[4]- كتامة: حسب ابن خلدون فإنّ هذه القبيلة من ولد كتام بن برنس...ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص301؛ وهم قوم من سكان الجبال أولوا بأس تعرف بهم عبد الله في الحج وكانوا مؤيدين للدولة الفاطمية ويمثلون القوة العسكرية والهياكل الأساسية للدولة الجديدة... ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص34؛ الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص40؛ وحسب القاضي النعمان فإن حدود بلد كتامة تبعد عن رقادة مسيرة عشرة أيام وتحدها كل من ميلة وسطيف وبلزمة. ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص64؛ سكنت كتامة المغرب الأوسط مع صنهاجة وتحتل المنطقة ما بين مدينتي بجاية وقسنطينة؛ جمال الدين عبد الله، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر- مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1991، ص19.

[5]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص ص 250-251-253.

فبدأ الإعداد لهذه الحملة سنة 310هـ/922م واكتمل إعدادها سنة 312هـ/924-925م، فقصد مصالة مضارب زنّاتة في المغرب الأقصى، فقتل ونهب وسلب، ودارت بينه وبين محمد بن خرز حرب طاحنة استغلّ فيها ابن خرز الفرصة وقاتل مصالة بن حبوس حتّى تمكّن منه وكان ذلك في 20 شعبان 312هـ/21 نوفمبر 924م[1].

بعد مقتل مصالة، وُلِّيَ المهدي مكانه أخاه يصل بن حبوس على رأس ولاية تاهرت وأرسله في أثر محمد بن خرز الذي دخل وترك أخاه عبد الله بن خرز عنه، فدارت وقائع كثيرة بين عبد الله بن خرز ووالي تاهرت من قبل أخيه محمد أمير زناتة وقبائل البربر بأسرها ومعه قبيلة لماية وما جاورها من قبائل[2].

وهنا التقى الجيشان الفاطمي وجيش ابن خرز في واد مطماطة، وههنا حارب عبد الله بن خرز موسى بن محمد الكتامي الذي كان على رأس جيش المهدي وانتصر عليه، وبهذا دخلت تاهرت ولايته وطاعة أخيه، كما خضعت له بلاد ما بين الزّاب والجريد؛ فعظم الخطب على الشيعة[3]، وما كان من المهدي إلاّ أن أرسل سنة 315هـ/927م ابنه أبا القاسم القائم بالله في 9 صفر 315هـ/ 927م، فقضى على حركة ابن خرز الذي انتهى به الحال إلى الهروب إلى جبل نفوسة يائسا، وأصبح الجبل منذ الحين مقرا للمقاومة الإباضية ضده الحكم الفاطمي[4].

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص191؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص452؛ موسى لقبال، المرجع السابق، ص354؛ جمال الدين عبد الله، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1991،ص66.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص191؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص190.

[3]- مبارك الميلي، الرجع السابق، ج2، ص141-142.

[4]- المقريزي أبو العباس أحمد بن علي الحسيني البعلي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2001، ج1، ص105؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص154-155؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص94.

-ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد الزناتي[1] (316-336هـ/972-948م): تطلّع أبو يزيد إلى تكوين دولة إباضية كبيرة متأثرة بتعاليم المذهب الإباضي[2]، وكان هدفهم الأول هو إقامة دولة لهم في المنطقة ليس فقط في المغرب الأوسط بل في كامل المغرب الإسلامي خاصة النّكارية[3] منهم، بعدما احتفظت الخوارج الوهابية[4] بالسّلطة في تاهرت، وبعد سقوط هذه الأخيرة حان الوقت لكي يكون للنّكارية دور في التاريخ عن طريق إقامة دولة لهم من أجل إعادة التوازن[5].

وتجدر الإشارة إلى أنّ ثورة أبي يزيد ذات طابع وطني، الغرض منها كان إنشاء حكومة من البربر لا يشترك فيها العرب، وذلك أنّ البربر رأوا أنّهم هم من فتحوا الأندلس بدمائهم وسيوفهم وبذلوا جهدهم في تولية الدولة الفاطمية الخلافة في القيروان، دون أن ينالوا شيئا من ثمار أعمالهم، ولذلك تزعّم أبو يزيد ثورة هؤلاء البربر، ووجد منهم إقبالا كبيرا وتشجيعا لدعوته

---

[1]- أبو يزيد بن مخلد بن كيداد اليفريني: كنيته أبو زيد واسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله ابن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وزغت بن تقرابسن بن سميدان بن جانا، وهو من بني يفرن إحدى قبائل زناتة، ولد حوالي(270هـ/883م) بالسودان بكوكو ...رجع أبوه إلى زناتة ببلاد قسطيلية ونزل بتوزة؛ فنشأ بها أبو يزيد وتعلم القرآن وخالط النكارية من الخوارج فمال إلى مذهبهم وأخذ به، كان قبيح الصورة قصير أعرج وفي فمه شامة...، كان على حال من الخصاصة والفقر... سمي صاحب الحمار لركوبه حمارا أشهب أهدي إليه بمرمجانة لما أراد القيام بالثورة... ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص52-53؛ الداعي إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1985، ج5، ص265؛ ابن كثير أبو الفداء عماد الدين بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار الهجرة للطبع والنشر، القاهرة- مصر، 1998، ج15، ص164؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص235.

[2]- محمد إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب-حتى منتصف القرن 4هـ، دار الثقافة، المغرب، 1985، ص241.

[3]- النكارية: ظهرت في بلاد المغرب سنة 171هـ على إثر وفاة عبد الرحمان بن رستم. ثم إسناد هذا اللقب للجماعة التي رفضت إمامة عبد الوهاب وقد سُمُّوا بأسماء مختلفة بما في ذلك النكار بسبب رفضهم إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم... ينظر: محمد حسن الإباضية نشأتها وعقائدها، ط1، دار النشر الأهلية، بيروت- لبنان، 2011، ص64.

[4]- الخوارج الوهابية: هي الإباضية الأم الحاكمة للدولة الرستمية، وهي نسبة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رستم. ينظر؛ ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1986م، 20.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج4، ص52.

خاصة من العناصر الغاضبة والناقمة عن الفاطميين، وهذا يعود إلى عدة اعتبارات، أهمها: أنّ الفاطميين خيبوا أمل المغاربة جميعا، خاصة بعد كل الأماني التي منّاهم بها أبو عبد الله الشيعي[1].

كانت ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد الزنّاتي على المغرب الأوسط من بين العوامل التي أسهمت في اضطراب الأوضاع السياسية والأمنية بالمنطقة، ويُرجَّح أن تكون قد شكّلت أحد الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى تأخّر رحلات علماء المغرب الأوسط إلى الحجاز، نتيجة ما خلّفته من عدم استقرار أثّر في حركة التنقّل والارتحال العلمي، وأدّت أيضاالاضطرابات التي شهدتها المنطقة إلى تعطيلٍ واسع للمؤسّسات العلمية، الأمر الذي انعكس سلبا على البنى المعرفية والاجتماعية فيها، فقد تسبّب تدمير الطرقات وشبكات النقل في عزل المراكز الحضرية عن محيطها، مما أعاق حركة العلماء وقيّد انتقالهم بين مواقع التعليم المختلفة، ومع تفاقم الظروف الأمنية، اضطرّ عدد كبير من العلماء إلى الهجرة نحو مناطق أكثر استقرارا، في حين لجأ آخرون إلى المناطق الجبلية النائية حفاظا على حياتهم وعلى ما يمتلكونه من معارف، وفي ظل هذا الفراغ العلمي، برز دور الأئمّة بوصفهم الفئة الأقدر على التواصل مع المجتمع، إذ تولّوا مهمّة توجيه الناس والقيام بوظائف علمية ودعوية كانت في الأصل منوطة بالمؤسّسات التعليمية الرسمية وهكذا أسهمت هذه التحوّلات في إعادة تشكيل المشهد العلمي عبر انتقال مركز الثقل من المؤسّسات إلى الأفراد الذين حافظوا على استمرارية المعرفة في ظروف شديدة الاضطراب[2].

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص19؛ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف ق4هـ، ص242؛ محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص200.

[2]- المرجع نفسه، 94-95.

إنّ تتبّع الثورات والاضطرابات التي شهدها المغرب الإسلامي عبر مراحل متعددة يكشف أنّ هذه التحوّلات السياسية والاجتماعية لم تكن أحداثا عابرة، بل كان لها انعكاس مباشر وعميق على البنية العلمية والمعرفية في المنطقة، فبقدر ما تُحدِث الثورات تغييرات في موازين القوى السياسية، فإنها كذلك تعصف بمؤسسات التعليم والبحث التي تحتاج بطبيعتها إلى الاستقرار والتمويل والرعاية المستمرة.

-حضورُ العربِ الهلاليةِ بالمغربِ الأوسطِ:

أخر هذه الأسباب التي جعلت من الرّحلة العلمية تتأخّر لدى علماء المغرب الأوسط نحو الحجاز هو حضور العرب الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي، خاصّة أنّ الحضور الهلالي في المغرب كان أعمق مقارنة بالفتح الإسلامي ويرجع ذلك لعوامل عديدة منها: تفتّت العصبيات البربرية من أبرزها: كتامة وهوارة[1]، فبعد أن كانت كتامة من أقوى القبائل البربرية بالمغرب وأطولهم باعا في الملك استنزفت قوتها في ظلّ الوجود الشيعي في المغرب[2]،وتمّ تصفية رؤوسها من قِبَل الخليفة المهدي (297هـ-322هـ/909م-934م)[3].

كما أجبر الخليفة المنصور(304هـ-341هـ/945م-934) أربعة عشر ألف بيت كتامي على الانتقال إلى العاصمة الجديدة في المنصورة بإفريقية، ناهيك على سياسة التقرّب

[1]- هوارة: من بطون البرانس باتفاق من نسابة العرب والبربر، ولد هوار بن أوريغ بن برنس إلا من يزعم بعضهم أنهم من عرب اليمن، أمّا بطون هوارة، فكثيرة وأكثرهم بنو بنه وبنو أوريغ، وكان لأوريغ أربعة من الولد: هوار وهو أكبرهم ومعز وقلدن ومنذ. ابن خلدون، العبر، ج6، 182-183؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص184.

[2]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص47.

[3]- ابن حماد الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، دار الصحوة، القاهرة- مصر، (د.ت.ن)، ص23-24.

التي اعتمدها الخليفة الفاطمي المعزّ لدين الله الفاطمي استعدادا للانتقال إلى المشرق[1]، واتخاذ القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية وهنالك ذابت كتامة في ترف الدولة الفاطمية وبذخها[2].

هذا الأمر كان أثره سلبيا على مجال المغرب الأوسط الذي تقلّص ساكنته ولم يبقَ من فروعها سوى قبائل زلدوي وأهل جيجل وزواوة وقبائل سيدوكش، لذلك لمّا وصل العرب إلى بسائط بجاية وقسنطينة[3] سهّل عليهم استباحة المنطقة والتوطين بأراضيها.

أمّا قبيلة هوارة التي كانت تدور في فلك النّكارية، فقد تعرّضت للإبادة من طرف الخلافة الشّيعية[4]، خاصة بعد ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد الزناتي، حيث تعرّضت على إثرها مدينة غدير واروا (برج الغدير) إلى التدمير؛ فقُتِلَ منهم الكثير وسُبِيَ ذراريهم وأُحرِقَت ديارهم ما جعل مجالهم فارغا[5].

وعليه، فإنّ الأسباب التي سبق ذكرها ساهمت بشكل أو آخر في تأخير خروج العلماء للرّحلة العلمية لبلاد الحجاز أو غيرها من البلاد.

- الرحلةُ العلميةُ لعلماءِ المغربِ الأوسطِ إلى الحجازِ على عهدِ المرابطينَ والموحّدينَ:

عرفت منطقة بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس والسادس هجريين (10-11م) حِقبة مزدهرة نشأت على أرضه أكبر دولتين عرفتهما المنطقة، فبعد أن كانت دويلات متفرقة

---

[1]- بوبة مجاني، المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، منشورات زمن، الرباط- المغرب، 2005، ص19.

[2]- طاهر بونابي، القبيلة والدولة بقلعة بني حماد، أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة المسيلة-الجزائر، 2007، ص119.

[3]- طاهر بونابي، ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية، ع2011/12، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسنطينة-الجزائر، ص119.

[4]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص260.

[5]- محمد إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص241.

أصـبحت دولة وطيدة تولّى مقاليد أمرها المرابطين الذين عملوا على توحيد أقطارها وبسـطوا نفوذهم في الاتحاد وسـار على خطاهم الحكّام الموحّدين؛ فكانت لها دورها السـياسـي والاقتصـادي والثقافي الذي انعكس على الحياة في الدولتين وأثر في الحركة الفكرية والتبادل الثقافي بين المشرق والمغرب.

أ- الرحلةُ على عهدِ المرابطينَ:

شـهد المغرب الإسـلامي في النصـف الأول من القرن الخامس الهجري بروز حركة دينية إصـلاحية انطلقت من صـحراء جنوب المغرب الأقصـى، وقد جاءت هذه الحركة بهدف نشر العقيدة الصـحيحة ومحاربة الانحرافات الدينية التي انتشـرت في تلك المناطق، واسـتطاعت هذه الحركة أنّ توحّد قبائل الصـحراء وتمتد شـمالا لتُقيم دولة قوية في المغرب[1] وهي دولة المرابطين[2].

مهّدت الرحلة الى الحج الى قيام دولة المرابطين بعد أن ارتحل الأمير يحي بن إبراهيم لأداء فريضـة الحج تارك الحكم لابنه إبراهيم سـنة 427هـ/1035موكانت العادة آنذاك أن يقترن الحج بطلب العلم ولقاء المشـايخ، وعند عودته من الحج مرّ في طريقه إلى القيروان

[1]- حسن علي حسن، الحضارة السامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحّدين، مكتبة الخاندي، مصر، 1980، ص180.

[2]- المرابطين: سـمو بذلك تيمّنا بالرباط وهو المرابطة أطلقها يوسـف بن تاشـفين على إخوانه بعد أن زاد عددهم عن ألف رجل، لذلك كانت حركة المرابطين مبنية على أساس ديني والدعوة الى الجهاد في سبيل الله ... ينظر؛ جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصـور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصـمد هيكل، تحقيق: مصـطفى أبو ضـيف أحمد، مطبعة الانتصارات، الإسكندرية، 1991، ص271.

التي تعدّ مركزا للعلم وتســـتقطب العلماء من مختلف الأنحاء؛[1] فأخذ عن علمائها الفقه والتجويد وعلم الحديث[2].

ترسّـــخت أركان الدولة على عهد يوســف بن تاشــفين 413هـ-500م/1071-1107م وبلغت أقصــى نقطة في التوسـع وصـلت أطرافها إلى شـمال الأندلس، حتى تخوم السـودان، وشـرق المغرب الأوسـط[3]، شـهدت في هذه المرحلة تطورا في مختلف المجالات وتوسـعت علاقاتها مع المشرق الإسلامي وخاصـة في المجال الثقافي والعلمي بفضـل الرحلات العلمية المتواصــلة للمغاربة؛ فوجدنا أسـماء كثيرة كانت قد ترجمت لهم الكتب من الغرب الإســلامي عامة، فنجد علماء من المغرب الأقصـــى والأندلس والقيروان كانوا قد جاوروا بالحجاز وأخذوا عن علمائها من أمثال العالم يحي بن محمد بن سعادة وهو من أهل افريقية، أيضا نجد يحي بن سعدون بن محمد الأزدي المكنّى بأبي بكر[4] وهو من أهل قرطبة[5]، وصلت الرحلة العلمية بين المغرب الإسلامي والمشرق إلى ذورتها وهذا ما لاحظناه ولمسناه في كثرة اهتمام المغاربة بالاطلاع على المشرق واستقائهم العلم عن مشايخ ومحدّثين وفقهاء هناك.

رغم النشـــاط العلمي المزدهر في المغرب الإســـلامي خلال تلك الحقبة، إلا أنّنا لم نتوصـل في المصـادر المتاحة إلى أسـماء واضـحة لعلماء رحلوا من المغربالأوسـط بالتحديد إلى المشـرق أو إلى الحجاز لأخذ العلم مباشـرة عن شـيوخه هناك، كما فعل علماء المغرب

---

[1]- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1985، ص20.

[2] - حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، (د.ت. ن)، ص105.

[3]- إبرهيم قادر بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1993، ص12,

[4]-يحي بن سعدون بن محمد الأزدي المكنى بأبي بكر(ت567هـ/1172م) شيخ فاضل عالم بالقراءات والحديث واللغة له شعر ولد بقرطبة وتعلّم بمصر والحجاز وبغداد وأقام بدمشق، استوطن الموصل وتوفي بها...ينظر: الداودي، المصدر السابق، ج2، ص 369؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص78.

[5]- ابن الآبار، المصدر السابق، ص177.

الأقصـــى أو الأندلس أو حتى من القيروان، ويبدو أنّ الإشـــكال لا يكمن في وجود عوائق ســياســية أو جغرافية تمنعهم من الرحلة، إذ إنّ طرق القوافل والحج كانت مفتوحة وآمنة في معظم الحقب وربما يعود الغياب النسبي لهؤلاء الأعلام إلى ندرة التدوين في المغرب الأوسط مقارنة بجيرانه، أو ضياع الكثير من المصادر المحلية بسبب الاضطرابات السياسية المتكررة كما يحتمل أن تكون حركة العلماء داخل المغرب والأندلس أكثر نشـــاطا من رحلتهم إلى المشرق، مما جعل إنتاجهم العلمي محصورا في نطاقهم الإقليمي دون أن يُنقل إلى سجلات المؤرّخين المشارقة[1].

ب- الرحلةُ على عهدِ الموحّدينَ.

لقد كانت الرحلة في طلب العلم أمرا شائعا بين العلماء وطلبة العلم في المغرب الإسلامي للأخذ من المشايخ مباشرة؛ وذلك لأهمية المشرق الإسلامي وما يزخر به من علوم ومعارف[2].

كان للموحّدين -بما امتازوا به من رؤية إصـلاحية ونهضـة علمية- النصـيب الأوفر في الإفادة من علوم المشرق؛ إذ لم يكتفوا بمجرد تلقي المعارف من بعيد، بل بذلوا ما في وسعهم من جهد لتأسـيس حركة علمية متصـلة تجمع بين الرحلة والتلقي والممارسـة العلمية،فالحكام من جانبهم شـــجّعوا العلماء على الانفتاح على مراكز العلم الكبرى في المشـــرق، ومدّوا لهم الســـبل والدعم ليكونوا جســـورا تنقل المعرفة إلى بلاد المغرب والأندلس، كما حرص العلماء أنفسـهم على اغتنام هذه الفرصـة، فشـدّوا الرحال طلبا للعلم، تاركين أوطانهم وأهليهم شـهورا وربما أعواما في سبيل لقاء الشيوخ والأخذ عنهم[3].

---

[1]-حسن علي حسن، المرجع السابق، ص180.

[2]- جمال أحمد طه، مدينة فاس في العصر المرابطيوالموحّدي، دار الوفاء، الإسكندرية- مصر، 2001، ص207.

[3]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص207.

ومع كثرة الرحلات واتساع مسالكها، توسّعت كذلك غاية الرحلة، فلم تعد محصورة في المقصد التقليدي المرتبط بأداء شعيرة الحج فحسب، بل أصبحت رحلة علم ومعرفة تتوجّه مباشرة إلى الحواضر الثقافية الكبرى، وفي مقدّمتها الحجاز، حيث كانت اللقاءات مع شيوخ الحرمين تمثّل محطة مفصلية في تكوين العلماء وهناك في رحاب مكة المكرمة والمدينة المنورة، كان طلاب العلم يقفون على أشهر المدارس الفكرية، ويتعرّفون على أعلام الرواية والفقه والحديث، ثم يعودون إلى ديارهم وقد حملوا معهم علما غزيرا ورؤية أوسع أسهمت في تجديد الحياة العلمية في بلاد المغرب والأندلس[1].

وهكذا، تحوّلت الرحلة العلمية في عهد الموحّدين من مجرد تقليد فردي إلى مشروع حضاري متكامل يجمع بين دعم الدولة، وشغف العلماء، وثراء مراكز العلم في المشرق، فنتج عن ذلك تفاعل ثقافي ومعرفي ترك بصمته الواضحة على تاريخ الفكر الإسلامي في تلك الحقبة.

قامت دولة الموحّدين على أساس ديني إصلاحي والجهاد في سبيل الله وذلك بعد انهيار سلطان المرابطين سنة 541هـ/1147م[2]، بدأ المغرب الإسلامي يعرف مرحلة جديدة من التطور في المجال الثقافي وتوطيد العلاقات مع المشرق من خلال الرحلة العلمية ودورها في نقل العلم إلى المغرب؛ حيث حفلت كتب التراجم والسير بحمل ترجمة أعلام مغاربة راحلين إلى المشرق[3]، إلا أنه لم نجد أسماء لعلماء من المغرب الأوسطكانوا قد خرجوا للحجاز سواء للحج أو لطلب لعلم إلا ترجمة واحدة وهي للعالم **الحسن بن محمد بن علي الوهراني(ت573هـ/1177م)**وهو عالمٌ ومحدّثٌ مغاربي الأصل من مدينة وهران في المغرب

[1]- محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس عصر الموحّدين، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ج5، ص17.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص64.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج، ص270.

الأوسط، ارتحل في شبابه إلى الحجاز واستقرّ في مكة المكرمة حتى عُرف بلقب نزيل مكة، تلقّى العلم في المغرب ثم واصل طلبه في المشرق، فسمع من عدد من شيوخ الحديث وروى عنهم[1]، وكان من المحدّثين الذين شـــاركوا في الحركة العلمية في مكة المكرمة خلال القرن السادس الهجري، وذُكر ضمن العلماء الذين حدّثوا في المدرسة المنصورية[2]، وهي من أهم المدارس العلمية آنذاك، تميّزت روايته بالضبط، ونقل من خلالها شيئا من تقاليد المغاربة في السماع والقراءة، نُسب إليه كتاب "**المنامات**"، وهو كتاب أدبي نقدي ذائع الصيت كان قد بدأ تأليفه عند وصوله إلى الحجاز، يُظهر جانبا آخر من شخصيته، ويمزج فيه بين الأسلوب الوعظي والبُعد الســـاخر في نقد أحوال عصـــره في المغرب الاوســـط، جمع الوهراني بين الاشتغال بالحديث والتأليف الأدبي، فكان شخصية متعددة الاهتمامات تركت أثرا في الأدب المغاربي والحياة العلمية بالحجاز، وتوفي –رحمه الله– سنة 573هـــ بعد رحلة علمية شملت المغرب والمشرق[3].

المبحثُ الثانِي: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكةَ المكرمةِ خلالَ القرونِ السّابع والثامن والتاسع هجرية (13-14-15م):

أمّا بالنّسبة لعلماء المغرب الأوسط خلال هذه القرون الثلاثة ورحلتهم إلى مكة المكرمة، فإنّها ستختلف سواء أكان هذا الاختلاف من حيث الحقبة الزّمنية التي تكتسي أهمية في رحلاتهم، أم من حيث عدد من رحل إلى البقاع المقدّسة، وكذا من حيث الحواضر التي كانت

[1]– ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 342

[2]– المدرسة المنصورية:بمكة المكرمة من المدارس العلمية التي أُنشئت في العصر المملوكي، أسسها السلطان المنصور قلاوون في القرن السابع الهجري، وكانت تقع بالقرب من المسجد الحرام، وخُصِّصت لتدريس الفقه الشافعي وعدد من العلوم الشرعية، واعتمدت على نظام الأوقاف في تسيير شؤونها...ينظر: تقي الدين الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ص512.

[3]– تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج3، ص 450.

حاضرة في هذه الرّحلة، كما لا ننسى اتجاهات علماء المغرب الأوسط، ولكن لكثرة عدد هؤلاء العلماء سنقسّمهم إلى مجموعات حسب حضور العلماء في كلّ قرن من هذه القرون على حِدَة، ونناقش هذا الحضور والاختلافات الموجودة بينهم.

1- المجموعةُ الأولَى: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ السّابعِ الهجريّ (13/12م).

الرقم	اسم العالم المجاور	مسقط رأسه	اتجاهاته العلمية	مدة المجاورة
01	جعفر عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السلمي الصقلّي بجائي المولد(ت 644هـ/1246م)	بجاية[1]	مقرئ، فقيه، محدّث	نزيل مكّة وكان ممن حدّث بالمدرسة المنصورية بمكة المكرمة[2].
02	علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله أبو الحسن البجائي (ت652هـ/1254م)	بجاية	فقيه مالكي	جاوربمكة المكرمة مدة أشهر كثيرة،أخذ فيها عن العالم أبي محمد يونس بن يحي الهاشمي[3].
03	محمد بن مختار أبو عبد الله الزواوي (ت 660هـ/1262م)	بجاية	حجّ وجاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة،	كانت وجهته الأولى اليمن التي أقرأ بها ثم ارتحل بعدها إلى مكة المكرمة، جاور سنتين بها ثم عاد إلى بلده،

[1]- بجاية، مدينة عظيمة كانت في وقت ازدهارها تملك أكثر من عشرين ألف من الدور العلمية العامرة، بناها الرومان على سفح جبل كبير ينظر إلى البحر على بعد ثلاثين ميلا شرقي الجزائر وعلى بعد اثني عشر فرسخا من جيجل في الجهة الأعلى... بها عدد من المساجد وعدد من المدارس العتيقة تدرس بها العلوم .. ينظر: مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص377.

[2]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج3، ص426.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص66-68؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ج1، ص38.

			اشتهر بعلم الحديث	وعاد للمجاورة بمكة المكرمة وتوفي بها[1].
04	عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى بن عميرة بن برطلة أبو محمد الأزدي (ت 661هـ/1263م)	بجاية	محدّث وأديب	حجّ سنة 656هـ وجاور بمكّة ثلاث سنوات ثم عاد إلى بلده[2].
05	يحيى بن محمد التُجيبي التلمساني (ت662هـ/ 1264م)	تلمسان	التصوّف	رحل إلى المشرق، حج وجاور وأخذ عن أبي حسن البنا[3].
06	عمر بن أحمد العمري أبو علي البجائي (ت 665هـ/1265م)	بجاية	الفقه	نزيل مكة المكرمة[4].
07	إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (670هـ/1272م)	تنس[5]	الفقه والتصوف	رحل إلى مكة المكرمة حاجّاً، فأخذ عن علمائها علوم المنطق والجدل وعلم الكلام والإرشاد[6].

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص352-353.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص151-152.

[3]- جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، دار النوادر الكويتية، الكويت، 2010، ج1، ص124.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص114.

[5]- تنس: أسسها البحريون من أهل الأندلس وكان ذلك سنة 262هـ/879م وقد سكنها أهل تدمير وأهل البيرة ومختلف المدن الأندلسية... ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص132؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص726.

[6]- ونان محي الدين الطعيمي، تكملة جامع الكرامات الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص24-25؛عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص84-85.

08	عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر أبو محمد البجائي(توفي بعد 680هـ/1281م)	بجاية	له تحصيل في الفقه والحديث وله علم بأصول الدين	نزيل مكة المكرمة وحجّ بيت الله مرتين[1].
09	أبو حسن بن يخلف عبد السلام المطماطي لقيه العبدري في رحلته سنة 688هـ/1286مـ (لا يوجد تاريخ وفاته)	تنسي الأصل تلمساني المسكن	الفقه	نزيل مكة المكرمة، رحل رفقة أخيه إلى الحجاز وحجّ مع الركب العبدري.
10	أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام المطماطي لقيه العبدري في رحلته سنة 688هـ/1286مـ(لا يوجد تاريخ وفاته)	تنسي الأصل تلمساني المسكن	فقيه	نزيل مكة المكرمة، رحل رفقة أخيه إلى الحجاز وحج مع الركب العبدري[2].
11	علي بن عمر بن عبد المحسن أبو علي الوجهاني السواف(توفي نحو691 هـ/1292م)	بجاية	الفقه المالكي والتصوف	نزيل مكة المكرمة، رحل إلى الحجاز سنة(660هـ/1261م) لقي علماء الحجاز وأخذ عنهم[3].

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص108-109؛ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، 1989، ج2، ص276.

[2]- العبدري، المصدر السابق، ص31؛ ابن مريم التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص ص 66-68.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص92-93.

التعليق: يتبيّن من خلال هذا الجدول أنّ عدد علماء المغرب الأوسط الذين جاوروا بلاد الحجاز، بناء على ما ورد في المصادر التي ترجمت لهم، قد بلغ أحد عشر عالما ظهروا خلال القرن السابع الهجري (القرن 13م)، وبناء على ذلك، سنعمل على تحليل المعطيات الواردة في الجدول مستعينين ببعض الأشكال والرسومات البيانية التي ستُبرز الحواضر التي انطلق منها هؤلاء العلماء، وتبيّن المدن التي كان لها النصيب الأكبر من توجّه العلماء نحو الحجاز، ولا سيما مكة المكرمة.

كما سنسلّط الضوء على التخصّصات العلمية التي برع فيها هؤلاء العلماء؛ إذ من شأنها الكشف عن المجالات المعرفية التي تميّزوا فيها، فضلا عن بيان إسهاماتهم العلمية اللاحقة في بلاد الحجاز، وسنتناول كذلك مسألة مدّة المجاورة، وهل ذكرتها المصادر التي اعتمدنا عليها أم أغفلتها؟وتُعدّ هذه الأسئلة محورا أساسيا في تحليلنا، ساعين إلى معالجتها في هذا العرض بما يتيح فهما أعمق لحركة علماء المغرب الأوسط واتجاهاتهم العلمية خلال هذه الحقبة.

أ- توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ:

المدينة	عدد تكرارها
بجاية	7
تنس	3
تلمسان	1

ب–أعمدةٌ بيانيةٌ توضّحُ توزيعَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ القرنِحسبَ الحواضرِ

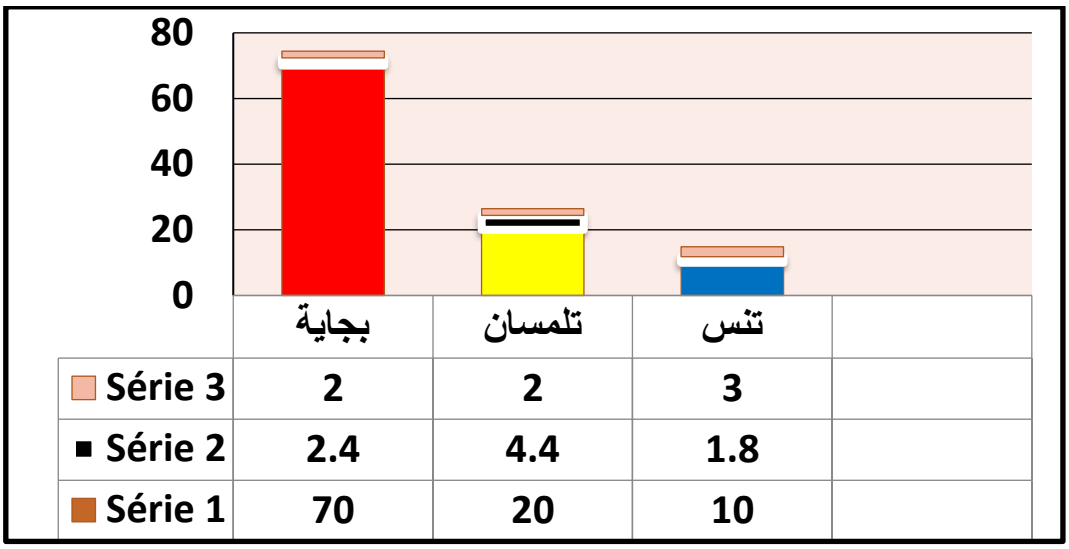

التعليق: يُبرز هذا الرسم البياني المُمثَّل بأعمدة بيانية الحواضر التي نالت مكانتها العلمية بفضل العلماء الذين ارتحلوا منها في رحلات حجازية باتجاه مكة المكرمة، ورغم أنّ العدد الوارد يُمثّل شريحة فقط من مجموع العلماء الذين جاوروا الحجاز، فإنّه يظل معبّرا عن حضورهم العلمي ومراكز انطلاقهم، وسنعمد فيما يلي إلى دراسة هذه الأعمدة وتحليل معطياتها، وذلك بالانتقال إليها تباعا من اليمين إلى اليسار على النحو الآتي:

العمودُ الأوّلُ: يُسجِّل هذا العمود أقلّ نسبة مقارنة بما سبقه من حواضر؛ إذ لا تتجاوز نسبته نحو 10%، وتمثّلها مدينة تنس، وعلى الرغم من ضآلة هذه النسبة، فإنّ لها دلالتها عند مقارنتها بأكبر الحواضر الواردة في هذا المجال الجغرافي، أيْ: المغرب الأوسط، إذ تُظهر حضورا علميا معتبرا لمدينة تنس ضمن شبكة المراكز العلمية التي شاركت في الحركة العلمية والرحلات الحجازية خلال تلك الحقبة.

العمودُ الثانِي: يمثّل هذا العمود حاضرة تلمسان بنسبة تقدّر بحوالي 20% من مجموع المدن الواردة في الجدول، لتحتلّ بذلك المرتبة الثانية. وتُعدّ هذه المرتبة دلالة على حضور

علمي معتبر مقارنة ببعض الحواضر الأخرى، وهو حضور يرتبط بالدور الحضاري البارز الذي اضطلعت به تلمسان؛ إذ كانت مركزا سياسيا وثقافيا وعلميا مهمّا في المغرب الأوسط، ما أسهم في إبراز عدد من العلماء الذين شاركوا في الحركة العلمية ورحلوا نحو الحجاز خلال تلك الحقبة.

العمودُ الثالثُ: ويمثّل هذا العمود مدينة بجاية بنسبة بلغت 70% من مجموع الحواضر الواردة في الجدول السابق، وهي بذلك تحوز النسبة الأكبر دون منازع، وتُعدّ هذه النسبة المرتفعة مؤشرا واضحا على المكانة الحضارية المتميّزة التي تمتّعت بها بجاية في تلك الحقبة، ولا سيما على الصعيد العلمي، فقد توافرت فيها مجموعة من العوامل الثقافية والمؤسسية التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية، وجعلت منها مركزا بارزا لتكوين العلماء الذين قصدوا لاحقا بلاد الحجاز.

ج- توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ:

العلوم	عدد العلماء
الفقه	7
الحديث	3
القراءات	2
التصوّف	2
الأدب	1

د- دائرةٌ نسبيةٌ توضّحُ عددَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ توجهاتِهم العلميةِ

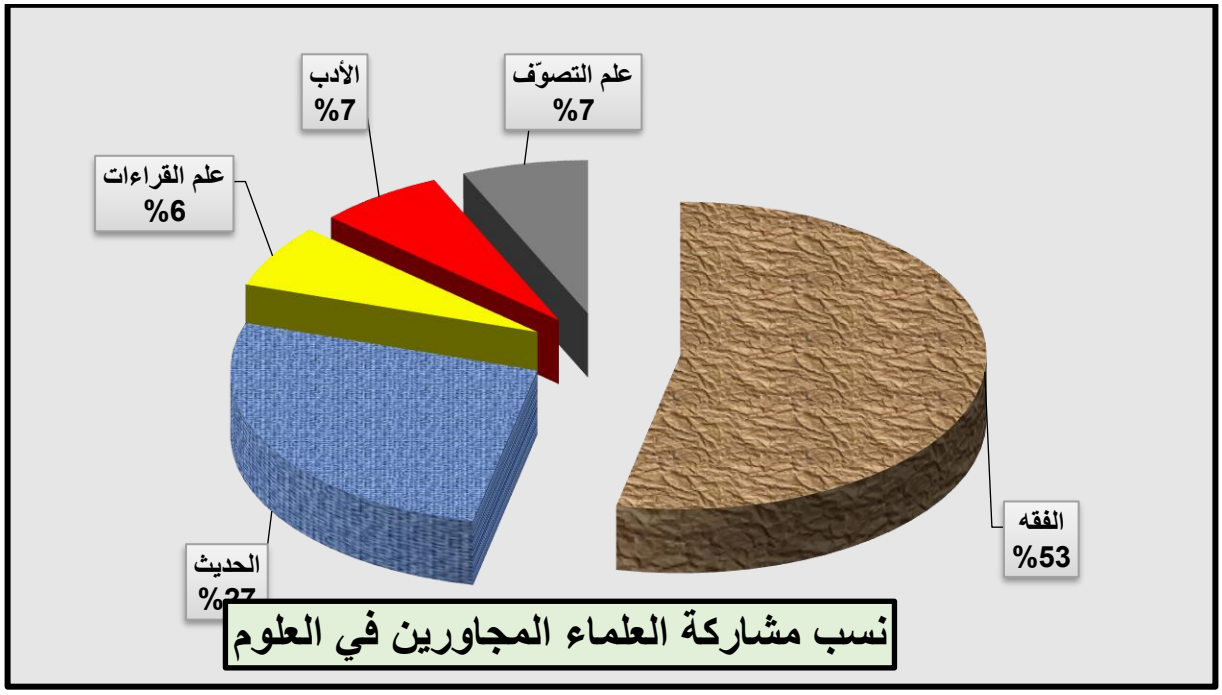

التعليق: يمثّل هذا الرّسم البياني دائرة نسبية تمثّل مشاركة علماء المغرب الأوسط المجاورين في علوم مختلفة، ولكن كلّ عالم من هؤلاء العلماء خاض في ميدان دون آخر وبرز فيه وقد يكون ذلك لأسباب جعلته يفضّل هذا العلم على غيره من العلوم التي ظهرت على السّاحة العلمية، والدّائرة النسبية تبيّن وبكلّ وضوح الفارق الموجود بين عالم وآخر، وهذا ما سنتناوله في تعليقنا على المعطيات التي هي أمامنا، وهي على النّحو التالي:

- **علمُ الفقهِ:** احتلّ علم الفقه النسبة الأكبر ضمن مجموع العلوم الواردة في الدائرة النسبية، حيث بلغت نسبته قرابة **53%**، وهي نسبة مرتفعة جعلته يتصدر باقي العلوم ويحتل المرتبة الأولى، ويُعزى هذا الإقبال الكبير من العلماء على علم الفقه إلى أهميته البالغة في مجتمع **المغرب الأوسط**، سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ

صاعد الأندلسي بقوله: "...لا يُعنى أهلها من العلوم إلا بعلوم الشريعة"[1] في دلالة واضحة على تركيز أهل تلك المنطقة على العلوم الدينية، وعلى رأسها الفقه.

وبناء على هذه المكانة، كان الفقهاء يحظون باحترام واسع داخل المجتمع، كما تمتعوا بمنزلة رفيعة لدى الحكّام، إذ لم يكن يُتخذ أيّ قرار مهم إلا بعد الرجوع إليهم واستشارتهم، لِمَا كانوا يتمتعون به من علمٍ ونفوذٍ ديني وأخلاقي.

- **علمُ الحديثِ:** يحتلّ علم الحديث المرتبة الثانية بين العلماء المجاورين، إذ احتلّ نسبة **27%**، وهي نسبة لا بأس بها حينما نقارنها بباقي العلوم الأخرى، وعلى الرّغم من أنّ هذا العلم كان من العلوم الصعبة؛ لأنّ من يخوض فيه يجب عليه أن يكون ذا علم بمصطلحاته وعلم الرّجال وغيرها ممّا يدخل في هذا العلم[2].

- **الأدبُ:** الذي يحتلّ ضمن هذه المجموعة نسبة **07%**، فهو بذلك يحتلّ المرتبة الثالثة من باقي العلوم الأخرى، وقد يرجع سبب ذلك أنّ طالب العلم عند تعلّمه للعلوم الشّرعية يجب عليه أن يكون على علم باللّغة العربية وآدابها.

---

[1]- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق: حياة بوعلوان،ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1985، ص 155.

[2]- من هاته المصطلحات نذكر بعضها: الثقة- الجرح والتعديل- الحافظ- الحجّة، وغيرها من المصطلحات ...ينظر: ص 26-27- 28؛ السيّد أحمد محمّد سُحْلول، معجم المصطلحات الحديثية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، ط1، 2016م؛ سيّد عبد الماجد الغوري، معجم المصطلحات الحديثية، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1428هـ-2007م، ص ص 267- 278- 297- 299- 300؛ أمّا علم الرّجال، فهو يعرف بكتب الرّجال، حيث يرد فيه اسم راوِ الحديث وتحقيق حاله...ينظر: عبد الرّحمن بن يحيى المعلمي اليماني، علم الرّجال وأهميته، حقّقها وعلّق عليها علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار الرّاية للنشر والتوزيع، (د.ت.ن)، ص 20، وللمزيد من المعلومات ينظر: سيد عبد الماجد الغوري، علم الرجال تعريفه وكتبه، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق- سوريا، ط1، 1428هـ-2007م.

- **علمُ التصوّفِ:** أمّا هذا العلم الذي يأتي في مرتبة الأدب نفسها بنسبة **07%**، فهذا يرجع إلى أنّ المغرب الأوسط كان له إسهامات في هذا الميدان بسبب توفّر الزّوايا التي كان لها عدّة أدوار، منها الدّور التعليمي؛ لهذا لم يهمل علماء المغرب الأوسط هذا الجانب المهمّ من حياة المجتمع.

-**علمُ القراءاتِ:** احتلّ نسبة **06%**، وعلى الرّغم من صعوبة هذا العلم إلاّ أنّ طالب العلم في بداية مشواره العلمي كان يهتمّ بتعلّم القرآن الكريم وعلومه، وذلك بسبب النشأة الأسرية التي تؤدّي به إلى ضرورة أن يحمل هذا العلم إلى جانب العلوم الأخرى، ليرتفع مستواه فيما بعد إلى أنواع القراءات التي كان يهتمّ بها طلاّب العلم في هذه البلاد.

هذه مجموعة من العلماء التي استأثر بها علماء المغرب الأوسط المجاورون والذين نجدهم قد برزوا فيها على حساب العلوم الأخرى، فظهر علماء كبار كانت لهم مشاركة كبيرة في ميادين مختلفة وخاصة في علوم الشّريعة، والتي شملت علم الفقه وعلم الحديث إلى جانب العلوم الأخرى التي كانت معروفة في مجتمع المغرب الأوسط.

2- المجموعةُ الثانيةُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ الثامنِ الهجريّ (14م).

الرقم	اسم العالم المجاور	مسقط رأسه	اتجاهاته العلمية	مدة المجاورة
01	عبد الله محمد بن عمر بن موسى أبو محمد البسكري (ت 713هـ/1313)	بسكرة[1]	حجّ وجاور بمكة المكرمة والمدينة	جاور بمكة المكرمة، توفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع[2].

[1]- بسكرة: وجدت مدينة بسكرة على السفوح الجنوبية لجبال الاوراس، الغنية بالمجاري المائية وهي تمثل أقصى الشمال الشرقي لصحراء المغرب الأوسط...ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص585.

[2]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج2، ص280؛ التنسي، المصدر السابق، ص269.

			المنورة وكان ناظماً للمدائح النبوية	
02	أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق أبو العباس التلمساني(ت 740هـ1339م)	تلمسان	الفقه	جاور بمكّة مدة من الزمن ثم عاد إلى بلده، ثم حج مرة أخرى، سكن المدينة المنورة، وافته المنية بمكة المكرمة[1].
03	عبد الله بن موسى بن عمر بن يونس الزواوي (ت 734هـ/1333م)	بجاية	حج وأقام بمكة المكرمة والمدينة المنورة وأخذ عن ابن الدقيق، حفظ الموطأ	سمع من مؤنسة خاتون بنت الملك العادل وحدث عنها بالسباعي، توفي بمكة المكرمة ودفن بالمدينة المنورة [2].
04	علي بن عبد الله بن محمد بن عبد النور التلمساني، القاضي أبو الحسن بن أبي محمد(ت 764هـ/1362م)	تلمسان	فقيه	جاور بمكة المكرمة يقول تقي الدين الفاسي: "...قدم حاجّا في سنة أربع وستين وسبعمائة، طاف ببيت الله الحرام وسعى في يوم ذلك، وتوفي إثر ذلك"[3].

[1]- ابن خلدون، العبر، ج1، ص115؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص132.

[2]- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سوريا، 2009، ج1، ص267؛ تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص291؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج2، ص427.

[3]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص183-184.

05	علي بن فرغوس أبو الحسن التلمساني(عاش بين القرنين السابع والثامن هجريين(13-14م)	تلمسان	كان من المقرئين	زار مصر والحجاز والعراق واليمن واستقر بمكة المكرمة، مكث 30 سنة مجاورا للكعبة برباط الخوري وحمل اسمه بعد وفاته[1].
06	يحيى الزواوي (عاش بين القرنين السابع والثامن هجريين (13-14م).	بجاية	مقرئ	جاور مكّة يقرئ الناس بالروايات بعد البرهان المسروري وكان من جِلّة المقرئين الصالحين الذين وفدوا أرض الحجاز، جاور مدة ثم عاد إلى بلده[2].
07	أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة التلمساني شهاب الدين أبو العباس (ت 776هـ/1374م)	تلمسان	شاعر أديب ناثر صوفي	رحل مع عائلته إلى المشرق فزار الحجاز، يقول ابن حجر:"...ولد في بلده سنة 725هـ وقدم القاهرة وحج ودخل دمشق..."[3].
08	محمد بن مرزوق بن أحمد الخطيب (ت 781هـ/1379مـ)	تلمسان	محدث	رافق أبوه لأداء فريضة الحج سنة 717هـ، يقول ابن حجر:"...حج ولقي بمكّة عن عيسى بن عبد الله الحجي وآخرين وبالمدينة

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص459.

[2]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص291.

[3]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1، ص390؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ج2، ص365.

				جماعة وحمل عنهم الزبير بن علي ومحمد بن فرحون[1].
09	محمد بن يحيى بن مؤمن بن علي أبو عبد الله الزواوي الملقب بالمنديل (ت 787هـ/1385م)	بجاية	نحوي،بحر في اللغة العربية	جاورمكة المكرمة سنين عديدة وسمع بمكّة من المفتي عماد الدين عبد الرحمان بن محمد صحيح البخاري ومن التوزري جامع الترمذي واشتغل بالتدريس، يقول تقي الدين الفاسي: "... قدم مكّة وسمع بها..."، توفي بمكة المكرمة[2].
10	محمد بن مسعود بن صالح الزواوي ولد بمكة المكرمة (ت 798هـ/1396م)	بجاية	حديث	جلس للتدريس بمكة المكرمة مما جعله يتولى وظيفة جمع أموال الزكاة توفي بمكة المكرمة[3].

[1]- ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله محمد، المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، 1981، ص63-64؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص22؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق المعروف بالحفيد، نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، تحقيق: عبد الحليم بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2016، ص21؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج2، ص299.

[2]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج2، ص307؛ تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص388-389

[3]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص179.

أ – توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ:

الحواضر	عدد العلماء
تلمسان	5
بجاية	4
بسكرة	1

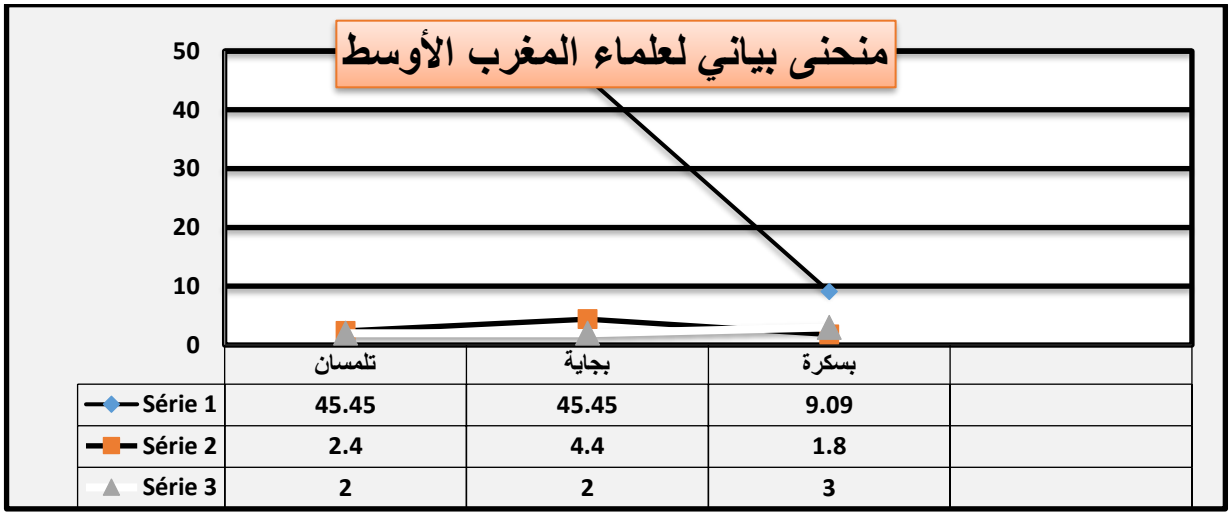

التعليقُ: يمثّل هذا الرسم منحنى بيانيا لثلاث مدن من مدن المغرب الأوسط، وذلك استنادا إلى عدد العلماء المجاورين الذين ارتحلوا منها نحو البقاع المقدّسة، وتظهر في هذا المنحنى فروقٌ في نسب حضور كلّ مدينة، وإن كانت متفاوتة بدرجات محدودة، وهو ما سنعمل على تناوله بالتحليل والبيان في الفقرات الآتية.

تلمسان: التي انطلق منها هؤلاء العلماء، حيث مُثِّلت بنسبة قُدّرت بحوالي **45.45%**، وهي نسبة عالية مقارنة بباقي المدن الأخرى، حيث شملت خمسة علماء سافروا إلى الحجاز،

وخاصة مكة المكرمة، أمّا ظهور هذه الحاضرة بهذه النسبة بعدما كان لها حضور أقلّ في القرن الثامن الهجري (14م)، قد يعود للنّهوض العلمي الذي عرفته هذه الأخيرة[1].

بجاية: وهي تحتلّ النسبة نفسها التي احتلّتها مدينة تلمسان والمقدّرة بنسبة **45.45%**، والتي شملت كذلك خمسة علماء سافروا إلى البقاع المقدّسة، لكن عرفت تراجعا بالنسبة للقرن السابع الهجري (13م)[2].

بسكرة: أمّا هذه المدينة التي لم يكن لها حضور في القرن السابع الهجري (13م)، فإنّها قد ظهرت كمدينة لها مشاركة علمية وحضور في بلاد الحجاز، وهذا في حدّ ذاته يُحسب لهذه الأخيرة.

ب-توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ:

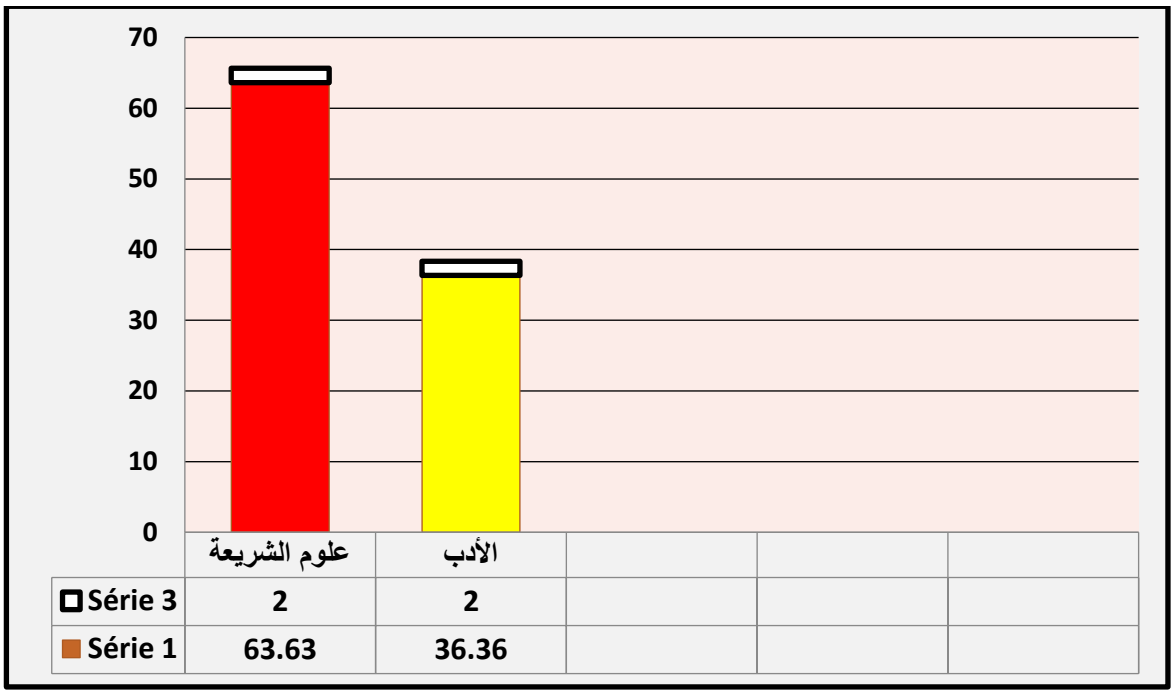

[1]- سنتعرّض في آخر هذا التحليل إلى هذه الأسباب بشكل عام.

[2]- سنتعرّف على ذلك عند التطرّق إلى التوزيع حسب العلماء.

التعليقُ: يمثّل هذا الرسم أعمدة بيانية توضّح أهم العلوم التي أَوْلَاهَا علماء المغرب الأوسطاهتماما، والمتمثلة في العلوم الشرعية وما يتفرّع عنها، إلى جانب الأدب بمختلف أنواعه من شعر ونثر ولغة، ويُبرز الرسم نسب التركيز في كلّ مجال، مما يعكس أولويات العلماء في تنمية معارفهم ونقلها خلال رحلاتهم نحو البقاع المقدّسة.

العمودُ الأوّلُ: حيث يمثّل مجموعة من علوم الشّريعة والتي تركّزت أساسا حول الفقه ليليه علم الحديث، ثمّ يأتي بعده علم القراءات بنسبة **63.63%**، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بباقي العلوم، حيث إنّ طالب العلم لا يستغني عن هذه العلوم لِمَا كانت تكتسبه من مكانة مرموقة عند مجتمع المغرب الأوسط[1].

العمود الثانِي: وهو كذلك يمثّل مجموعة من علوم هذا التخصّص، إذ شمل الشّعر والنثر واللّغة بنسبة **36.36%**،وهي نسبة لا بأس بها، إذ كان لهؤلاء العلماء يدٌ في هذه العلوم وخاصة علم اللّغة، فالذي يخوض في القرآن وعلومه لا بدّ له مثلا أن يكون ضليعا في علم اللّغة حتى لا يقع في الأخطاء أثناء قراءته للقرآن الكريم، وهذا ينطبق على باقي علوم الشّريعة الأخرى.

[1]– تطرّقنا فيما سبق إلى أهمية الفقه والخوض فيه، وذكرنا أنّ علم الحديث كان من العلوم الصعبة وعلى الرّغم من ذلك،فقد ظهر فيه بعض العلماء...ينظر: صفحة 73 من هذه الأطروحة.

3- المجموعةُ الثالثةُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ التاسعِ الهجريِّ (15م).

الرقم	اسم العالم المجاور	مسقط رأسه	اتجاهاته العلمية	مدة المجاورة
01	محمد بن محمد بن ميمون أبي عبد الله الجزائري المعروف بابن الفخار (ت 801هـ/1399م)	الجزائر	محدّث فقيه	يقول تقي الدين الفاسي: "... حج وجاور بمكّة من عام ثمانمائة وأقام بالمدينة المنورة خمسة أعوام[1].
02	عبد الله المغربي البجائي (ت 803هـ/1401م)	بجاية	فقيه مالكي	رحل إلى المشرق، وحج واستوطن مكة المكرمة إلى أن مات ودفن بها[2].
03	عبد القوي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي أبو محمد البجائي (ت 816هـ/1413م)	بجاية	فقيه محدّث أديب	يقول عنه تقي الدين الفاسي"... انتقل إلى مكة المكرمة وجاور بها أزيد من ثلاثين سنة، كما أنه كان يخرج إلى الطائف بعض الأوقات..."[3].
04	خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى محمد أبو الخير الصنهاجي الجزائري (ت 826هـ/1423م)	الجزائر	محدّث فقيه	انقطع بمكّة نحو عشرين سنة، وقرأ بها على جماعة من العلماء، وبالمدينة على

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص326-327؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج10، ص23.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص76؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج2، ص265؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص36.

[3]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص472-473؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص302.

				إبراهيم بن علي بن فرحون وآخرون[1].
05	موسى بن عائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوغي المالكي(ت827هـ/1424م)	/	الفقه	قدممكة المكرمة سنة 780هـ وكان شيخ رباط الموفق وفي سنة 822هـ توجه إلى المدينة المنورة وجاور أشهر كثيرة رجع بعدها إلى مكة المكرمة ودفن بها بوصية منه[2].
06	أحمد بن محمد المصمودي التاجوري(ت 838هـ/1434م)	بجاية	كان فقيها متميّزا	توفي بمكة المكرمة[3].
07	محمد بن عمر أبو عبد الله الهواري(ت 843هـ/1439 م)	وهران	مقرئا ومحدّثاومتصوّفا	جاوربمكة المكرمة مدة 10 سنوات وأقام برباط الفتح، له عدة تآليف منها "تبصرة السائل" و"التبيان والتسهيل"، رجع إلى بلاده واستقر بوهران[4].
08	صفية ابنة محمد بن محمد بن عمر بن عنقة أم الحياء البسكرية (ت 845/م1441)	بسكرة	محدّثة	نزيلة مكة المكرمة[5].

[1]- السخاوي، التحفة اللطيفة، ج2، ص25-26؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص205.

[2]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص 375-376؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص55.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص152؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ص360.

[4]- السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص284.

[5]- السخاوي الضوء اللامع، ج12، ص72

09	قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى الهلالي القسنطيني (ت 849هـ/1445م)	قسنطينة[1]	من علماء الحديث ومن فقهاء المالكية	جاوربمكة المكرمة والمدينة المنورة التي استقر بها واشتغل بالتدريس حتى توفي ودفن بها[2].
10	محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي قطب الدين أبو الخير(ت 852هـ/1448م)	بجاية	أديب شاعر محدّث وعالم بالتاريخ	جاور بمكة المكرمة[3].
11	عبد الله بن منصور الوجدي التلمساني(ت 855هـ/1451)	تلمسان	فقيه	استوطن مكة المكرمة وعمل سقا بالحرم الشريف إلى أن مات[4].
12	محمد بن عبد الرّحمان أبو القاسم القسنطيني(ت 859هـ/1454م)	قسنطينة	فقيه	جاور بمكة المكرمة سنة 830هـ/1427م[5].

[1]– قسنطينة: هي مدينة مهمة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط إلى غاية الآن، سميت قديما بسيرتا عاصمة نوميديا، ثم أصبحت تحت السيطرة الرومانية وسميت قسطنطينة نسبة إلى قسطنطين الأكبر الذي بناها وأعاد لها مكانتها وجاء العرب الفاتحين،فأبقوا هذا الاسم القسطنطينية وظل هذا الاسم متداولا حتى جاء العرب الهلالية وأطلقوا عليها اسم قسنطينة الهواء...ينظر: ابن حوقل، المصدر، ص225؛ عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة– الجزائر، ص15–16.

[2]– التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص135

[3]– السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص71؛ ابن عماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير، بيروت–لبنان،2006، ج9، ص402.

[4]–السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص71.

[5]– السخاوي الضوء اللامع، ج8، ص36؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص246.

13	أحمد بن يحي بن عيسى بن عياش العوكلي القسنطيني (ت 860هـ/1455م)	قسنطينة	فقيه ومن كبار رجال الصوفية	استقر بمكّة ووُلّي مشيخة رباط الموفى[1].
14	أحمد بن عبد القوي بن محمد شهاب الدين البجائي (ت 861هـ/1457م)	بجاية	محدّث ومن فقهاء المالكية	ولد بمكّة ونشأ بها[2].
15	عثمان بن يوسف بن محمد بن علي الصنهاجي (ت 863هـ/1459مـ)	الجزائر	صوفي وله مشاركة في عدة علوم	سكن في رباط الموفق وتردد كثيرا على المدينة المنورة[3].
16	محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي أبي الفضل(ت 865هـ/1460م)	بجاية	محدّث فقيه أصولي مفسِّر	حج سنة 849هـ، وفضّل المجاورة بمكة المكرمة[4].
17	عيسى الزواوي (ت 878هـ/1474م)	بجاية	عالم بالحساب والفرائض	حجّ بيت الله مرتين وأخذ عن علماء مكة المكرمة، عاد بعدها إلى القاهرة وأقام بالجامع الأزهر[5].

[1]–السخاوي الضوء اللامع، ج2، ص 243.

[2]– السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص73.

[3]– السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص143.

[4]– محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص263؛ يحي بكلي، العلماء الجزائريون المدرسّون في المسجد النبوي، عالم المعرفة، الجزائر، 2017، ص54.

[5]– السخاوي، الضوء اللامع، ج06، ص159.

18	أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الله بن عبد الرحمان شهاب القسنطيني (ت878هـ/1474م)	قسنطينة	عالم في العربية وعلوم الحساب	أقرأ بمكة المكرمة العربية والحساب والمنطق وأخذ عنه أهلها والقادمين إليها، رحل إلى المدينة المنورة وتفرّغ بها إلى مهنة التدريس[1].
19	عبد الرحمان بن محمد بن فاضل بن عبد الرحمان زين الدين الجزائري (ت 881هـ/1476م)	الجزائر	من كبار المقرئين	حجّ واستوطن مكة المكرمة، وتوفي بها[2].
20	إبراهيم بن محمد بن الرّحمان بن يحي بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي المعروف بالمصعصع(ت 882هـ/1477م)	بجاية	فقيه مالكي وإمام في التفسير	انتقل إلى المشرق، سكن المدينة المنورة مدة من الزمن ثم انتقل إلى مكّة المكرّمة التي استقر بها أزيد من خمس عشرة سنة إلى أن توفي ودفن بها [3].
22	زين الدين الجزائري (ت 884هـ/1478م)	الجزائر	الفقه والتدريس	توفي بمكة المكرمة ودفن بها[4].

[1]- السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص ص 274- 276؛ السخاوي شمس الدين، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان،(د.ت.ن)، ص252.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص143.

[3]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص352.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص272.

23	يحيى بن أحمد بن عبد السلام أبو زكرياء المعروف بالعلمي القسنطيني (ت 888هـ/1483م)	قسنطينة	الفقه	حجّ سنة875هـ/1471م فقطن مكّة[1].

24	أحمد بن محمد شمس الدين البسكري (توفي قرن 9هـ/15م)	بسكرة	الفقه والحديث والنحو	توفي بمكة المكرمة[2].
25	حمزة بن حسن البجائي (ت 901هـ/1496م)	بجاية	الفقه واللغة العربية	جاوربمكة المكرمة[3].

أ- توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ:

شـهد هذا القرن عددا من الحواضـر التي ظهر بها عددٌ كبيرٌ من العلماء المجاورين[4]، كما أنه عرف مدنا أخرى لم يكن لها وجود في القرنين السّـابقين، وهذا ما سـنحاول التعرّف عليه من خلال هذا الجدول التوضيحي.

المدينة	عدد تكرارها	النّسبة
بجاية	**09**	40%
الجزائر	05	%20
قسنطينة	05	%20

[1]-التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 6.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص251.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج5، ص167.

[4]- سنناقش فيما بعد هذا التزايد في عدد العلماء خلال هذا القرن، وأسبابه.

بسكرة	02	%08
وهران	01	%04
تلمسان	01	%04
باتنة	01	%04

ب- دائرةٌ نسبيةٌ توضّحُ عددَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ

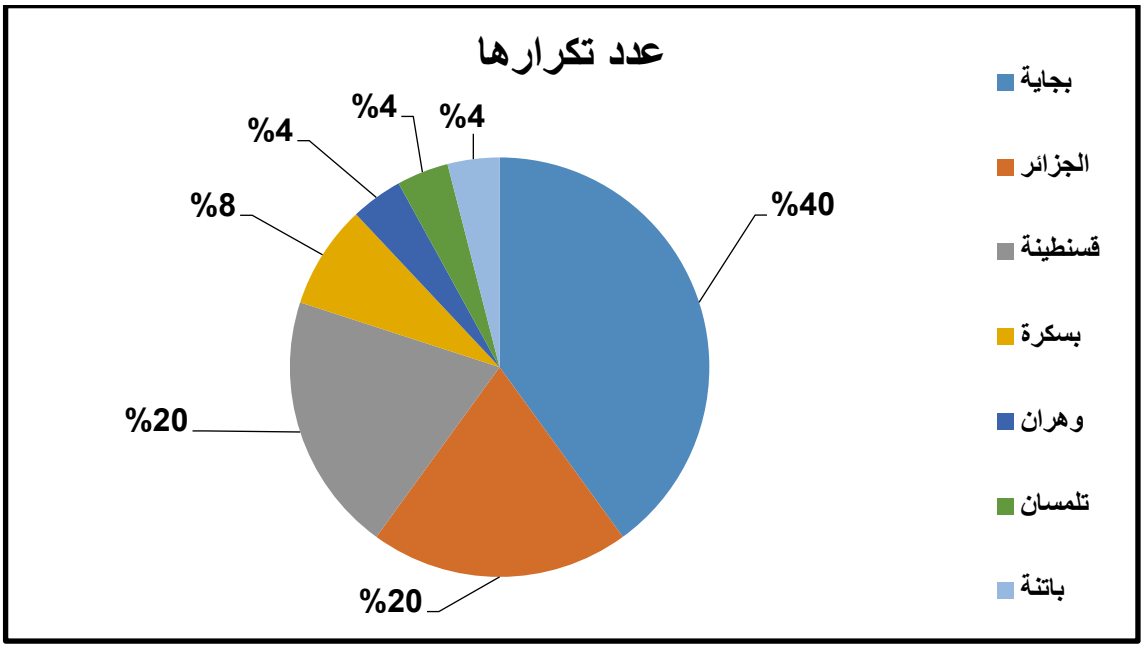

التعليقُ: من خلال هذا الجدول التوضيحي والدائرة النسبية علاه، يتضّح لنا بشكل أوضح أعداد ونِسَب حضور مدن المغرب الأوسط، والذي يؤدّي بنا إلى عدد العلماء الذين ظهروا بهذه البلاد وجاوروا بلاد الحرمين بما كانوا يحملونه من علم، فالمدينة التي احتلّت المرتبة الأولى بعشرة علماء، وبنسبة مرتفعة قدّرت بأربعين بالمائة، تمثّلت في مدينة بجاية، وقد فرضت هذه الحاضرة وجودها على السّاحة العلمية بما كانت تملكه من مقوّمات حضارية، وخاصة العلمية منها، وظهور علماء جِلّةٍ بها، وخير دليل على ذلك فقد قصدها عددٌ من علماء الأندلس وحظي كتاب عنوان الدراية للغبريني بعددٍ من علماءها، أمّا المدينة الثانية التي

احتلّت المرتبة الثانية هي مدينة الجزائر بخمسة علماء وبنسبة قدّرت بعشرين بالمائة، وهي مرتبة مشرّفة لهذه الأخيرة من منطلق كونها مقصدا لطالبي العلم والعلماء، وتأتي في المرتبة الثالثة مدينة قسنطينة بالمرتبة نفسها والنسبة التي حظيت بها مدينة الجزائر، على أنّ مدينة جزائر بني مزغنة من المدن التي كان يعبرها العلماء من كلّ مكان، لتليها في المرتبة الرّابعة مدينة بسكرة التي ذكرت مرّتين بنسبة ثمانية بالمائة، أمّا باقي المدن الأخرى، وهي وهران وتلمسان وباتنة، فقد ذكرت مرّة واحدة وبنسبة أربعة بالمائة، وهي أقلّ من بقية المدن الأخرى.

وفي هذا الصدد، لسنا نقوم بجرد علماء المغرب الأوسط كعلماء، وإنّما كعلماء مجاورين خلال هذا القرن، لأنّنا عند ذكرنا لحاضرة تلمسان التي كانت تحتلّ مراكز مهمّة من الناحية العلمية لكن حضور العلماء المجاورين خلال هذه الحقبة الزّمنية كان قليلاً ليس لقلّة هؤلاء العلماء، وإنّما لقلّة المجاورين بالحرمين الشّريفين فقط، ولو كان العكس لاحتلّت هذه الحاضرة المراتب الأولى.

ج- توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ: نجد من خلال أرقام هذا الجدول المرفق ونسبه العلوم التي كان يحملها علماء المغرب الأوسط المجاورين، إذ نلاحظ ارتفاع بعض العلوم من حيث تداولها في كتب التراجم والمصادر الأخرى مع ظهور علوم أخرى لم تكن موجودة أو كانت بنسبة قليلة جدّا، وهذا يدلّ على مدى تطوّر الحياة العلمية عند هؤلاء العلماء، والجدول المرفق يبيّن بكلّ وضوح تميّز علوم وظهور علوم أخرى، وهي على النّحو التالي:

أنواع العلوم المتداولة	تكرارها	نسبة تداولها
الفقه	**17**	**36.95%**
الحديث	**10**	**21.73%**

التفسير	03	06.52%
اللّغة العربية	03	06.52%
التصوّف	03	06.52%
الأدب	03	06.52%
الحساب	02	04.34%
علم القراءات	01	02.17%
أصول الفقه	01	02.17%
الفرائض	01	02.17%
الطب	01	02.17%
النّحو	01	02.17%

د- دائرةٌ نسبيةٌ توضّحُ عددَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ

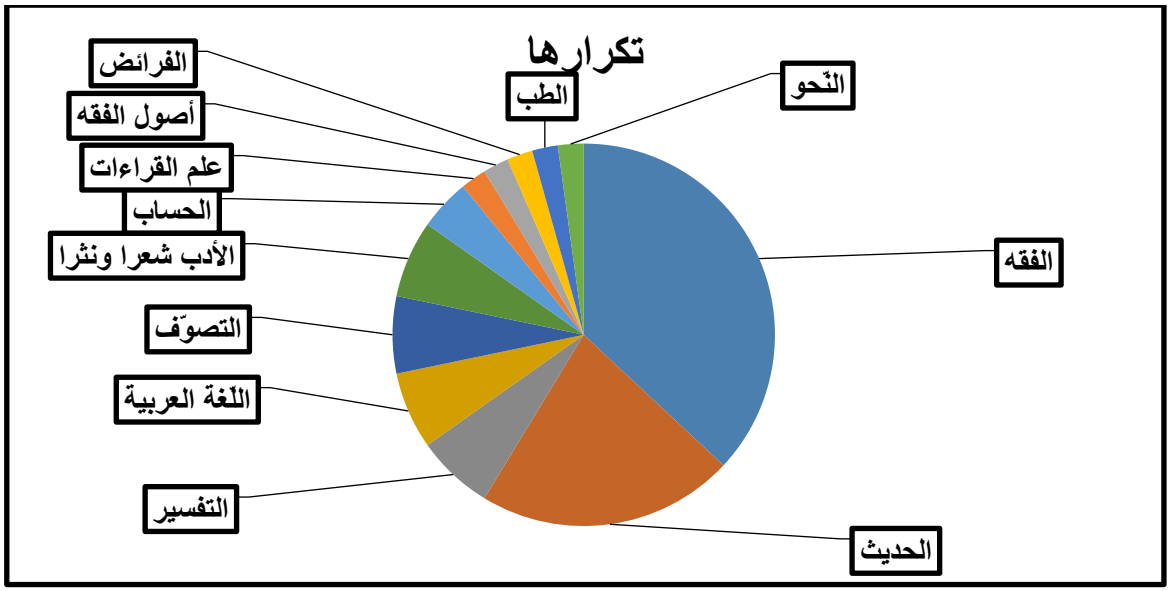

التعليقُ: يُظهر لنا هذا الجدول عدد العلوم المتداولة بين علماء المغرب الأوسط المجاورين، إذ يحتلّ الفقه المرتبة الأولى من بين باقي العلوم الأخرى، حيث تكرّر ذكره عدّة مرّات، حيث وصلت نسبة تداوله **36.95%**، وهي نسبة مرتفعة إذا ما قارناها بباقي القرون

الأخرى، إذ حدث بذلك تطوّر ملحوظ ممّا يدلّ على إقبال طالبيْ العلم على هذا العلم، حيث كان هذا العلم يوصل صاحبه إلى مراتب عليا في المجتمع ولدى السّلطة الحاكمة.

أمّا ثاني هذه العلوم وهو علم الحديث، فقد وصلت نسبته إلى **21.73%**، وهي كذلك نسبة مرتفعة إذا ما قورنت هي كذلك بالقرون السّابقة سالفة الذكر، ليأتي بعدها ما بقي من العلوم الأخرى، مثل: التفسير بنسبة **06.52%**، حيث تساوى هذا الأخير مع علوم أخرى وبعضها مساعد لعلم التفسير، مثل: اللّغة العربية التي يحتاجها المفسّر لفهم ما ورد في القرآن الكريم، وكذا علم النّحو الذي يحتاجه المفسّر والذي كانت نسبته **02.17%**،وهو أقلّ منهم.

يلتحق بعلوم الشّريعة وبالنسبة نفسها علم القراءات وأصول الفقه وعلم الفرائض، وأمّا علم التصوّف، فهو كذلك احتلّ النسبة نفسها مع علم التفسير؛ فالمتصوّفة هم من قرّاء القرآن الكريم ومطالبون بفهم ومعرفة معانيه، فلهذا ارتبط بهذا العلم ارتباطاً وثيقاً.

أمّا العلوم التي لم يكن لها حضور في القرون السّابقة أو كانت بدرجة أقلّ، فهو علم الحساب بنسبة **04.34%**، ليأتي في المراتب الأخيرة علم الفرائض والطب بنسبة **.02.17%**

الدّراسةُ التحليليةُ: من خلال الجدول المرفق والرّسم البياني، سنحاول التعرّف على علماء المغرب الأوسط المجاورين من خلال أعدادهم التي اختلفت بين قرن وآخر ومحاولة التعرّف على الأسباب التي ميّزت هذا القرن عن باقي القرون الأخرى، ونقصد بالقرن الذي تميّز بتعدّد علمائه؛ القرن التاسع الهجري (15م).

- **توزيعُ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكةَ المكرمةِ خلالَ القرونِ السّابع والثامن والتاسع الهجرية (13-14-15 م).**

القرون	عدد العلماء
القرن 7هـ/13م	11
القرن8هـ/14م	11
القرن9هـ/15م	25
المجموع	47

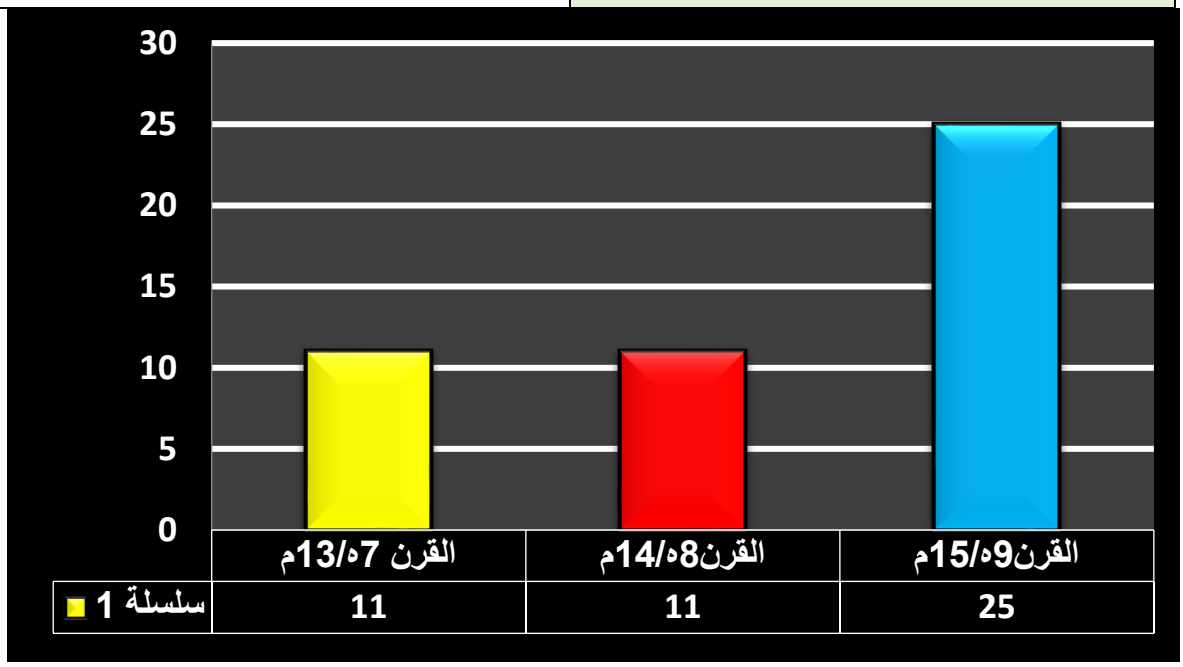

التعليقُ: من المعطيات المحصّل عليها من خلال الجدول والأعمدة البيانية التي تُظهر أعلاه توزيع علماء المغرب الأوسط المجاورين بمكة المكرمة خلال الحقبة من القرن السابع إلى القرن التاسع هجري/الثالث عشر حتى الخامس عشر ميلادي، نلاحظ أنّ أعدادهم كانت متقاربة في القرنين السابع والثامن هجريين بفارق عالم واحد، أمّا القرن التاسع، فكان عدد العلماء أعلى بكثير بحصيلة 26 عالما ويرجع ذلك إلى عدة عوامل:

1-تشجيعُ الأمراءِ والولاةِ على الحركةِ العلميةِ بالمغربِ الأوسطِ: إنّ ازدهار العلم والمعارف كان سمة من السّمات البارزة للعصر الموحدي، بحيث كانت الشّخصية العلمية قد استوت للمغرب الإسلامي كافة وأصبحت واضحة، وذلك بفضل طابع الدولة العقائدي وتشجيع خلفائها على العلم، فقد أسّسوا المدارس وبنوا المساجد وشيّدوا المكتبات ونظّموا رفوفها بالكتب، ووفّروا بها جوّا علميا ملائما وعمّروا المعاهد[1].

كان فضل الموحّدين على العلوم كبيرا جدا، فقد جلبوا كبار العلماء واقترحوا على علمائهم تدوين الكتب وأسّسوا المجامع العلمية وسبقوا غيرهم من الدول إلى التعليم الإجباري وجعلوا منه مجانيا، ووضعوا مناهج التعليم[2]، فنجدهم حافظوا على الأساس الذي يرتكز عليه الدين الذي ينشر من خلاله الأصول العقلية والنقلية وتركوا للعقول حريتها في ميدان البحث والاستنتاج، وهنا نشّط أهل العلم قاطبة [3]، وههنا أخذت الحياة العلمية والأدبية في الازدهار والنّمو والاتساع نتيجة التشجيع والقيام بالرّحلات العلمية بين الحواضر المغربية والمشرقية طلبا للعلم والحجّ معا أو طلبا للعلم[4].

كانت مدينة تلمسان عاصمة الزيانيين في المغرب الأوسط ومركز للإشعاع الثقافي في الغرب الإسلامي[5]، فالنزعة العلمية التي تميّز بها سلاطين بني زيان شأنهم شأن أكبر الملوك في العالم الإسلامي المعاصرين لهم، فعلى الرّغم من انشغالاتهم بالسّلطة والفتن والحروب، إلاّ

---

[1]- عز الدين موسى، الموحّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، (د.ت.ن)، ص53.

[2]- محمد المنوني، حضارة الموحّدين، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1989، ص14.

[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص335.

[4]- رضا عبد الغني الكساسبة، النثر الفني في عصر الموحّدين وارتباطه بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، 2004، ص123.

[5]- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص215.

أنّهم شجّعوا العلم والعلماء على التدريس والاندماج والتأليف والكتابات التاريخية شاهدة على ذلك[1]، فالسّلطان يغمراسن بن زيان كان حريصا على مجالسة أهل العلم وكان له فيهم رغبة عالية، يبحث عنهم ويستقدمهم إليه[2].

ونجد أيضا العالم أبو إسحاق بن يخلف التنسي وهو أحد المجاورين بالحرم المكي قد طُلب منه القدوم والتدريس بالجامع الأعظم قائلا: "... ما جئتك إلا رغبة منك أن تنقل إلى بلادنا وتنشر فيه العلم وعلينا ما نحتاج..."[3].

-دورُ الأمراءِ والولاةِ في تشجيعِ الحركةِ العلميةِ في بلادِ المشرقِ: سار صلاح الدين الأيوبي[4] على مسار نور الدين زنكي[5] وذلك بتطبيق الشّرع في المسائل التي تخصّ أمور الدولة من تنفيذٍ للعدل والقضاء على المظالم والمحافظة على أصول العقيدة الإسلامية وتطبيقها[6].

---

[1]- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، دكتوراة دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2004-2005، ص99 .

[2]- ابن خلدون يحيى، بغية الروّاد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، إصدار المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج1، ص126.

[3]- ناصر محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص130.

[4]- صلاح الدين الأيوبي: الملك الناصر أبو المظفر532- 589هـ/ 1138-1193م صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدُويني التكريتي المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي، قائد مسلم أسس الأيوبية كان على مذهب أهل السنة والجماعة ومحرر القدس من الصليبيين...ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص152.

[5]- نور الدين الزنكي: هو محمود بن زنكي عماد الدين الزنكي(511هـ/ 569هـ)، ملك الشام وأجزاء من الجزيرة ومصر انتقل إليه الملك في حلب بعد أبيه، كان ملك عادلاً مجاهدا في سبيل الله، قاتل الصليبيين بنفسه في مواقع عدة وذلك أثناء زحفهم على بلاد الشام، أقطع عربان البادية لضمان استقرارهم حتى لا يعترضون للحجاج وشيّد الكثير من المدارس من بينها: مدرسة العادلية والزوايا الصوفية...ينظر: شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص531؛ إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص159.

[6]- المقري، المصدر السابق، ص383؛ علي محمود الصلابي، قيام الدولة الأيوبية، دار الكتاب الحديث، القاهرة- مصر، 2008، ط1، ص55.

وقد حرص على أخذ العلم عن كبار العلماء، إدراكا منه بأهمية العلم وفاعلية دوره في تطوير الحضارة الإسلامية، كما كانت له عناية خاصة بعلم الحديث دراسة وسمعا، حتى أنّه سمع من العلامة يوسف بن رافع المعروف بالشدّاد 632هـ/ 1234م[1]، وقد اهتم سلاطين الدولة الأيوبية بالحياة الثقافية الذين عمدوا على إقامة المرافق العلمية من مدارس ومساجد وزوايا وخوانيق[2].

إلى جانب الملوك والأمراء، نجد أيضا الوزراء والكتاب اهتمّا بتطوير الحياة العلمية في ذلك العصر منهم: القاضي أبو علي محيي الدين اللخمي (ت596 هـ/1173م) وزير صلاح الدين صاحب الطريقة الفاضلية[3] في الإنشاء[4]، وأدرك سلاطين الدولة الأيوبية دور العلم والعلماء في النهضة؛ فأخذ العلماء مكانتهم المرموقة في دولتهم ونشطت في أيامهم الحركة العلمية في الشّام ومصر والحجاز، كما شغل العلماء مناصب عليا في الدولة، مثل: القضاء والوزارة[5].

وكانت علوم اللغة وما يندرج تحتها من علوم تحتلّ مكانا ممتازا في ثقافتهم، وأنّ علوم النقلية: كالحديث والتفسير والفقه والقراءات؛ فهي العلوم التي كانت تُدرّس في هذه المدارس

---

[1]- ناصر محمد علي الحازمي، الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف: مرزين سعيد مرزين عيسري، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص130.

[2] - الحاج عيفة، الهجرة المغاربية إلى بلاد الشام ما بين القرنيين السادس والسابع الهجريين، مجلة الدراسات التاريخية، ع19، قسم التاريخ، جامعة أبو قاسم سعد الله، الجزائر 2015، ص102.

[3]- الطريقة الفاضلية: تعد الطريقة الفاضلية إحدى الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وهي فرع من الطريقة القادرية التي نشأت في غرب إفريقيا، وتركّز على تزكية النفس والتقرب الى الله بالذكر والورع والزهد، سميت بذلك نسبة الى مؤسسها الشيخ محمد الفاضل الذي ركّز على الأخلاق الزكية والتواضع وتعليم المريدين تربية روحية سليمة...ينظر؛ محمد أحمد درنيقة، الطريقة القادرية وأعلامها، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2009، لبنان، ص 15.

[4]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للتوزيع، بيروت- لبنان، 1995، ص94-95.

[5]- ناصر محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص ص 129-166.

بالإضافة إلى علم التاريخ، أمّا العلوم النقلية التي كانت تأخذ جهدا عقليا، فكانت مما يشتغل به الرّجال في بيوتهم الخاصة[1].

وبهذا، فقد كانت بلاد المشرق عموما ومصر والشام والحجاز خصوصا وجهة لكلّ قاصدٍ يريد التجوال فيها، أو طالبا للعلم، أو حاجّا، أو تاجرا، وهنا كَثُرَ عدد المرتحلين من المغرب الأوسط حسب أهدافهم[2]، وهنا حدث احتكاك بين رجال العلم في هذه المرحلة بشكل واسع، وكانت الغايات كثيرة، فمنهم من كانوا يجمعون نصوص الشّعر والنثر والرّوايات وجالوا العالم الإسلامي لجمع مادتهم وتقويتها، وأكثر الأشخاص أثرا في الميدان هم العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق[3].

لقد أولى الخلفاء في بلاد المشرق اهتماما بالغا ببناء المدارس والمؤسسات التعليمية، إذ كانوا يرون في التعليم وسيلة رئيسة لنشر الدين، والحفاظ على المعارف، وصيانة وحدة المجتمع الإسلامي ثقافيا وفكريا، ومن أبرز الأمثلة على ذلك العصر الأيوبي، حيث بلغ عدد المدارس التي شُيِّدت خلال حكمهم فقط ستة وعشرين مدرسة موزعة على مدن مختلفة من المشرق العربي، ما يعكس حرص الدولة على توفير بيئة علمية متكاملة[4].

---

[1]- أحمد بن إبراهيم بن نصر الله الحنبلي القاهري، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تقديم: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ب.ن)، (د.ت.ن)، ص41؛ عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي، تقديم: جيلالي حمزة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2016، ص173.

[2]- عبد الرّحمان الأعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين 7-9 هـ/ 13-15 م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر،2013، ص ص 225-228.

[3]- محمد جابر الأنصاري، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في أثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992، ص30-31.

[4]- محمد جابر الأنصاري، المرجع السابق، ص30-31.

وقد ساهمت هذه المدارس في تعزيز مكانة المشرق كمركز حضاري وعلمي؛ إذ لم تقتصر على تدريس العلوم الدينية فحسب، بل شملت أيضا: الفقه، والحديث، واللغة، والفلسفة، والطب، والرياضيات، مما أتاح للعلماء والطلاب الاطلاع على معارف متنوعة وغنية، كما شكّلت هذه المؤسسات ملتقى للعلماء والفقهاء والمفكرين من مختلف المناطق الإسلامية، فكان للمشرق دور محوري في نقل العلوم والمعارف إلى بقية الأقطار، بما في ذلك المغرب والأندلس[1].

ولم يكن الاهتمام ببناء المدارس مقتصرا على الكمّ فقط، بل شمل النوع والمضمون، حيث حرص الحكام على تجهيز هذه المؤسسات بالمكتبات والمقررات العلمية وتوفير المدرسين المؤهّلين الذين يمكنهم الإشراف على العملية التعليمية، وبالتالي، أصبحت المدارس في المشرق نموذجا للحياة العلمية المستقرة والمنظمة، وساهمت في تكوين أجيال من العلماء الذين نقلوا التراث العلمي إلى أنحاء العالم الإسلامي، وعزّزوا التفاعل بين المشرق والمغرب على مستوى المعرفة والثقافة[2].

دورُ أداءِ فريضةِ الحجّ: يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[3].

يُعَدُّ الحجّ من أركان الإسلام الخمسة التي كان المسلمون يحرصون على القيام بمناسكه على الرغم من المصاعب والمشاق التي قد يلقاها المسلمون عند القيام بها، من بُعد المسافة

[1]–أحمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 43.

[2]– جورج مقدسي، نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ترجمة: محمود سيد محمد، مدارات للابحاث والنشر، القاهرة–مصر، 2015، ص 85–90.

[3] – سورة الحج، الآية 27.

للوصول إلى البقاع المقدّسة، فعلى الحجّاج ممن لهم القدرة على إقامة ركن الحجّ خاصة أنّ فئتي الطلبة والعلماء كان هدفهم من الحجّ أبعد من الحجّ نفسه[1].

إنّ فريضة الحجّ حتّمت على العلماء زيارة هذه الأماكن–مكة المكرمة والمدينة المنوّرة– فكان العلماء الرّاحلون من المغرب الأوسط يتوافدون عليها[2].

كما وأنّ الرّحلة الحجيّة عند طلبة العلم والعلماء بشكل خاص، تُعَدُّ فرصة للتواصل والاتصال بنظرائهم الذين يتوجّهون إلى الحجاز لزيارة المقدّسات الدينية منها: الحرم المكي وزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، خاصة أنّ التقاء العلماء من جميع البلاد الإسلامية أتاح للمجاورين من علماء المغرب الأوسط التشاور والتناظر والتحاور والأخذ عنهم وحضور مجالسهم، خاصة فيما يتعلق بالعلوم النقلية[3]، ولا تكاد كتب الرّحلة المغربية تخلو من ذكر أسماء علماء مغاربة التقوا بالعالم الفلاني أو أنّه حضر مجلس الفقيه أو العالم الفلاني[4].

كما ساهم اهتمام سلاطين وأمراء المغرب الإسلامي في تنظيم ركب المغاربة، فكان أمراء بني مرين أوّل من أشرف على ركب حجيج المغاربة سنة703هـ/1030م[5]، وبعد قرابة

---

[1] – زكي لامعة، الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي، مجلة كمال التاريخي، دار الناشري للأرشيف العالمي، (د.ب.ن)، ع2013/22، ص158.

[2] – عبد الواحد ذنون طه، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التواصل الحضاري، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص334.

[3]– بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرنين الرابع الهجري (10م)، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003، ص195.

[4]– الغبريني، المصدر السابق، ص ص 66–68.

[5]– عبد الرحمن بالأعرج، دور رحلات الحج في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق القرن8هـ/14م، مجلة الحكمة، تصدرها مجلة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ع2016/08، ص183.

ربع القرن في سنة 724هـ/1324م، انطلق ركب الحجّاج بأشراف الدولة الزيانية من

تلمسان، وكان الأمير الشيخ أبو زكريا يحي بن عمر بن جرار[1] من قادة وفد الحجّيج من المغرب الأوسط[2].

أمّا بالنسبة إلى الطريق الذي كان يسلكه حجّاج المغرب لأوسط في رحلتهم، طرق لم تكن تختلف عن الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية وتمر عبر محطات متعددة وهي نوعان:

نبدأ بالطريق البريّة، كان يوجد طريقان وهما: الطريق البرّي الصحراوي الجنوبي والطريق البرّي السّاحلي وكانت هاتان الطريقان الأكثر استعمالا منذ بداية العصر الوسيط، والأنشط على الإطلاق من حيث استعمال العلماء للاتجاه إلى المشرق؛ فنجدهم يخرجون من مدينة طنجة، والتوجه نحو تلمسان ثم بعدها نهر ملوية ثم وهران فمليانة، وبعدها التوجه إلى مدينة الجزائر، ثم بجاية، بونة، ليمرّ الطريق بداية عبر القيروان التي مثّلت محطة رئيسة للتزوّد والاستراحة، نظرا لمكانتها العلمية والدينية، ثم يتجه نحو قابس فطرابلس، حيث كانت هذه الأخيرة تُعدّ نقطة عبور أساسية تربط بين بلاد المغرب والمشرق، وبعد طرابلس، يسلك المسافرون الطريق الساحلي أو الداخلي عبر برقة، وصولا إلى الإسكندرية أو القاهرة، حسب الظروف السياسية والأمنية السائدة، ومن مصر، كان الطريق يتواصل إلى السويس، ثم يتجه

[1]- أبو زكريا يحيى بن عمر بن جرار: من أبرز قادة دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري، وينتمي إلى الأسرة اللمتونية الحاكمة. كان له دور مهم في تثبيت نفوذ المرابطين في المغرب الأوسط، كما يُنسب إليه تأسيس مدينة تلمسان أو إعادة تنظيمها وجعلها مركزا إداريا وعسكريا، وقد عُرف بلقبه «الأمير الشيخ» لما كان يتمتع به من مكانة سياسية ودينية...ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر المسابق، ج3، ص44-45؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص223.

[2]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع نفسه، ص183.

جنوبا داخل أراضـي الحجاز، مرورا بمحطات معروفة مثل: مدين وتبوك، وصـولا إلى المدينة المنوّرة، ومنها إلى مكة المكرّمة لأداء فريضة الحج وطلب العلم[1].

أمّا بالنسبة **للطريق البحرية**[2]، حيث كانت حاضرة بجاية –التي احتلّت مركزا مهمّا من حيث تعداد علمائها– كانت محور التقاء الحجّاج المغاربة أين كانوا يجتمعون ويتوجّهون في ركب واحد صوب مصر التي كانت محطّتهم الأولى في رحلتهم إلى الحجّ، حيث كانوا يلتقون بالحجّاج المصريين ويخرجون معهم إلى الحجاز؛ مما أتاح لهم الفرصة للاحتكاك والتفاعل بينهم وبين روّاد العلم في تلك البلاد[3].

وقد ارتبطت الرّحلة الحجّية بالرّحلة العلمية؛ حيث أصبحت الرحلتان وجهين لعملة واحدة، وفي الوقت نفسه، كانت هذه الرّحلة من الرّحلات التي يستحسنها أهل بجاية لكونها عاملا مهمّا في توثيق الرّوابط العلمية بين المغرب الأوسط وبلاد المشرق عامة[4]

نتج عن هذه الرّحلات تبادل العلوم والمعارف في مختلف المجالات بالإضافة إلى تعرّف العلماء على بعضهم البعض، بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات ومؤلّفاتهم[5]،

---

[1]– ابن بطوطة أبو عبد الله عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، (د.ت.ن)، ص ص 31–32–33–3–40.

[2]– محمد بكور، طريق الحج الصحراوي صلة وصل بين المغرب والمشرق، مجلة الأمل، الرباط–المغرب، ع2016/48، ص26.

[3]– صالح بعيزق، المرجع السابق، ص178.

[4]– شوقي عطا لله الجمل، الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا سماتها وعوامل انتشارها، مجلة الدراسات الإفريقية، تصدرها كلية الدراسات الأفريقية العليا، القاهرة– مصر، ع1978/08، ص32.

[5] – عبد الرحمن عطية، "الغايات والوسائل"، ضمن ندوة، طرق الحج جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب، القاهرة– مصر، 2002، ص74.

كما ساهمت هذه الرّحلات في تطوير المعارف، بالإضافة إلى الحصول على أكبر قدر من الإجازات[1].

***التواصلُ التجاريُّ:** ساهم ازدهار الصناعة في المغرب الأوسط في تفعيل التجارة في المنطقة، بل وجعل من طرقها تتوسّع لتأخذ اتجاهات عديدة، لتصبح همزة وصل بين المشرق والمغرب وحتى بلاد السّودان والأندلس[2].

فالرّحلة عموما لم تقتصر على أداء الشعائر الدينية فقط، فقد جمعت بين الدين والعلم والتجارة أيضا، ولقد كان لرحلة الحجّ الأثر الكبير في تنشيط الحركة التجارية بين المشرق والمغرب الإسلاميين واستغلال الحجاج المغاربة بصفة عامة هذه المرحلة من الرّحلات في ممارسة التجارة بأنواعها ومبادلة السّلع الغالية والنفيسة[3].

ربطت العلماء والتّجار المغاربة علاقة قويّة بالمصريين؛ فالتجار المغاربة في مصر كانوا يقومون بعدّة صفقات تجارية مع المصريين، وساعدهم على ذلك الرّكب المغربي الذي كان يمرّ في كلّ عام بصورة دائمة؛ إذ ينتظرون في القاهرة للخروج مع قافلة الحجّاج المصريين تحت حراسة أمير الحجّ[4]التي كانت واحدة من الأسباب التي سهّلت مجاورة علماء المغرب الأوسط لبلاد الحجاز.

---

[1] – محمد بوكبوط، الرحلات الحجازية المغربية صلة وصل حضارية بين المغرب والجزيرة العربية، ضمن بحوث المؤتمر التواصل التاريخي العلمي بين الخليج العربية ودول المغرب العربي، دائرة الملك عبد عزيز، الرياض– السعودية، 2007، ص106.

[2]– بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، 2015، ص240.

[3] – بغداد غربي، المرجع نفسه، ص240.

[4]– محمد علي فهيم بيومي، المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي، ط1، دار القاهرة، القاهرة، مصر، 2006، ص133.

كان لركب الحجّ المغربي طريق إلى الحجاز مشهور ومنازل للوقوف وتجديد الزاد وللمتاجرة، وقد كان العلماء والأدباء منهم يقومون بعد قضاء الحوائج الضرورية لمعاشهم يسارعون إلى لقاء الشيوخ من أهل العلم والأدب بقصد الأخذ عنهم والسّماع منهم، ويحرصون كل الحرص على المرويات النادرة[1].

وقد كانت رحلة العبدري لأداء فريضة الحجّ والعلم والتجارة ونلمس ذلك بوضوح في إشارته إلى أنّه كان يحمل القمح لبيعه في مكة المكرمة دلالة على انشغاله بالتجارة، إلا أنّه لم يبدأبتدوين رحلته إلا بتلمسان وكان خروجه للرّحلة في الخامس والعشرين من ذي القعدة 688هـ/1289م[2].

[1]– عبد السلام بن مختار شقرون، المناظرات والإرشادات في الرحلات المغاربية الحجازية، بحث مقدم، ندوة مكّة المكرّمة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، (د.ت. ن)، ص09.

[2]– عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الفهد الوطنية للنشر والتوزيع، الرياض– السعودية، 1996، ص118.

الفصلُ الثاني

علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بالمدينةِ المنوّرةِ

خلالَ القرونِ السّابعِ والثامنِ والتاسعِ هجريين

(13-14-15م)

المبحثُ الأوّلُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بالمدينةِ المنوّرةِ خلالَ القرونِ 7-8-9 هـ/13-14-15م

المبحثُ الثاني: دراسةٌ مقارنةٌ بينَ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بالمدينةِ المنوّرةِ ومكّةَ المكرّمةِ خلالَ القرونِ السابعِ والثامنِ والتاسعِ الهجريّةِ (13-15م)

المبحثُ الأوّلُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بالمدينةِ المنوّرةِ خلالَ القرونِ 7-8-9 هـ/13-14-15 م.

تعد المدينة المنورة هي الوجهة الثانية في بلاد الحجاز بعد مكة المكرمة ومقصدا لطلبة العلم للاستفادة والمجاورة، خاصة وأنهم كانوا يعودون منها إلى أوطانهم لنشر العلم الذي تلقّوه من علمائها والعلماء الوافدين إليها، وقد كانت فئة المجاورين بها فئة مميزة لما يقدّمونها إليها وما يأخذونه منها، لذلك نجد أنّ المدينة المنورة كانت وما تزال وستبقى تحتفظ بأهمية علمية كبيرة تجعلها تحفل بعدد وافر من العلماء الجِلّة الذين ساهموا بدور كبير في إثراء الحركة العلمية فيها، ولكن السّؤال المطروح، هل كان للمدينة المنوّرة الحظّ نفسه الذي حظيت به مكة المكرمة في استقبال العلماء؟ أم كان نصيبها أكبر؟ للإجابة عن مثل هذا التساؤل يجب أن نتتبّع رحلاتهم، وذلك بتقسيم هؤلاء العلماء إلى فئات حتى تسهل علينا عملية تتبّع كلّ عالم والقرن الذي ظهر فيه وظهرت مشاركته العلمية في بلده، ومنه يمكن التعرّف فيما بعد على إسهاماتهم العلمية حين مجاورتهم للمدينة المنوّرة.

1- المجموعةُ الأولَى: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنينِ السّابع والثامن الهجريين (13- 14م)

الرقم	اسم العالم المجاور	مسقط رأسه	اتجاهاته العلمية	مدة المجاورة
01	أبو عبد الله محمد بن مختار الزواوي(ت 660هـ/1261م)	بجاية	حجّ وجاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة، اشتهر بعلم الحديث	جاور سنتين بالمدينة المنورةثمعاد إلى بلده، وعاد

				للمجاورة بمكة المكرمة وتوفي بها[1].
02	عبد الله بن عمران بن موسى البسكري (ت 713هـ/1313م)	بسكرة	الأدب	حجّ وجاور المدينة المنورة كان ناظما للمدائح النبوية من أهمها: دار الحبيب أحق أن تهواها*** وتحن من الطرب إلى ذكراها[2].
03	أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني(ت 740هـ/1339م)	تلمسان	الفقه	أقام بمكة سنة واحدة ثم رحل إلى المدينة المنورة وأقام بها حتى سنة 728، ثم رجع إلى مكة المكرمة وتوفي بها[3].
04	عبد الله بن موسى بن عمر بن يونس الزواوي (ت743هـ/1342م)	بجاية	حج وأقام بمكة المكرمة والمدينة المنورة وأخذ عن ابن الدقيق حفظ الموطأ	توفي بمكة المكرمة ودفن بالمدينة المنورة [4].

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص352-353.

[2]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج2، ص280.

[3]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص221؛ابن خلدون، العبر، ج7، 115.

[4]- السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص267؛ تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص291؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج2، ص427.

05	عبد الله بن عمر بن موسى البسكري (ت 765هـ/1363م)	بسكرة	أديب وشاعر	رحل إلى المشرق واستقر بالمدينة المنورة[1].
06	عمر بن سالم بن بدر السراج الورقلي الجزائري المغربي (حي سنة 767هـ/ 1365م)	ورقلة	مدرّس	كان يؤدّب الصبيان بالمدينة المنورة[2].
07	علي بن عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي (ت 769هـ/1368م)	بجاية	محدّث وفقيه	يقول ابن حجر في الدرر الكامنة: "جاور بالمدينة المنورة سنة 752هـ وقبلها مرارا"[3].
08	محمد بن مرزوق بن أحمد الخطيب (ت 781هـ/1379م)	تلمسان	محدّث	رافق أبوه لأداء فريضة الحج سنة 717هـ، يقول ابن حجر:"... حج ولقي بمكة عن عيسى بن عبد الله الحجي وآخرون وبالمدينة جماعة وحمل عنهم الزبير بن علي ومحمد بن فرحون[4].

[1]- زين الدين أبو بكر المراغي، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة،1955، صص 208-209-210.

[2]- السخاوي، التحفة اللطيفة،ج3، ص330 .

[3]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص93؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002، ج5، ص110.

[4]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص63-64؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص22؛ ابن مرزوق الحفيد، المصدر السابق، ص21؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 10، ص299.

التعليقُ: نجد من خلال هذا الجدول أنّنا استطعنا رصد ثمانية علماء من مختلف مدن وحواضر المغرب الأوسط، وهو عدد لا بأس به مقارنة بالقرون التي قلّت فيها المجاورة بالحرمين الشّريفين، وقد تعدّدت مشاربهم العلمية حسب كلّ عالم من هؤلاء العلماء، وهذا ما سنحاول التعرّف عليه من خلال هاذين الشكلين التفسيريين لنبيّن مدى اختلاف اتجاهات العلمية لهؤلاء العلماء وتوزّعهم على مثل هذه الحواضر، وهي على النحو التالي:

أ- توزيعُ العلماءِ حسبَ الحواضرِ:

نقوم بدراسة إحصائية للمدن والحواضر التي كان لها الدّور الأساسي في احتضان علماء المغرب الأوسط الذين جاوروا بالمدينة المنوّرة، معتمدين في ذلك على هذا الجدول المرفق، وهو على الشّكل التالي:

المدينة	تكرار ذكرها
بجاية	03
تلمسان	02
بسكرة	02
وارجلان	01
المجموع	08

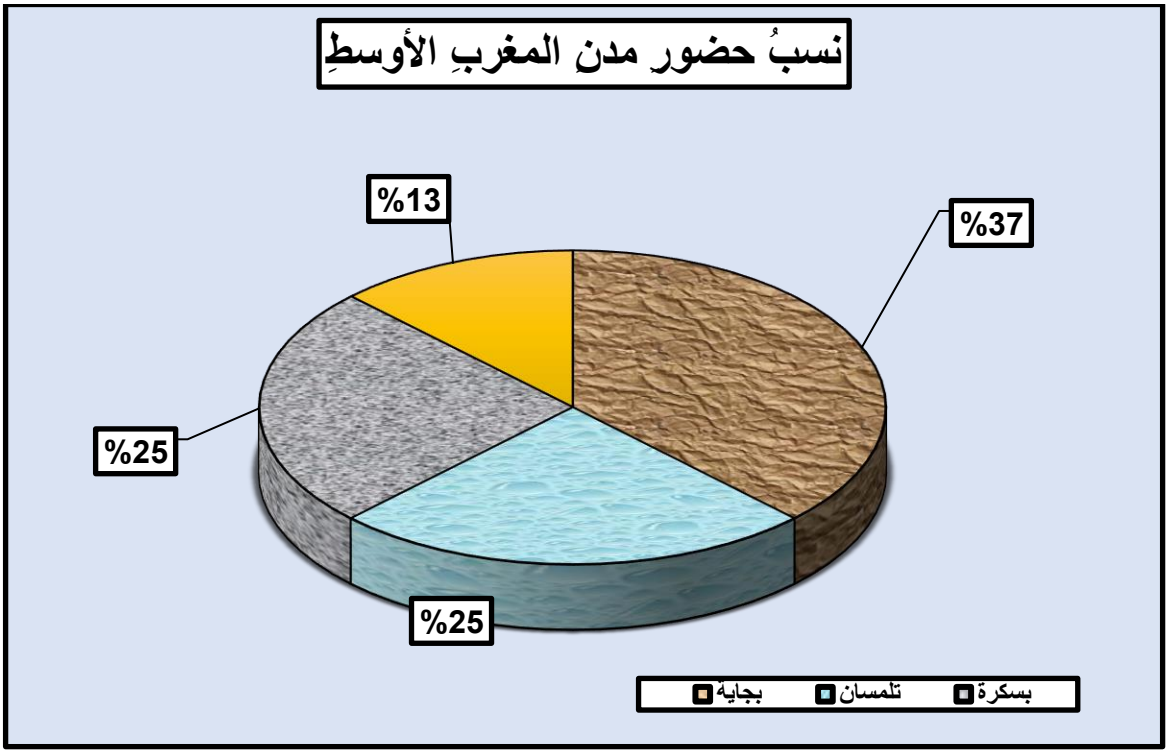

التعليقُ: نلاحظ من خلال هذا الجدول الذي يمثّل عدد تكرار المدن ونسب تواجدها في المصادر التي ترجمت لعلماء المغرب الأوسط المجاورين، حيث نلاحظ تكرار مدينة بجاية بلغ ثلاث مرّات بنسبة عالية مقارنة بالمدن الأخرى وهي نسبة 37%، أيْ: نصف ذكر عدد باقي المدن الموجودة في الجدول المرفق، وهذا يدلّ على حضور هذه المدينة في القرون السّابقة وكذا في القرن السابع الهجري (13م) ممّا يدل على استمرارية الحياة العلمية بهذه الحاضرة التي اعتنت برجالات العلم والثقافة، ولم تسكن بتاتا في قرن من هذه القرون، ففرضت نفسها على السّاحة العلمية، وخاصة أنّ عددُ علمائها الذين لم يكتفوا بتعاطي العلمي عن شيوخ هذه المدينة وبلاد المغرب الأوسط على وجه العموم، بل حاولوا الخروج من هذا الإطار الضيّق لتشمل مسيرتهم العلمية الرّحلة نحو البقاع المقدّسة منها المدينة المنوّرة عن طريق المجاورة للأخذ عن علمائها واستفادة طلبة العلم هناك من منبع علوم علماء بلاد المغرب الأوسط، فكانت مدينة بجاية نموذجاً حيّاً لحاضرة علمية تكرّر حضورها في المصادر بمختلف أنواعها.

أمّا المدينة الثانية، فكانت مدينة تلمسان، وهي في بحدّ ذاتها تكرّرت معنا وذلك بسبب الدّور العلمي لعلمائها، وإن عُدّ علمائها على أصبع اليد الواحدة، فهذا لا يعني أنّ هذه الحاضرة اقتصرت على اثنين فقط، وإنّما ظهر منهم هؤلاء لأنّهم جاوروا بالمدينة المنوّرة، فبلغت نسبتهم 25%، وهي نسبة مقبولة مقارنة ببعض المدن الأخرى.

وفي المرتبة الثالثة: مدينة بسكرة بنسبة 25%، أيْ بوجود عالم واحد فقط، وهي أقلّ من المدينتين المذكورتين من قبل، ولكنّها سجّلت وجودها ضمن مدن المغرب الأوسط التي وُجِدَ بها علماء مجاورين.

تأتي مدينة وارجلان في المرتبة الأخيرة بنســـبة 13% من مجموع المدن التي ظهر منها علماء جاوروا بالمدينة المنورة، وهي نســبة وإن بدت ضــعيفة مقارنة ببجاية وتلمســان، فإنّها تحمل دلالات مهمّة في فهم المشــهد العلمي للمغرب الأوســط في تلك الحقبة، فظهور اسم وارجلان ضمن الحواضر التي خرج منها علماء مجاورون يدلّ على أنّ النشاط العلمي لم يكن محصورا في المدن الساحلية أو الكبرى، بل شمل كذلك مراكز داخلية تقع في عمق الصحراء.

ومع أنّ نســـبة 13% تعكس وجود عالم واحد فقط من وارجلان، فإنّ ذلك يُظهر أنّ هذه المدينة، على الرغم من بُعدها الجغرافي وموقعها الصـــحراوي، فقد كانت تمتلك قدرا من الحيوية العلمية التي خوّلت بعض علمائها أن يلتحقوا بالرحلة العلمية نحو الحجاز، وهذا يؤكّد أنّ وارجلان لم تكن منعزلة ثقافياً، بل كانت مرتبطة بمســـالك العلم والتجارة التي تربط الصحراء بمدن الشمال وبالمشرق الإسلامي.

ب- توزيعُ العلماءِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ: توضّح لنا المصادر أنّ هؤلاء العلماء كانت لهم اتجاهاتهم العلمية كغيرهم من العلماء، لكن قد يختص عالم بعلم واحد أو أكثر عن باقي

هؤلاء العلماء، والجدول المرفق يبيّن بشكل أوضح ذلك مرفقا برسم بيّاني يجسّد لنا كلّ ذلك، وهي على الشّكل التالي:

أنواع العلوم	عدد العلماء
الحديث	04
الفقه	02
الأدب	02
المجموع	08

أمّا نسب مشاركة هؤلاء العلماء، فتظهر بشكل واضح من خلال هذا الرّسم البياني المرفق، وهو على النّحو التالي:

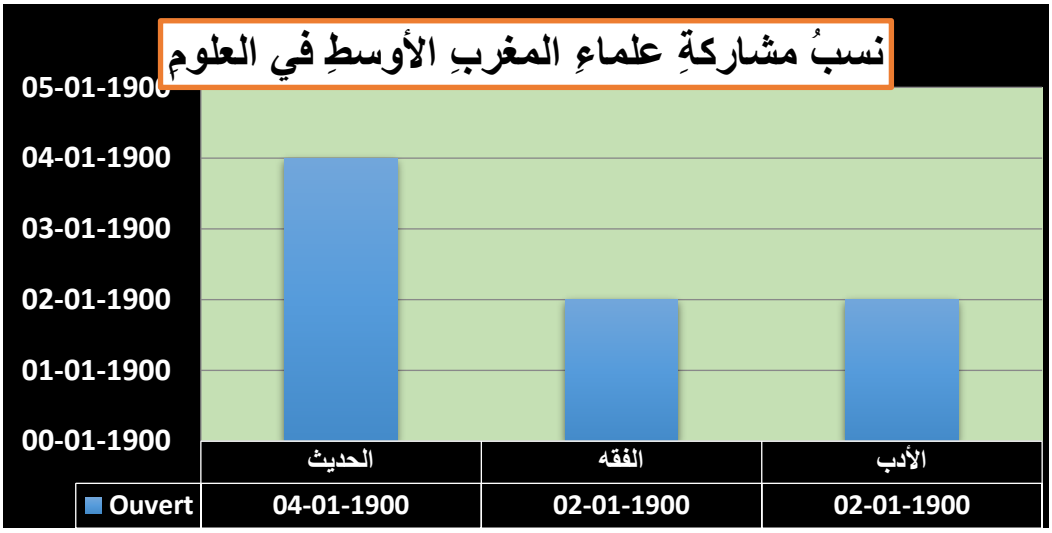

التعليقُ: من خلال هاذين الشّكلين، يمكن أن نميّز بين مختلف هؤلاء العلماء المجاورين الذين يمكن معرفة اتجاهاتهم في العلوم، فالعلم الذي احتل المرتبة الأولى بأربعة علماء وبنسبة

50%، هو علم الحديث، وبذلك فاق علم الفقه، وهذا ما يدلّ على إقبال علماء المغرب الأوسط المجاورين على علم الحديث على الرّغم من صعوبة تعلّم هذا الأخير.

أمّا العلم الثاني الذي احتلّ المرتبة الثانية بثلاثة علماء والتي وصلت إلى **25%**، وهذا يدلّ على تراجع في هذا العلم مقارنة بالقرون السّابقة، لأنّ هذا العلم –كما ذكرنا سابقا– كان طالبو العلم يتهافتون عليه بما يجنون من وراءه ماديا ومعنويا، وقد يكون تراجع هذا الأخير بسبب هروب بعض العلماء منه؛ لأنّه يؤدي بصاحبه إلى تولّي بعض المسؤوليات كالقضاء، ولذلك نجد بعضهم كان يفرّ من خطّة القضاء؛ لأنّهم كانوا يخشون الله في أحكامهم، وحتّى لا يقعون ربّما في أخطاء في أحكامهم، أمّا العلم الثالث الذي تراجع هو كذلك بنسبة **12.50%**، بمشاركة عالم واحد فقط، فاحتلّ المرتبة الثالثة، وعلى الرّغم من ذلك، فالأدب سواء أكان شعرا أم نثرا وغيره، فلم يكن غائبا عن السّاحة العلمية.

ج– توزيعُ العلماءِ حسبَ المجاورةِ ومدّتِها: هذا التوزيع سيشمل العلماء الذين جاوروا بالمدينة المنوّرة، وسنحاول التعرّف على اهتمام بذكر المدّة أو عدم ذكرها، وهذا ما سنحاول التعرّف عليه من خلال هذا الجدول.

مدّة المجاورة	عدد العلماء
02 سنة	01
أقام بها حتى سنة 728هـ	01
جاور سنة 717هـ/ جاور سنة 752هـ	02
جاور إلى غاية وفاته	02
عدم ذكر السّنة	01

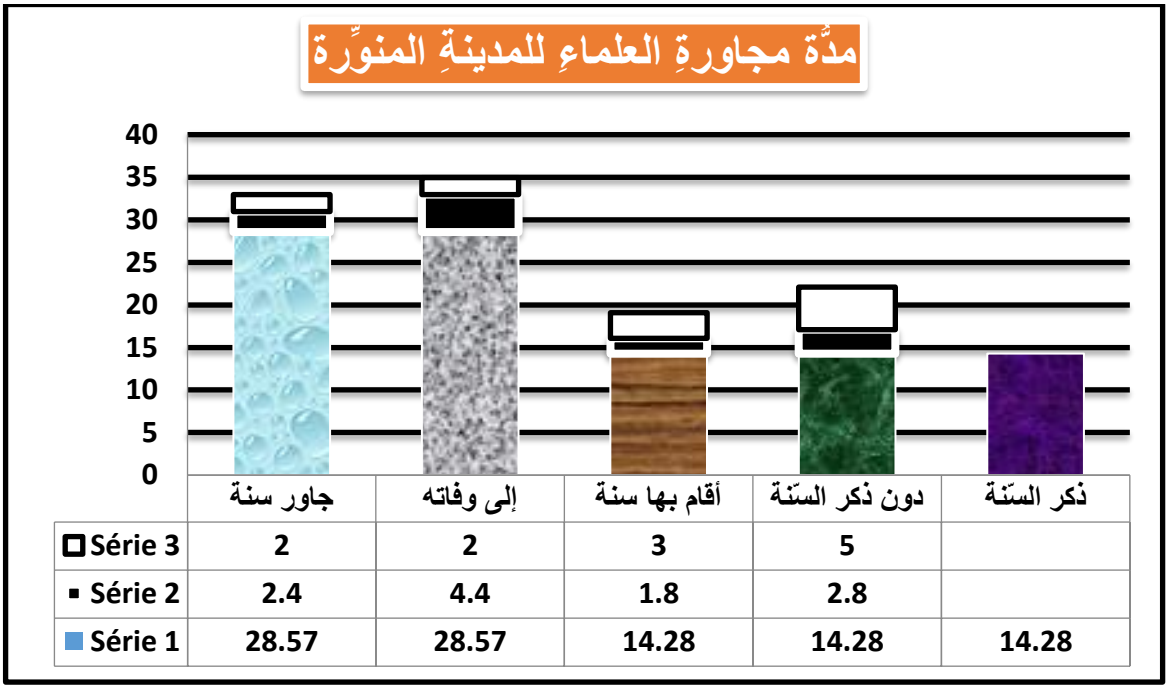

	جاور سنة	إلى وفاته	أقام بها سنة	دون ذكر السّنة	ذكر السّنة
Série 3	2	2	3	5	
Série 2	2.4	4.4	1.8	2.8	
Série 1	28.57	28.57	14.28	14.28	14.28

التعليقُ: من خلال هذين الشّكلين واللّذان يمثّلان جدولا يبيّن مدّة مجاورة علماء المغرب الأوسط للمدينة المنوّرة، ونسبتها بالنسبة للعلماء الذين جاوروا البقاع المقدّسة، وهذا ما يظهر من خلال هذا التعليق، وهو على النّحو التالي:

بالنسبة لتحديد مدّة المجاورة بالنسبة لهذا القرن، نجد أنّ المذكورة هي سنتان وهي تنطبق على العالم محمد بن مختار الزواوي المكنّى بأبي عبد الله الذي قام برحلة حجازية من أجل أداء ركن الحجّ، حيث جاور المدينة المنوّرة، وعلى الرّغم من عودته إلى بلاده، عاد مرّة أخرى في رحلته الحجيّة، لكنه توفي بمكّة المكرّمة، ولا تذكر لنا المصادر التي ترجمت له المدّة التي بقي فيها بالبقاع المقدّسة. ممّا أدى لانخفاض نسبة ذكر المدّة والتي وصلت إلى أدناها وهي **14.28%**، والتي ذكرت مرّة واحدة فقط مقارنة بما ذُكر في الشّكلين المرفقين.

وبالنّسبة نفسها وهي **14.28%**، حُدِّدت السنة بعينها التي جاور فيها بعض العلماء المجاورين بالمدينة المنوّرة، مثلا: بالنسبة للعالم علي بن عيسى بن مسعود الزواوي الذي كان مجاورا سنة 752هـ/ 1352م، ثمّ يضيف قائلا: أنّه وقبل هذه السّنة كثيرا ما جاور بالمدينة

المنوّرة، فهذا يدلّ على أنّ هذا الأخير كان يقوم دوما بمثل هذه الرّحلات الحجازية،والأمر نفسه ينطبق على العالم المجاور محمد بن مرزوق الخطيب الذي كان مصاحبا لوالده لأداء فريضة الحجّ، وكانت السّنة التي ذهبا فيها لأداء المناسك 717هـ/1318 م، حيث لقي بالحرمين عدّة شيوخ، وخاصة شيوخ المدينة المنوّرة، حيث احتلّ ذُكِرت هاتين السّنتين بنسبة **28.57%**.

وفي بعض الأحيان تُذْكر مدّة الإقامة، ولكنها ليست محدّدة، وهذا ينطبق على العالم عد الله بن عمران البسكري، وهو يمثّل واحدا من علماء مدينة بسكرة التي ذكر منها هذا العالم فقط بنسبة **14.28%** الذي زار البقاع المقدّسة وأدّى مناسك الحجّ بمكّة المكرّمة، ولم يكتف بذلك بل جاور المدينة المنوّرة دون ذكر السّنة التي جاور بها هذه الأخيرة، أو حتّى مدّة المجاورة.

كما نجد ذكرا للسّنة التي جاور بها بعض العلماء للمدينة المنوّرة، فمن بين هؤلاء أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني، وهو يمثّل عالما من هذه المدينة التي حُدّدت سنة بعينها، ووصلت نسبة ذكرها مقارنة بباقي العلماء ب: **14.28%**، لكن ذكرت السّنة بهذا الشّكل، وهو أنّ هذا العالم كعادة العلماء زار مكّة المكرّمة وأقام بها مناسك الحجّ، وبعدها جاور بالمدينة المنوّرة، وأقام بها إلى غاية سنة 728هـ/1328 م، ولكن حتى نعرف مدّة هذه المجاورة كان من الممكن أن تذكر المصادر التي ترجمت لهذا العالم السّنة التي وصل إليها إلى البقاع المقدّسة، ونقوم بعملية حسابية بسيطة لنعرف بالتدقيق مدّة المجاورة لهذا الأخير.

وفي بعض الأحيان لا تذكر المصادر التي ترجمت لهؤلاء العلماء السنوات، ولكن تذكر أنّه حجّ وجاور بالمدينة المنوّرة، ولكن لم تسمح له الفرصة للعودة إلى بلاده فتوفي بمكّة المكرّمة ونُقِل رفاته إلى المدينة المنوّرة وبهذه المدينة دُفِن، وتكتفي بذلك، وكان من بينهم العالم

البجائي عبد الله بن موسى الزواوي، وهو يمثّل عالما واحدا ذُكر على هذا النّحو ومثّلت نسبة ذكر أمثال هؤلاء العلماء **28.57%**، وهي نسبة أعلى من باقي النسب المذكورة أعلاه.

هذا ما استطعنا رصده من علماء المغرب الأوسط الذين جاوروا المدينة المنوّرة من مختلف مدنه وحسب اتجاهات علمائها، واختلاف بين هؤلاء فيما يتعلّق بمدّة المجاورة، والحقبة الزّمنية التي قضاها هؤلاء العلماء بهذه المدينة.

2- المجموعةُ الثانيةُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ التاسعِ الهجريّ (14م)

الرقم	اسم العالم المجاور	مسقط رأسه	اتجاهاته العلمية	مدة المجاورة
01	محمد بن محمد بن ميمون أبي عبد الله الجزائري المعروف بابن الفخار (ت801هـ/1399م)	الجزائر	محدّث فقيه	يقول تقي الدين الفاسي: "... حج وجاور بمكة من عام إلى ثمانية أعوام، وبالمدينة المنورة خمسة أعوام[1].
02	خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى محمد أبو الخير الصنهاجي الجزائري (ت 826هـ/1423مـ)	الجزائر	محدّث فقيه	انقطع بمكة نحو عشرين سنة، وقرأ بها على جماعة من العلماء، وبالمدينة على إبراهيم بن علي بن فرحون وآخرون[2].
03	قدم مكة موسى بن عائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوغي المالكي(ت 827هـ/1424م)	/	الفقه	قدم مكة المكرمة سنة 780 هـ وكان شيخ رباط الموفق وفي سنة 822هـ توجه إلى المدينة المنورة، وجاور أشهر كثيرة،

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص326-327؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج10، ص23.

[2]- السخاوي، التحفة اللطيفة، ج2، ص25-26؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص205.

				رجع بعدها إلى مكة المكرمة ودفن بها بوصية منه[1].
04	صفية ابنة محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن عنقة أم الحياء البسكرية (ت 845هـ/ 1441م)	بسكرة	محدّثة	نزيلة المدينة المنورة[2].
05	قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى الهلالي القسنطيني (ت 849هـ/1454م)	قسنطينة	من علماء الحديث ومن فقهاء المالكية	جاور بالمدينة المنورة التي استقر بها واشتغل بالتدريس حتى توفي ودفن بها[3].
06	أبو عصيدة أحمد بن أحمد البجائي (ت 865هـ/1460م)	بجاية	التفسير التصوف	جاور بالمدينة المنورة وتولى التدريس بالمسجد النبوي[4].
07	محمد بن مبارك القسنطيني (ت868هـ/1464م)	قسنطينة	فقيه وعالم في اللغة العربية وآدابها	نزيل المدينة المنورة [5].

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص 375-376؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص55.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج12، ص71.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص135.

[4]- يحي بكلي، المرجع السابق، ص54-55.

[5]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص545.

08	أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الله بن عبد الرحمان شهاب القسنطيني (ت878هـ/1474)	قسنطينة	عالم في العربية وعلوم الحساب	رحل إلى المدينة المنورة وتفرغ بها إلى مهنة التدريس [1].
09	احمد الحميري القسنطيني (ت 878هـ/1474م)	قسنطينة	فقيه	جاور بمكة المكرمة واشتغل بالتدريس بها ثم ذهب ليستقر بالمدينة المنورة، التي توفي ودفن بها[2].
10	أحمد بن محمد علي الزواوي	بجاية	محدّث	حجّ ودرس الحديث بالمدينة المنورة وجاور بها مدة زمنية ثم رجع إلى بلاده[3].
11	إبراهيم بن محمد بن الرحمان بن يحي بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي (ت 882هـ/1477م)	بجاية	فقيه مالكي وإمام في التفسير	انتقل إلى المشرق، سكن المدينة المنورة مدة من الزمن ثم انتقل إلى مكة المكرمة التي استقر بها وتوفي ودفن بها[4].
12	محمد بن علي أبو عبد الله البجائي (ت 885هـ/1480م)	بجاية	محدّث وعالم باللغة العربية	نزيل المدينة المنورة[5].

[1]- السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص ص 274-276؛ السخاوي شمس الدين، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان،(د.ت.ن)، ص252.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج5، ص428.

[3]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص295.

[4]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص352.

[5]- الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص230.

			وفقيه مالكي	
13	محمد بن أحمد بن مسعود الجزائري (ت 891هـ/1467م)	تلمسان	فقيهونحوي	جاور بالحجاز وتوفي بالمدينة ودفن بها[1].

أ- توزيعُ العلماءِ حسبَ الحواضرِ:

من خلال هذا الجدول المرفق، نجد تعدّد المدن والحواضر التي ذكرتها المصادر بالنسبة للعلماء المجاورين بالمدينة المنوّرة لبلاد المغرب الأوسط، حيث نجد تقريباالمدن نفسها التي ذُكِرت، ولكن السّؤال الذي يطرح نفسه بقوّة هل كانت نسبة تواجد هذه الحواضر بالعدد نفسه الذي وُجِدت فيه خلال القرون الماضية؟ أم وقع نوع من التغيير سواء كانت بنقص عددها أو تزايدها، وهذا ما سنحاول التعرّف عليه من خلال الأشكال التوضيحية من أجل الإجابة عن هذا السّؤال.

المدينة	تكرار ذكرها	نسبة حضورها
قسنطينة	04	%36.36
بجاية	03	%27.27
الجزائر	02	%18.18
تلمسان	01	%09.09
بسكرة	01	%09.09
المجموع	11	%100

[1]- السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص184.

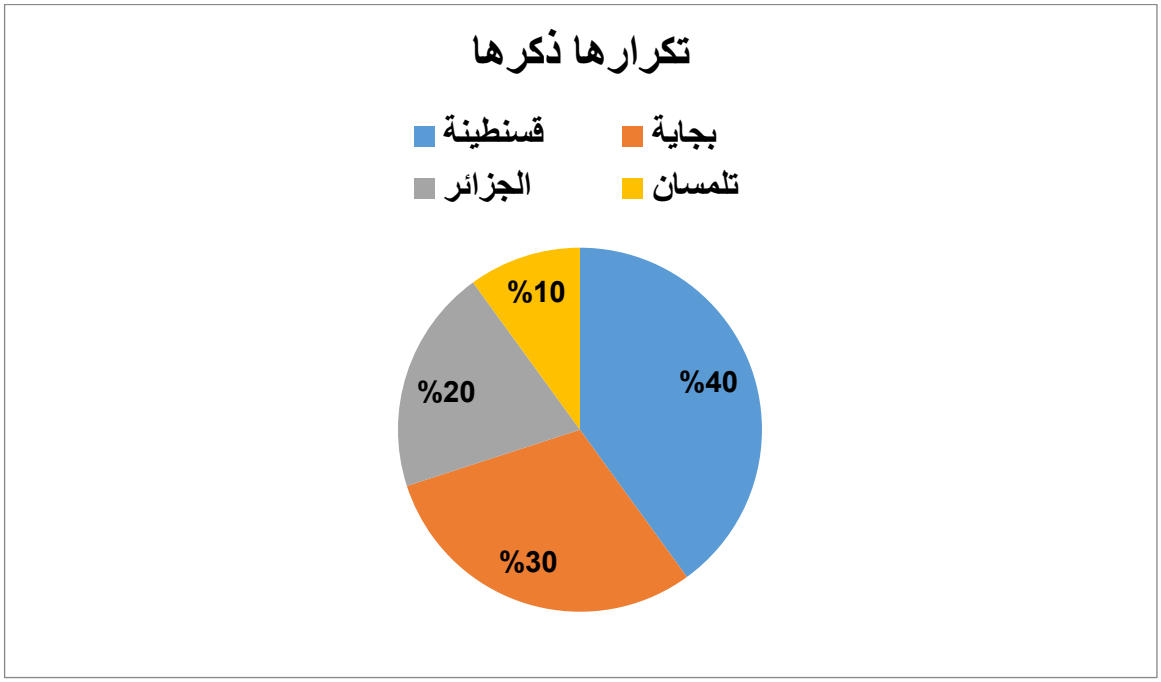

التعليقُ: نلاحظ من خلال هذا الجدول التفاوت الموجود في ذكر عدد مرّات المدن التي خرج منها علماء المغرب الأوسط للمجاورة بالمدينة المنوّرة، وهذا ما سنلاحظه من خلال تعليقنا على هذا الجدول وتحليله.

فيما يخص، أيّ المدن من المغرب الأوسط كانت هي الأولى؟ نجد أنّ مدينة قسنطينة قد احتلت المكانة الأولى بنسبة تقدر ب**36.36%** في عدد المجاورين ويعود هذا الأمر إلى كون مدينة قسنطينة كانتت حظى بمكانة مرموقة على الصعيد الديني والعلمي وبقيت على ماكانت عليه من قبل.

والمدينة الثانية ضمن الجدول والتي صدّرت علماء مجاورين إلى بلاد الحجاز نجد مدينة بجاية التي كانت من أوائل المدن التي خرج منها علماء قاصدين بلاد الحجاز وهذا ما نراه في عددهم؛ حيث نجد أنّ نسبتهم قد قدّرت ب**27.27%**.

فيما احتلت كل من الجزائر تلمسان وبسكرة المرتبة الأخيرة بنسبة إجمالية قدّرت ب**36.36%**.

ب- توزيعُ العلماءِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ:

أمّا اتجاهات علماء المغرب الأوسط المجاورين بالمدينة المنوّرة، فقد استقرّت على العلوم نفسها المتداولة آنذاكالتي توزّعت ما بين العلوم الشّرعية اللّغة العربية وآدابها، إضافة إلى علم الحساب، والرّسم البياني المرفق يبيّن بشكل أوضح توزّع العلماء على مختلف هذه العلوم.

أنواع العلوم	عدد العلماء
الفقه	9
الحديث	6
التفسير	2
التصوف	1
اللغة العربية	3
الحساب	1
المجموع	22

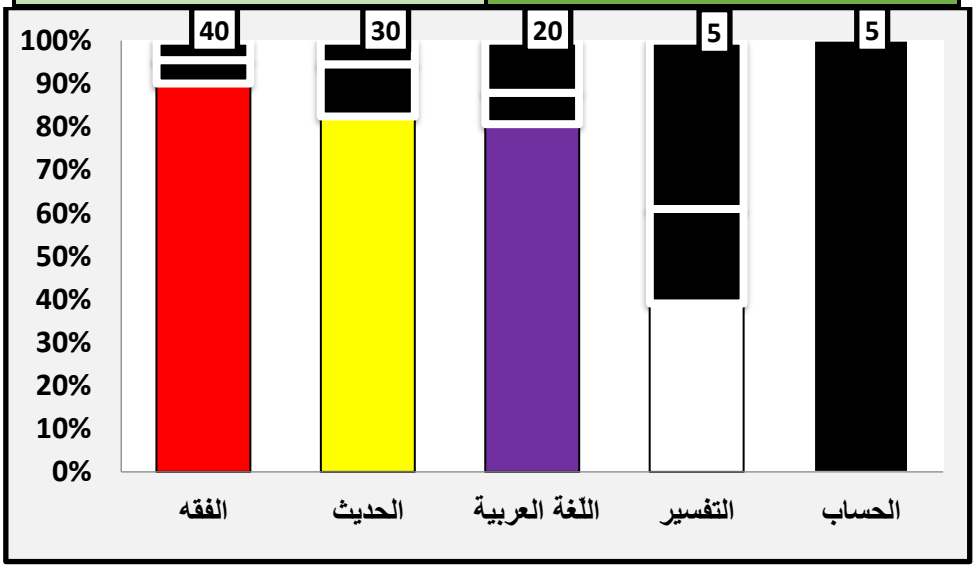

التعليقُ: من خلال هذا الرّسم البياني وهو يمثّل أعمدة بيانية، حيث يبيّن العلوم التي خاض فيها العلماء المجاورين لبلاد المغرب الأوسط، حيث تفاوتت نسبة مشاركة علمائها في

ميادين علمية مختلفة، فمن العلوم التي حازت على مراتب أولى، ومنها من احتلت مراتب أقلّ، وعليه، فمن خلال هذا الرّسم البياني سنتعرّف على مدى هذا الاختلاف، ولماذا كان مثل هذا الاختلاف في اتجاهات هؤلاء العلماء؟

نجد أنّ علماء المغرب الأوسط الذين فضّلوا المجاورة في المدينة المنورة قد تميّزوا مثل أقرانهم المجاورين بمكة المكرمة في الفقه الذي كان أول علم تميّزوا به بنسبة 40% وهي نسبة مئوية كبيرة إذا ما قارنّاها بمجموع العلوم الأخرى الموجودة، بينما احتل الحديث والتفسير نسبة قدرت ب 35% وهنا نلاحظ أنّ العلوم النقلية كانت لها الصدارة بنسبة 75% وهو ليس بالشيء الجديد؛ فالمعروف أنّ علماء المغرب الأوسط قد اهتموا بالعلوم النقلية وهو الأمر الذي سنفصل فيه في الفصل الثالث المتضمن جهود علماء المغرب الأوسط إبّان مجاورتهم لبلاد الحجاز، بينما العلوم الأخرى فقد كانت في أخر التصنيف.

ج- توزيعُ العلماءِ حسبَ المجاورةِ ومدّتِها: من خلال الجدول المرفق، سنتعرّف على مدّة المجاورة للعلماء المجاورين الذين ظهروا في القرن التاسع الهجري (15م)، وهل اهتمت المصادر بذكر هذه المدّة بدقة، أم كانت بالطريقة نفسها التي ذكرتها مع علماء القرن الثامن الهجري (14م)؟ وسنحاول التعرّض لذلك من خلال استقرائنا للجدول المرفق أسفله.

مدّة المجاورة	عدد العلماء
أقام 05 أعواماً/ أقام أشهر عديدة	02
أقام مدّة زمنية	02
استقرّ بها	01
عدم ذكر	07

أمّا الرّسم البياني، فهو يوضّح بشكل ملموس نسب هذا التفاوت في ذكر المصادر التي ترجمت للعلماء المجاورين من بلاد المغرب الأوسط ومدّة مجاورتهم للمدينة المنوّرة، وهي على النّحو التالي:

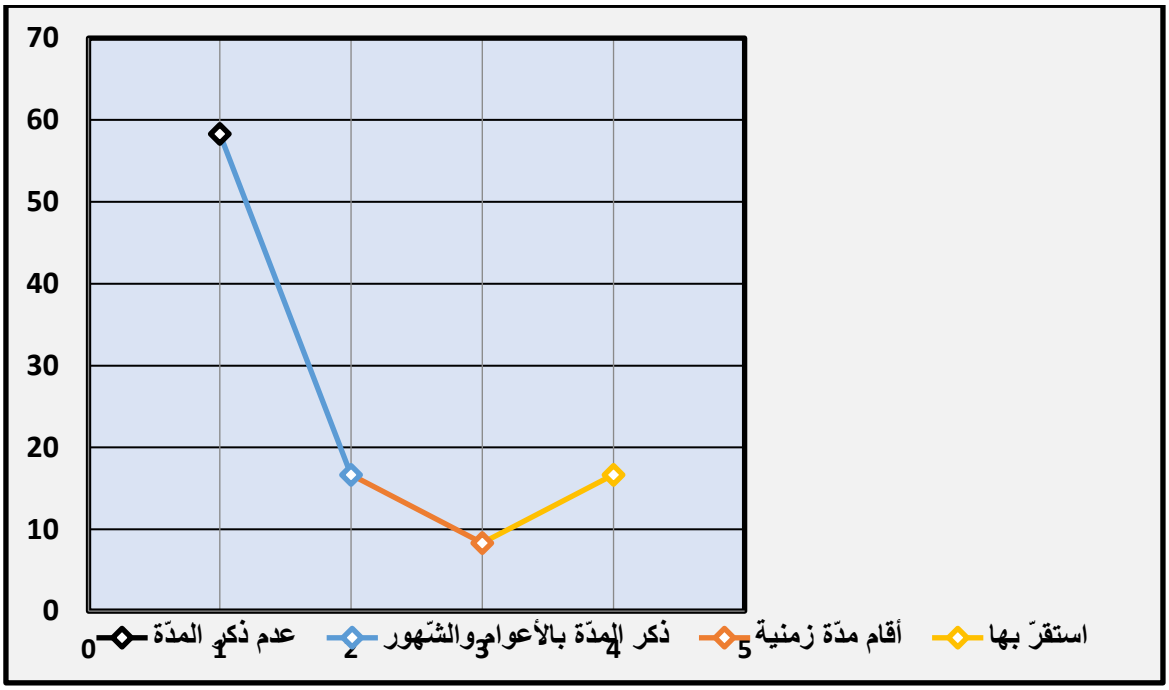

التعليقُ: يتّضح من خلال الشكلين الإحصائيين المتمثّلين في الجدول التوضيحي والمنحنى البياني أنّ مسألة **تحديد مدّة المجاورة بالمدينة المنوّرة** قد تباينت بين العلماء الواردين في العيّنة المدروسة، سواء من حيث التصريح بالمدّة الزمنية أو الاكتفاء بذكر المجاورة دون تحديدها، ويُعدّ هذا التفاوت معطى منهجيا بالغ الأهمية يستوجب الدراسة والتحليل، وهو ما سنعتمده من خلال استقراء معطيات الجدول وتحليل المنحنى البياني وفق التسلسل من اليسار إلى اليمين.

وفي هذا الســـياق، نبدأ بالفئة الأولى من العلماء الذين **لم تُحدّد المصـــادر مدّة مجاورتهم بالمدينة المنوّرة**، والممثّلة في الرسم البياني باللّون الأسود، وتُشكّل هذه الفئة الغالبية العددية

ضمن الجدول، إذ بلغ عدد أفرادها **سبعة علماء**، بنسبة قُدّرت بـــ **58.33%**، وهي نسبة مرتفعة بشكل لافت مقارنة ببقية الفئات الإحصائية، ما يعكس قصورا واضحا في المعطيات الزمنية التي توفّرها المصادر التاريخية.

ومن بين هؤلاء العلماء **خليل بن هارون الصنهاجي** الذي تشير المصادر إلى انقطاعه بمكة المكرّمة لمدّة عشرين سنة، دون أن تُقدّم أيّ تحديد زمني لمجاورته بالمدينة المنوّرة، كما لم تُحدّد مدّة مجاورة **صفية بنت محمد البسكرية**، إذ اكتفت الروايات بوصفها بنزيلة المدينة المنوّرة، وهو توصيف عام لا يسمح بضبط الإقامة زمنيا، وينسحب هذا الغموض الزمني كذلك على عدد من العلماء، من بينهم: **محمد بن مبارك القسنطيني، وأحمد بن يونس القسنطيني، وأحمد الحميري القسنطيني، ومحمد بن علي أبو عبد الله البجائي، ومحمد بن أحمد بن مسعود الجزائري**، حيث اقتصرت الإشارات إلى مجاورتهم على الذكر المجرد دون تحديد إطارها الزمني.

أمّا الفئة الثانية من العلماء الذين **حدّدت المصادر مدّة مجاورتهم تحديدا صريحا**، والممثّلة في الرسم البياني باللّون الأزرق، فقد جاءت محدودة العدد، إذ لم تتجاوز **عالِمَين اثنين**،وتُبرز هذه الفئة بوضوح التفاوت المنهجي في توثيق المجاورة؛ إذ تصرّح المصادر –على سبيل المثال– بأنّ العالِم **محمد بن محمد بن الفخّار** رحل إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحجّ بمكة المكرّمة سنة **800هـ/1397م**، ولم يقتصر مقامه على أداء المناسك، بل انتقل إلى المدينة المنوّرة، حيث جاورها **مدّة خمس سنوات كاملة**، وهو ما يُعدّ من الحالات النادرة التي ورد فيها تحديد زمني دقيق للمجاورة، ويمنح الباحث إمكانية أوضح للتحليل الكمي والزمني ضمن سياق الحراك العلمي بالحجاز.

أمّا العالِم الثاني الوارد في الجدول الإحصائي، فإنّه يمثّل النسبة نفسها التي سجّلها العالِم ابن الفخّار، والمقدّرة بـ **16.66%**، وهي نسبة تعكس محدودية هذا النمط من المجاورة ضمن العيّنة المدروسة، ويتعلّق الأمر بالعالِم **محمد بن موسى الونوغي**، الذي قام برحلة حجازية في إطار أداء فريضة الحج، حيث بلغ البقاع المقدّسة سنة **780هـ/1379م**، ولم يقتصر نشاطه العلمي على الإقامة بمكة المكرّمة، بل امتدّ إلى المدينة المنوّرة، إذ تشير المصادر إلى انتقاله إليها سنة **822هـ/1420م** ومجاورته بها لمدّة امتدّت لأشهر عدّة، غير أنّها ظلّت غير محدّدة زمنيا بشكل دقيق، وهو ما يحدّ من إمكانية ضبط مدّة المجاورة ضمن التصنيف الزمني الدقيق.

أمّا الفئة الثانية من العلماء المجاورين، فقد تميّزت بغياب التحديد الزمني الدقيق لمدة المجاورة في المصادر، إذ اكتفت بالإشارة إلى المجاورة دون بيان مدّتها، وقد جرى تمثيل هذه الفئة في الرسم البياني باللّون الأحمر، وبلغ عدد أفرادها عالِمَين بنسبة **16.66%**من مجموع العيّنة، ومن أبرز ممثّليها: **أحد بن محمد الزواوي** الذي استثمر مقامه بمكة المكرّمة في التوجّه إلى المدينة المنوّرة ومجاورتها لمدة زمنية غير معيّنة، وهو المعطى نفسه الذي تكرّر مع العالِم **إبراهيم بن عبد الرحمن الزواوي**، حيث اكتفت الروايات التاريخية بذكر سكناه المدينة المنوّرة دون تحديد إطار زمني واضح لإقامته.

أمّا الفئة الثالثة والأخيرة من العلماء الذين أفادت المصادر باستقرارهم بالمدينة المنوّرة، فقد جاءت محدودة للغاية، إذ لم تتجاوز عالِما واحدا، مثّلت نسبته **8.33%**من إجمالي العيّنة، وقد خُصّص لها في الرسم البياني اللّون البنفسجي، وتكشف هذه النسبة الضئيلة عند مقارنتها ببقية الفئات عن ندرة الاستقرار الدائم بالمدينة المنوّرة قياسا بأنماط المجاورة المؤقّتة، وهو ما

يعكس طبيعة الحراك العلمي الموسمي المرتبط أساسا بالحج والزيارة، أكثر من كونه استيطانا علميا طويل الأمد.

د- العلماءُ المجاورُون للمدينةِ المنوّرةِ من القرنِ السّابعِ إلى التاسعِ الهجري-دراسة مقارنة-

في هذا المجال، سنقوم بعملية إحصائية تحليلية من خلال الأشكال التوضيحية المرفقة للمقارنة من جميع النّواحي علماء المغرب الأوسط سواء أكان ذلك يشمل من حيث أعدادهم حسب القرون المحصورة في الدراسة، أم حتى من حيث حضورهم العلمي، وكذا من حيث مدّة المجاورة بين القرون المطروحة في الجداول التي سبق التعرّض إليها سابقا، وهي على النّحو التالي:

أ- **حسبَ أعدادِهم:** حقيقة أنّ حضور علماء المغرب الأوسط والعدد المذكور في المصادر، قد اختلف من حقبة لأخرى ومن قرن لآخر وذلك حسب المعطيات التي وردت معنا من خلال الأشكال التوضيحية التي مرّت معنا، ولكن كثرة أو قلّة العلماء المجاورين سواء أكانت المجاورة بمكّة المكرّمة أم بالمدينة المنوّرة كانت تخضع للظروف التي كان يمرّ بها بلاد المغرب الوسط، وهذا ما يوضّحه لنا الجدول المرفق، وهو على النّحو التالي:

نستهل هذه الدراسة بذكر عدد العلماء الذين تميّز بهم كلّ قرن من هذه القرون، وهذا ما سنوضّحه من خلال هذين الشّكلين المرفقين، فالأوّل يمثّل جدولا إحصائيا والثاني رسم بياني توضيحي.

القرون	عدد العلماء
القرن 7هـ/13م	01
القرن8هـ/14م	05
القرن9هـ/15م	12
المجموع	18

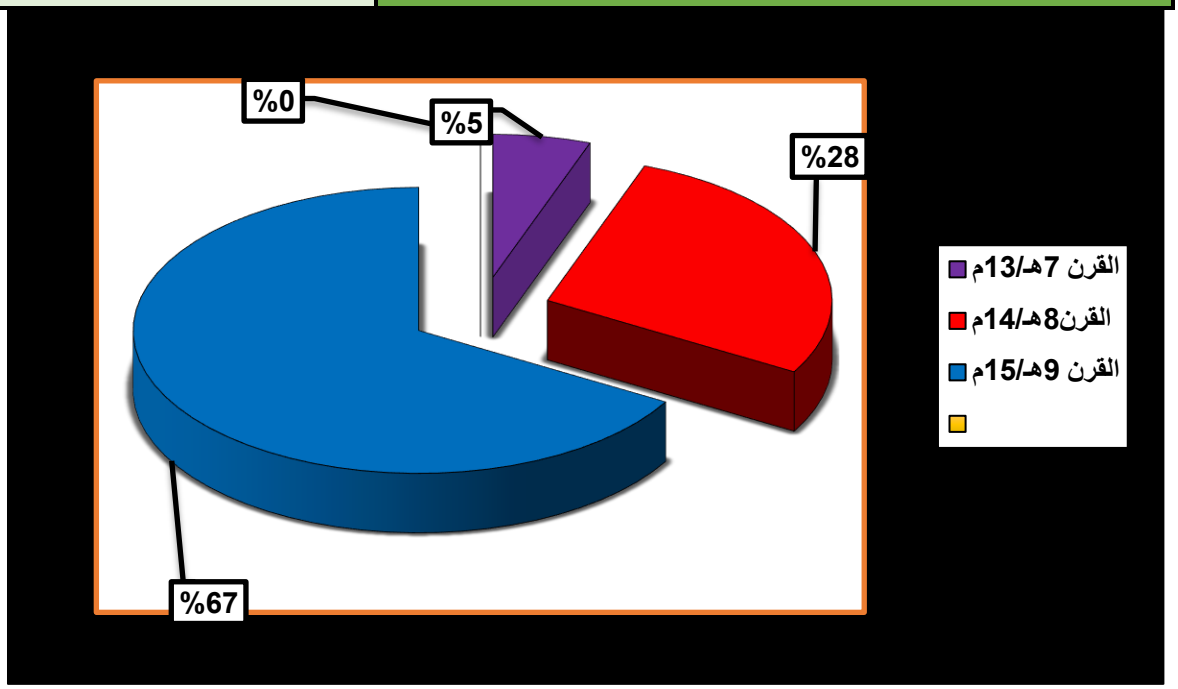

التعليقُ: من المعطيات المحصّل عليها من الجدول والدّائرة النسبية الظاهرين أعلاه، نلاحظ أنّ عدد علماء المغرب الأوسط الوافدين والمجاورين بالمدينة المنوّرة خلال مرحلة الدراسة متباعدة جدّا عن بعضها البعض، حيث نجد أنّ القرن **السّابع هجري(13م)** قد تفرّد بعالم واحد وهو رقم ضئيل جدّا مقارنة بالقرن الثامن والتاسع الهجريين، ففي القرن **الثامن هجري (14م)** كان عدد المجاورين بالمدينة المنوّرة خمسة علماء وهو رقم لا بأس به مقارنة بالقرن السّابق.

أمّا القرن **التاسع الهجري (15م)** فقدّر عدد العلماء باثنيْ عشر عالم وهذا الانتقال في عدد العلماء بين القرون الثلاثة يدلّ على اهتمام علماء المغرب الأوسط بالرّحلة والتعرّف على مقدّساتهم الدينية.

وعلى الرغم من قلّة عدد المجاورين بالمدينة المنوّرة مقارنة بمكة المكرّمة من أهل المغرب الأوسط، إلاّ أنّها كانت مقصدا للمجاورة، والسّبب الذي يرجع إليه تباين عدد العلماء المجاورين بين المدينة المنوّرة وبين مكة المكرّمة، هو أنّ المسجد النبوي يأتي في المركز الثاني من النّاحية الدينية والعلمية بالحجاز بعد بيت الله الحرام، ورغم ذلك كانوا يجاورون كما هو موضح من عدد المجاورين الموضّح في الجدول أعلاه، حيث كانت أروقتها والرّوضة الشريفة أماكن مخصّصة للقرّاء والمحدّثين والفقهاء وغيرهم من أهل العلم الذين يقصدونه للعلم والتعلّم وكانت حلقات العلم من أبرز مظاهر النشاط العلمي في المدينة، حيث كان العلماء يلقون دروسا مختلفة في التفسير والحديث والفقه والأصول والصرف والنحو والبلاغة[1].

كما أنّ الدراسة في المسجد النبوي لم تكن وفقا لمنهج مقرر، فالمدرّس هو من يقرّر ما يريد تدريسه لطلبته، وهو من يختار المنهج الملائم لهم أيضا[2]، أمّا بالنّسبة لأوقات التدريس فقد كان طلبة العلم هم من يحدّدون وقت دراستهم وفقا لجداولهم الدراسية، وكانت الدروس تتم يوميا من قبل الشيوخ وكانت حلقات الدرس في المدينة المنوّرة تضمّ الجميع دون تفرقة وهو ما جعلها قبلة للزيارة والمجاورة من قبل علماء المغرب الأوسط[3].

---

[1]–حسن أحمد بركة، المدينة المنورة في عصر دولة السلاطين المماليك الجراكسة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة –مصر، 2015، ص187.

[2]– سليمان عبد الغني المالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف، ص187.

[3]– خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، ج2، ص327.

ولهذه الأسباب التاريخية وغيرها تُعَدُّ المدينة المنوّرة إلى جانب مكة المكرّمة مهداً لازدهار العلوم وتكوّن العلماء في مختلف الطبقات العلمية من فقهاء ومحدّثين، وهكذا نجد بمكة المكرمة والمدينة المنوّرة الكثير من العلماء الذين ساهموا بدورهم في ازدهار الحياة العلمية في بلاد الحجاز عند المجاورة وفي المغرب الأوسط عند الرجوع إليه.

المبحثُ الثانِي: دراسةٌ مقارنةٌ بينَ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بالمدينةِ المنوّرةِ ومكّةَ المكرّمةِ خلالَ القرونِ السابعِ والثامنِ والتاسعِ الهجريّة (13–15م).

سنتناول في هذا المبحث دراسة العلماء الذين جاوروا بلاد الحجاز، والمقصود بها كلّامن المدينة المنوّرة ومكة المكرمة، وذلك في إطار مقارن يهدف إلى إبراز مدى حضـــور علماء المغرب الأوسـط وأنماط مجاورتهم للحرمين الشـريفين، وتسـعى هذه الدراسـة إلى تحليل هذا الحضـور من خلال مقاربة شـاملة تراعي الفروق بين المدينتين المقدّسـتين، وتقف عند طبيعة المجاورة ودلالاتها العلمية والزمنية، ولتحقيق ذلك، سـيُتَنَاوَلُ الموضـوع من خلال عدّة محاور أساسية، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

1– حسبَ مدنِ وحواضرِ المغربِ الأوسطِ: في هذا الجدول سنركّز على العلماء الذين حظيت بهم هذه المدن والذي سيجمع جميع القرون المدروسة.

المدن	القرن7هـ/13م	القرن8هـ/14م	القرن9هـ/15م	المجموع
بجاية	8	7	13	27
تلمسان	/	7	2	10
الجزائر	1	/	8	10
وهران	/	/	1	1
قسنطينة	/	/	9	9

بسكرة	/	2	3	6
تنس	3	/	/	3
المجموع	12	16	38	66

ونرفق هذا الجدول برسم بياني يبيّن نسبة كلّ مدينة من مدن هذه القرون الثلاثة وحضورها كحواضر علمية تركت بصماتها لدى علماء المغرب الأوسط.

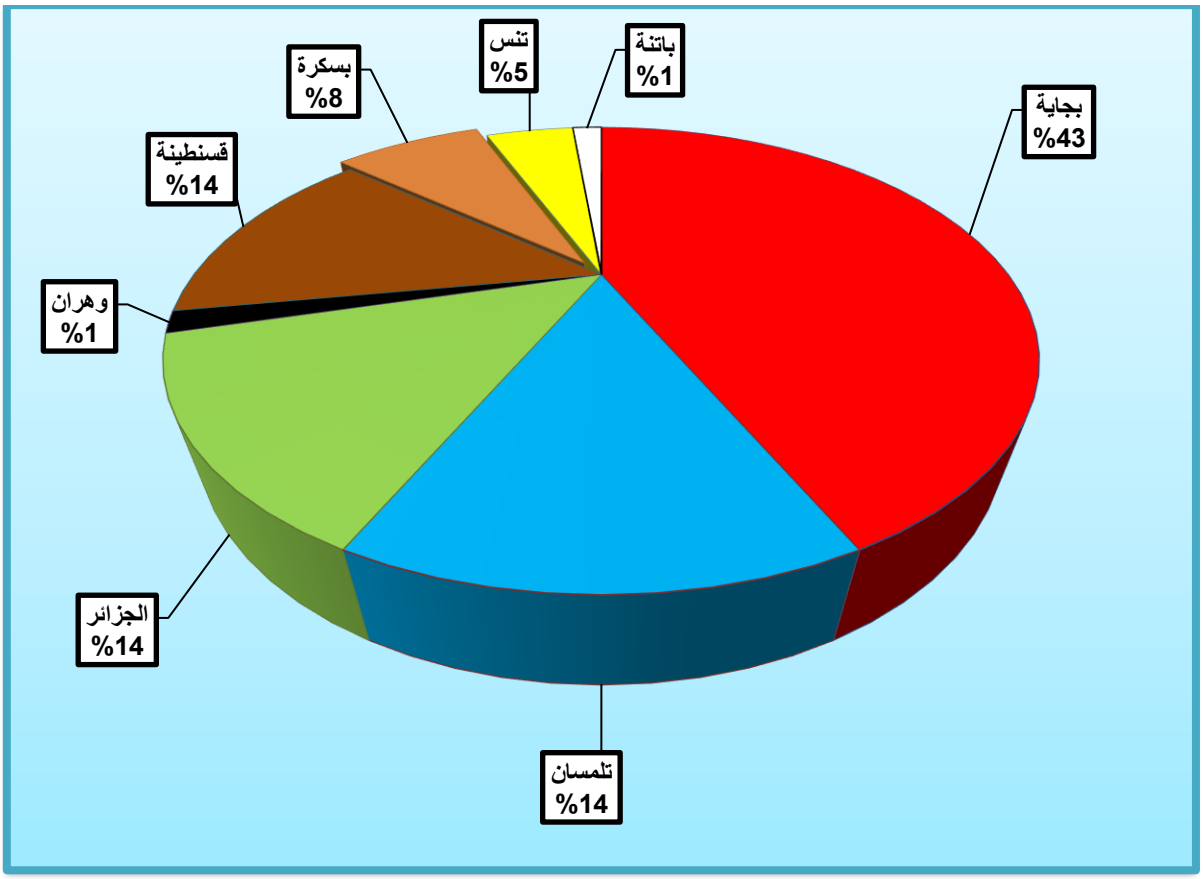

2- حسبَ علماءِ الحواضرِ العلميةِ: وفي هذا الجدول، سنناقش كل مدينة أو حاضرة ومدى استئثار كلّ من هذه الحواضر بعدد علمائها، ولنلاحظ أعداد العلماء المجاورين ببلاد الحجاز على العموم خلال هذه القرون.

الحواضر	مجموع العلماء	النسبة المئوية
بجاية	27	43%
الجزائر	09	14%
تلمسان	09	14%
قسنطينة	09	14%
باقي المدن	09	15%
المجموع	66	%100

التعليقُ: من خلال المعطيات المحصلّ عليها من الجدولين والدائرة النسبية أعلاه نلاحظ أنّ علماء المغرب الأوسط الرّاحلين والمجاورين ببلاد الحجاز توزّعت أسمائهم حسب الحواضر العلمية للمغرب الأوسط، فكانت بجاية هي الأولى من حيث تعداد العلماء المجاورين بنسبة **43%**، مما يعكس إسهام علماء بجاية بمختلف العلوم خاصة أنّ أعظم إنجازات المجتمع البجاوي كانت في الميدان الثقافي[1]، حيث شهدت بجاية ازدهارا ثقافيا كبيرا وقد توفّرت مجموعة من العوامل مكّنتها من أن تصبح مناخاً ثقافياً يشجّع على التطوّر الفكري والنّهوض الحضاري، ألا وهو انتقال الحمّاديين الذي ساعد على التطوّر الفكري في جميع الفنون والعلوم وازدهار الحياة الثقافية ببجاية[2].

[1]– محمد محمدي، المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة الحوليات التراث، العدد13، جامعة مستغانم، الجزائر،2013، ص1.

[2]– عيسى الذيب وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2001، ص122.

وكانت محطة القوافل القادمة إليها من المغرب الأقصى، وتجّار الصحراء وتجّار المشرق الإسلامي وبها تحلالشدود وتُباع البضائع مما ساهم في جعلها أهم مركز ثقافي في المغرب الإسلامي[1].

وقد جعلها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي هدفا للحجّ الحقيقي وقبلة للحركة العلمية، وله بهذه المدينة ذكريات، ففيها التقى بإمامه الرّوحي محمد بن تومرت ولم يكن عبد المؤمن الوحيد الذي شجّع العلم في بجاية، حيث عمل كلّ خلفاء الدولة الموحّدية من بعده على تنشيط الحركة العلمية[2]، حيث كانوا يخصّصون نفقة خاصّة للعلماء والفقهاء، إذ كان الخليفة عبد المؤمن يجري المرتّبات للطلبة شهريا من بيت المال، ويمنح الهبات للعلماء[3].

وأصبحت هذه الحاضرة قبلة يتوافد إليها أفئدة من المسلمين من بلاد الأندلس، فاستهوت عددا كبيرا من العلماء ومدرّسيْ العلوم وأهل الفتوى والقضاء من مختلف البلاد[4].

وعلى الرّغم من الاضطرابات السّياسية التي عاشتها بين الحفصيين والزيانيين إلا أنّها حافظت على تلك المكانة والدليل على ذلك تصدّر علماء بجاية الرّاحلين المكانة الأولى في عدد العلماء.

وتأتي إسهامات تلمسان في المرتبة الثانية بنسبة **14%**، ويعود هذا إلى العديد من الأسباب منها: ازدهار الفكر والثقافة بتلمسان خلال مرحلة الدراسة وحتى ما بعدها، فهي منبت

---

[1]-الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص261.

[2]- أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع، رسالة ماجستير، منشور جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 2008، ص75.

[3]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحّدين، ط1، مكتبة الخزناجي، مصر، 1980، ص07.

[4]-الغبريني، المصدر السابق، ص124.

ومحطّ أنظار العلماء والمفكّرين وحتى طلبة العلم الذين يفدون إليها سواء من الغرب الأندلسي أو من المشرق الإسلامي للتعليم والتعلّم في مدارسها النّاهضة ومدارسها الجامعة[1].

ما يؤكّد أنّ مدينة تلمسان ولاّدة للعلماء ومدينة العلم والثقافة هو قول البكري: "...تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها طواحين...، وهي دار مملكة زناتة، وموسطة قبائل البربر ومقصد للتجار الأفاق ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن عبد المطلب رضي الله عنه، ولم تزل تلمسان دار للعلماء والمحدّثين وحملة الرأي عن الإمام مالك..."[2].

إضافة إلى أنّ أهل تلمسان كانت لديهم حفاوة الاستقبال لطلاّب العلم والعلماء وذلك بتوفير أماكن الإقامة والتكفّل بنجاحاتهم.

أمّا حاضرة الشرق الجزائري قسنطينة، فكانت مساهمتها من عدد العلماء المجاورين بـ: **14%**، فتعدّ معبرا للطلاّب والعلماء والحجّاج نحو المشرق الإسلامي عامّة ونحو الحجاز خاصة، والتواجد بحواضرها دليل على أنّ حاضرة قسنطينة كانت تزخر بالبيوتات العلمية العريقة أمثال: البيت الباديسي وبيت ابن الفكون وبيت ابن قنفذ وهم من البيوتات التي لعبت دورا كبيرا وبالغ الأهمية في النّهضة العلمية وأن تكون مثل هذه البيوتات العلمية عاملا أساسيا في عملية التواصل بين علماء قسنطينة وعلماء المغرب الأوسط ومختلف الحواضر المشرقية ومنها الحجاز.

---

[1]- ابن ذيب عيسى وآخرون، المرجع السابق، ص06.

[2]- أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 164.

وكان قد تصدّر علماء المغرب الأوسط إلى العديد من المناصب العلمية الكبيرة في بلاد المشرق الإسلامي: كالقضاء والإفتاء والإمامة والخطابة في المساجد والتدريس في المدارس، ومنهم من طابت لهم المجاورة والاستقرار في بلاد الحجاز وحتى في بيت المقدس.

في الأخير، نلاحظ أنّ بلاد المغرب الأوسط كانت تزخر بالعديد من العلماء من مختلف حواضرها العلمية: كالجزائر ووهران وبسكرة وغيرها والذين كانت لهم إسهامات جليلة عند مجاورتهم بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

3- حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ: سنتعرّف في هذا العنصر على الحضور العلمي لعلماء المغرب الأوسط المجاورين ببلاد الحجاز على وجه العموم، أو ما يعرف باتجاهات كلّ عالم من هؤلاء العلماء العلمية في مختلف العلوم التي عرّفتنا بها المصادر، وهي على النّحو التالي:

العلوم	القرن 7هـ/13م	القرن 8هـ/14م	القرن 9هـ/15م	المجموع
الفقه	7	4	29	40
الحديث	3	1	14	18
التفسير	/	/	5	5
اللغة العربية	/	/	10	10
التصوف	1	1	3	5
الحساب	/	/	3	3
القراءات	1	4	2	7
الطب	/	/	1	1
المجموع	12	10	67	88

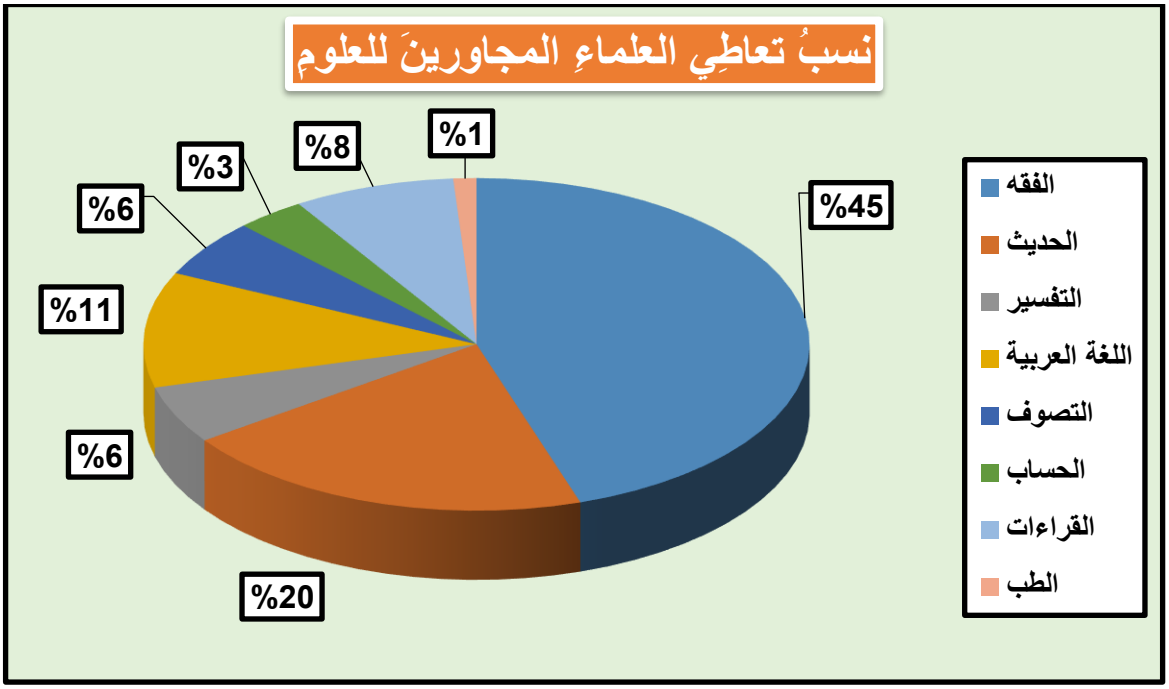

التعليقُ: من خلال الجدولين والدائرة النسبية أعلاه، نلاحظ أنّ الدراسات الدينية جاءت في المقدمة من حيث تعداد العلماء من أهل المغرب الأوسط الذين كانت لهم المجاورة في الحرمين المكي والمدني بنسبة تقدّر ب 91%؛ وذلك راجع إلى طبيعة أهل المغرب الأوسط الذين عرفوا بإقبالهم الكبير على دراسة العلوم الدينية.

أمّا من حيث الاختصاص، فجاء الفقهاء في المرتبة الأولى بنسبة تقدّر بـ 50%؛ وهذا دليل على أنّ جلّ علماء المغرب الأوسط كان لهم شغف التفقه في أمور دينهم ومعرفة كل التفاصيل المتعلقة بالدين الحنيف.

ثم تأتي دراسة الحديث في المرتبة الثانية بنسبة 22% من ناحية اهتمام العلماء المجاورين من المغرب الأوسط، وهي نسبة لا بأس بها مقارنة بالمحدّثين من أهل المشرق، وهو دليل على أنّ أهلالمغرب الأوسط كانت لهم روح سماع حفظ الأحاديث النبوية وتلقيها وتلقينها لطلبة العلم في بلدانهم حينما يرجعون، ثم جاءت الدراسات اللغوية في المرتبة الثالثة بنسبة 10% من حيث اهتمام العلماء المجاورين ببلاد الحجاز خاصة النحو والصرف والشعر

والدليل في هذا وجود علماء أثبتوا قدرتهم العلية في هذا التخصص وعلى رأسهم: عبد الله بن عمران بن موسى البسكري وهو قامة من قامات العلماء المجاورين بالحجاز وكان قد جاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرهم ممن تصدّر هذا الاختصاص في بلاد الحجاز.

يأتي علم التصوف والقراءات والتفسير بنسبة 10% وهو مجال وتخصص قلّما برز فيه علماء من الأمصار الأخرى، وعلى الرغم من هذا، فإنّ أهل المغرب الأوسط تمكّنوا من فرض أنفسهم في هذه العلوم الثلاث وأثبتوا أنهم أهللذالك وكان منهم قرّاء، نذكر منهم: جعفر عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السلمي الصقلي بجائي المولد(توفي سنة 644هـ/1246م) وعثمان بن يوسف بن محمد بن علي الصنهاجي(توفي سنة863هـ/1458م) الذي برع في التصوف وغيرهم، أمّا العلوم العقلية، فالملاحظ عنها أنها قليلة جدا على غرار الطب والحساب والمنطق؛ لأنّ علماء المغرب الأوسط الراحلين إلى الحجاز والمجاورين بالحرمين المكي والمدني برعوا وأجادوا أكثر في العلوم النقلية.

4- حسبَ مدّةِ المجاورةِ:

وفي هذا السياق ننتقل إلى دراسة **مدّة المجاورة** لدى علماء المغرب الأوسط، سواء أتعلّقت هذه المجاورة بمكّة المكرّمة أم بالمدينة المنوّرة، ويُلاحظ وجود تباين في توجّه هؤلاء العلماء نحو الحرمين الشريفين، الأمر الذي انعكس على اختلاف الحقب الزمنية التي أقاموا فيها، وكذلك على تنوّع الألفاظ والمصطلحات المستعملة في المصادر عند الحديث عن مفهوم المجاورة ومدّتها.

مكان المجاورة	العلماء المجاورون مدة زمنية معينة	العلماء المجاورون 10 سنوات فما فوق	المجاورون حتى الوفاة والذين دفنوا بها
مكة المكرمة	21	6	20
المدينة المنورة	11	1	5
المجموع	32	7	25

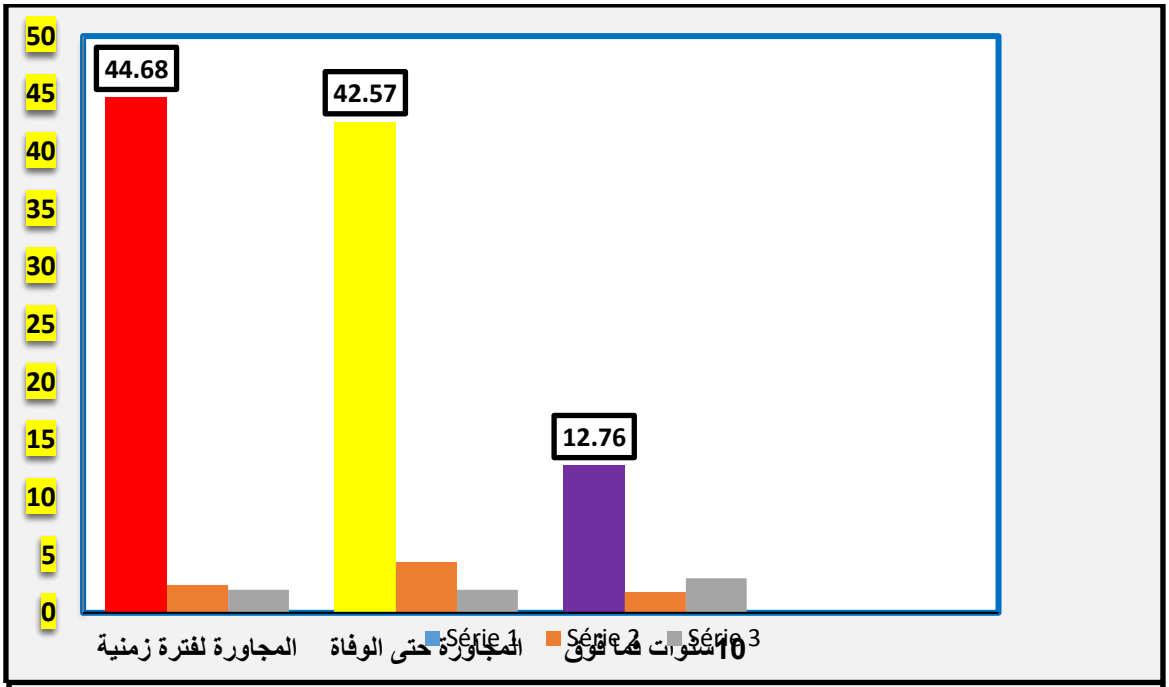

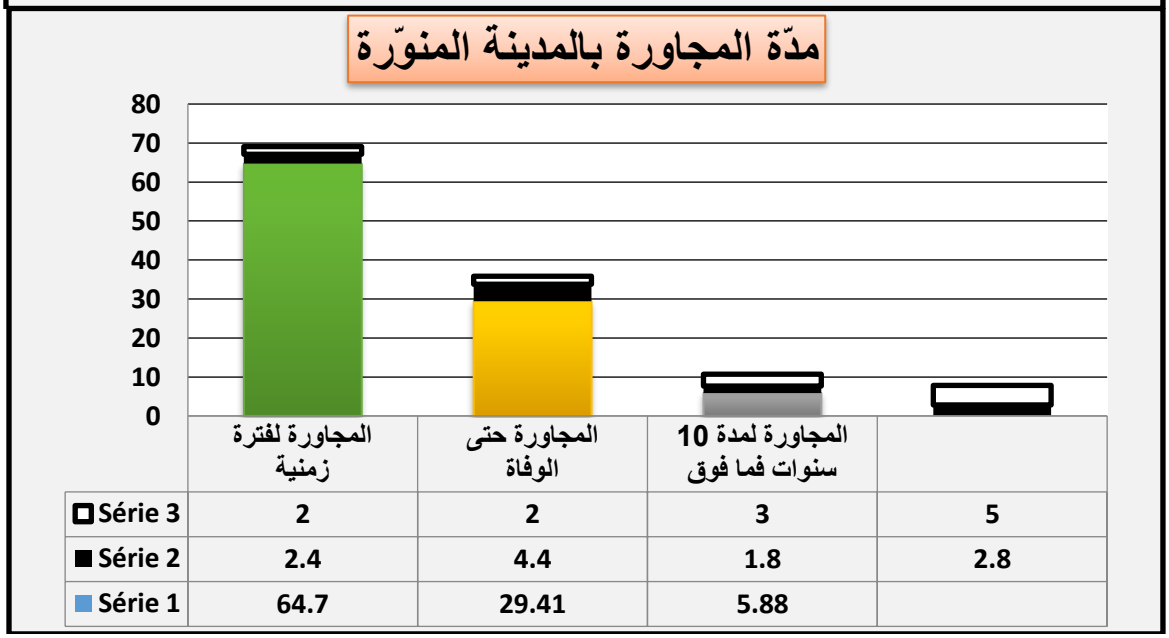

التعليقُ: من خلال عرض الجدول التوضـــيحي الذي يبيّن أماكن مجاورة علماء المغرب الأوســط ببلاد الحجاز، ســواء بمكة المكرمة أو بالمدينة المنورة، يتّضــح أنّ تمركز العلماء المجاورين كان أكبر في مكة المكرمة مقارنة بالمدينة المنورة، ويُعزى ذلك إلى جملة من الاعتبارات العلمية والدينية التي تمت الإشـــارة إليها في الفصـــل التمهيدي، وفي مقدّمتها: المكانة العلمية البارزة التي تميّزت بها مكة المكرمة التي جعلتها الوجهة الأولى لعلماء الحجاز والوفدين إليها، وهو ما تؤكّده الأعداد والنِّســـب المبيّنة في الجدول والأعمدة البيانية المرافقة له.

أمّا المدينة المنورة، فقد جاءت في المرتبة الثانية من حيث عدد العلماء المجاورين، رغم ما تحظى به من مكانة روحية ودينية مرموقة لدى العلماء وقد سبق التطرّق إليها، غير أنّ عدد المجاورين بها ظلّ أقل مقارنة بمكة المكرمة، ويُلاحظ كذلك أنّ بعض العلماء الذين جاوروا بالمدينة المنورة كانت لهم تجارب سابقة في المجاورة بالحجاز، مما أدّى إلى تكرار أسمائهم في الجدول، وهو ما يدل على ازدواجية المجاورة لديهم بين الحرمين الشريفين.

كما تُبرز المعطيات الإحصائية الواردة في الأعمدة البيانية تفاوت مدد المجاورة بين العلماء؛ إذ شكّل العلماء الذين اقتصرت مدة مجاورتهم على حقب قصيرة لا تتجاوز خمس سنوات الفئة الأكثر عددا، بينما احتل العلماء الذين آثروا الإقامة الدائمة المرتبة الثانية، وذلك لأسباب علمية واجتماعية واقتصادية تمّت الإشارة إليها سابقا، في حين تبيّن أنّ العلماء الذين امتدت مجاورتهم لمدة زمنية طويلة تجاوزت عشر سنوات كانوا الأقل عددا، حيث لم يتجاوز عددهم سبعة علماء فقط، وعلى الرغم من هذا التفاوت في مدة الإقامة، فإنّ هذه الفئة من علماء المغرب الأوسط أسهمت-كلٌّ حسب تخصصه وحاضره العلمي- في تنشيط الحياة

العلمية ببلاد الحجاز مســـاهمة في تطور مختلف العلوم الشـــرعية والعقلية خلال المرحلة المدروسة.

الفصلُ الثالثُ

الجهودُ العلميةُ لعلماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينِ ببلادِ الحجازِ

المبحثُ الأولُ: إسهاماتُ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ في العلومِ النقليةِ والعقليةِ بمكةَ المكرمةِ.

المبحثُ الثانِي: إسهاماتُ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ في العلومِ النقليةِ والعقليةِ بالمدينةِ المنورةِ.

المبحثُ الأوّلُ: إسهاماتُ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكةَ المكرمةَ في العلومِ النقليةِ والعقليةِ.

1- إسهاماتُهم في العلومِ النقليةِ:

وهي العلوم التي ترتبط بمعرفة كلّ ما يتعلّق بالدين الإسلامي وتقرّب الإنسان من ربّه على اختلافها وهي كلّها مستندة إلى الخبر عن الوضع الشّرعي ولا مجال للعقل فيها إلاّ في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول يقول ابن خلدون هنا:"...العلوم التي يخوض فيها البشر ويداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين... والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الوضع الشرعي... وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشّرعيات من الكتاب والسّنة والتي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم..."[1]، في هذا النّص، أورد ابن خلدون العلوم المندرجة تحت صنف العلوم النقلية هي: علم التفسير والقراءات وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم الأصول وعلم الكلام.

أ- الفقهُ وأصولُهُ:

الفقه، **لغةً:** هو الفهم المطلق والفطنة، ونستدلّ هنا بقول الله سبحانه وتعالى:﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كثيرا مما تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾[2]، وقيل الفقه هو الفهم العميق الناتج عن التفكير والتأمل، ويشهد له قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام):﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي**﴾"[3].

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص 355.

[2]- سورة هود، الآية: 91.

[3]- سورة طه، الآية: 27.

أمّا **اصطلاحًا**، فللعلماء في تعريف الفقه في الاصطلاح عبارات مختلفة:

فنجد القاضي أبي يعلى يعرفه بقوله:" هو العلم لأحكام أفعال المكلفين الشرعية دون العلية، نحو التحريم والتحليل والإيجاب والإباحة والندب وصحة العقد وفساده..."[1] .

وقال أبو الخطاب:" أمّا معناه في الشرع: فهو العلم بأحكام أفعال المكلّفين الشرعية دون العقلية"[2].

أمّا بدر الدين الزركشي فيقول:" وأمّا في اصطلاح الأصوليين، فهو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[3]، وعليه، فنعني به علم الأحكام الشّرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[4].

المعروف عن علماء المغرب الأوسط الذين آثروا جوار الحرمين تشبّعهم وتمسّكهم بمذهبهم الأصلي لبلاد المغرب الإسلامي"مذهب مالك بن أنس (رضي الله عنه)، فجلّ من انتقل من العلماء نحو الحجاز كان مالكي المذهب، عدا بعض المولّدين بمصر وما يليها من الأراضي الشّامية كانوا شافعية المذهب، لكن يبقى منبتهم وجذورهم المغربية تغلب على أصلهم كونهم مغاربة مالكية، فهذه الصبغة كان لها بالغ الأثر في حياة علماء المغرب الأوسط وطلبة العلم ممن فضّلوا المجاورة، وقدساهم هذا الانتماء في إعادة إحياء المذهب المالكي الذي غاب عن الحجاز التي تعدّ الموطن الأصلي للمذهب المالكي ومقرّ سكن الإمام مالك بن أنس.

---

[1]- القاضي أبي يعلى الحنبلي، العدة في اصول الفقه، تحقيق: احمد المباركي، ط1، مؤسسة الرسالة، السعودية، 1980، ج1، ص68.

[2]- أبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي، التمهيد في أصول الفقه، تحقيق: مفيد أبو شمعة، ط2، مؤسسة الريان مع المؤسسة المكية، السعودية، 1985، ج1، ص04.

[3]- الزركشي بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير، عبد القادر العاني، ط2، وزارة الأوقافوالشؤون الإسلامية، الكويت، (د.ت.ن)، ج1، ص21.

[4]- خلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، 1996، ص 13.

أمّا عن المساهمات الفقهية، فنبدأ بأوّل فقيه من المجاورين من المغرب الأوسطببلاد الحجاز، منها مكّة المكرّمة، نخصّ بالذكر منهم:

الحسن بن محمد بن علي الجزائري (توفي سنة 573هـ/1177م) أفاد صاحب معجم الشيوخ في ترجمته لهذا العَلَم أنّه كان من أبرز أئمّة المالكية بمكّة المكرّمة، وأنّ له مكانة علمية رفيعة تؤهّله لأن يُؤخذ عنه ويُروى، إذ ذكر أنّه تلقّى منه إجازة مكتوبة، وهو ما يدلّ على اعترافه بعلمه وثقته بروايته، ويتجلّى ذلك صراحة في عبارته عند ترجمته له بقوله: «أخبرنا الحسن محمد... إجازة كتب بها إلينا»، وهي صيغة تدلّ على الاتصال العلمي والإذن بالرواية، وتُبرز مكانته في سلّم أهل العلم في عصره، ولم يقتصر هذا الوصف على صاحب معجم الشيوخ وحده[1]، بل وافقه صاحب العقد الثمين، إذ نقل الترجمة نفسها، وأكّد ما ورد فيها من كونه إمام المالكية بمكّة المكرّمة، بل زاد بياناً بتحديد موضع إمامته، فنصّ على أنّه كان إمامهم بالمسجد الحرام، وهذا التوافق بين المصدرين يعزّز الثقة بالمعلومة، ويدلّ على اشتهاره بهذه المنزلة بين معاصريه ومن جاء بعدهم[2].

كما أنّ الجمع بين الإمامة في أعظم مساجد الإسلام، وبين التصدر لمذهب المالكية في مكّة المكرمة، يكشف عن سعة علمه ورسوخ قدمه في الفقه، وحضوره المؤثّر في الحياة العلمية والدينية بالبلد الحرام، وتدلّ هذه الإشارات مجتمعة على أنّه لم يكن مجرّد فقيه أو راوٍ، بل كان من أعلام المذهب الذين يُرجع إليهم ويُحتفى بسندهم وإجازتهم، لِمَا لهم من أثر في نقل العلم واستمراره[3].

يَتبيّن من النّصَّين بوضوح أنّ الحسن بن محمد بن علي الجزائري كان من علماء الشريعة، ولا سيما في الفقه، إذ وُصِف بأنّه من الأئمة البارزين في مذهب مالك ويكشف هذا عن مكانته العلمية الرفيعة في هذا الميدان، الأمر الذي جعل مكة المكرمة وحلقات العلم فيها

---

[1]- ابن فهد، معجم الشيوخ، ص240.

[2]-المصدر نفسه، ص240.

[3]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج4، ص180.

تنتفع بإسهاماته، ويستفيد طلبتها من معرفته الراسخة في الفقه، ومثل هذه المنزلة لا ينالها إلاّ من كان متعمّقا في العلم، راسخا في أدواته، مما يدلّ على أثره العلمي الواضح ومشاركته الفعّالة في نشر الفقه المالكي وتعليمه،وقد صرّح بعضهم بأنّه كان من الفقهاء الثقات المتقدّمين في هذا العلم بمكة المكرمة، وهو ما أهّله لتولّي الإمامة في مقام المالكية في الحرم المكي مدّة طويلة، وبفضل مكانته العلمية هذه، أخذ عنه علماء مكة والمجاورون، وانتفعوا بعلمه الراسخ وإتقانه للفقه المالكي، ومن ثَمَّ، فإنّ النّص الثاني يوضح بجلاء أنّه بلغ مكانة رفيعة في الفقه، وهي المكانة التي أهّلته لتولّي الإمامة لا لمدة يسيرة، بل لمدة طويلة امتدّت بفضل إقبال طالبيْ العلم على الاستفادة من معرفته، ولم يقتصر ذلك على أهل مكة المكرمة فحسب، بل شمل أيضا العلماء والطلاب المجاورين بتلك البقاع المقدّسة، وهذا كلّه يشكّل دليلا واضحا على السمعة العلمية التي اكتسبها والتي ما كان لينالها لولا رسوخ قدمه وسعة علمه في هذا الميدان[1].

ثاني فقهاء مكّة المكرمة من علماء المغرب الأوسط المجاورين هو: **علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله أبو الحسن البجائي (توفي سنة 652هـ/1254م)** الذي وُلِد في مدينة بجاية، ثم ارتحل إلى الأندلس، ومنها إلى بلاد المشرق الإسلامي، حيث تتلمذ على كبار العلماء، الأمر الذي مكّنه من أن يغدو من أبرز فقهاء المالكية وقد اتصف بالإتقان والضبط والأمانة العلمية، مما أكسبه مكانة رفيعة أهّلته للإقراء، فأسمع خلقا كثيرا من العلماء وطلّاب العلم، وانتفعوا بما حازه من رسوخ في الفقه وتميّز في علوم الشريعة[2].

كان من العلماء المولعين ببيت الله الحرام، حيث حجّ ثمانيَ عشرة حجّة وأخذ العلم عن عالم مكّة أبي محمد يونس بن يحي الهاشمي[3]، أصبح من الفقهاء الرواة ومن الحفّاظ المتمكّنين

---

[1]–الغبريني، المصدر السابق، ص33.

[2]–ابن الآبار محمد بن عبد الله أبو بكر القطاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السّلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 1995م، ج3، صص 252–253.

[3]– الغبريني، المصدر السابق، ص66–68؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص321؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص38.

في فقه الإمام مالك، فبرز في هذا الميدان وذاع اسمه فيه، ولا غرابة في ذلك فوالده أبو نصر كان من علماء هذا الفقه، مما أتاح له نشأة علمية راسخة أسهمت في تميّزه وتفوّقه في الفقه المالكي[1].

ثالث هؤلاء الفقهاء المغاربة بمكّة المكرمة والذينأسهموا بعلمهم فيها هو: **أبو علي عمر بن أحمد العمري البجائي (توفي سنة 665هـ/1265م)** وكان من كبار فقهاء المالكية وعلماء الأصول في زمانه،بجائي الأصل، تميّز بعدة خصال من بينها: رحلته إلى المشرق الإسلامي وأداؤه لفريضة الحج عدة مرات، مما أتاح له فرصة التعلم والتفقه على يد العديد من العلماء هناك، وقد مكّنته هذه الرحلات من نقل معارفه ومشاركته في الحياة العلمية بالبلاد الحجازية، مساهما بذلك في إثراء الحركة العلمية في مكة المكرمة ونقل الفقه المالكي والعلوم الشرعية إلى الوسط المحلي، مما يعكس دور علماء المغرب الأوسط في الإسهام الحضاري والعلمي بالحجاز[2].

ترجم له صاحب تعريف الخلف بقوله:"الشيخ الفقيه الأصولي المبارك"، كانت له رحلة حجازية لأداء فريضة الحجّ ببيت الله الحرام؛ حيث أخذ عن جملة من الشيوخ الأفاضل، فشارك الشيخ الفاضل والعالم الجليل أبو الحسن الحرالي[3] في مجموعة من شيوخه الذين قرأ عليهم بالمشرق، فأصبح بعدها من العدول المرضيين، ما يدلّ على تفوّقه في هذا العلم أنّ بعضاممن

---

[1]–ابن قنفذ القسنطيني أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب أبو العباس، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت– لبنان، 1983م، ص321؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص38.

[2]– الغبريني، المصدر السابق، ص114.

[3]– هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي: تخلّى عن الدنيا وزهد فيها ورحل إلى بلاد المشرق، حيث لقي جملة من الشيوخ بها منهم: الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي إمام الحرم الشّريف...ينظر: الغبريني، المصدر السابق، صص143–144.

أخذ عنه العلم، وهو من تلامذته رأى له تقييدا ردّ فيه على الوصيّة التي أوصى بها فخر الدين بن الخطيب[1][2].

يتّضح من خلال النصوص التي تناولت ترجمته أنّ هذا الفقيه التقى بعدد معتبر من الشيوخ في البقاع المقدّسة، حيث تلقّى عنهم علوما متنوّعة، كان في مقدّمتها الفقه وأصوله، وقد أسهم هذا التعدّد في الشيوخ واللقاءات العلمية في إثراء معارفه إثراء ملحوظا، الأمر الذي مكّنه من العودة إلى موطنه بجاية وهو مزوّد برصيد علمي راسخ انعكس لاحقا في نشاطه التعليمي؛ إذ عمل على نقل ما حصّله من علوم فقهية وأصولية إلى أبناء حاضرة بجاية،ولا يبدو أنّ هذا التنوّع في شيوخه واستفادته من معارفهم كان أمرا عارضا أو وليد المصادفة، بل جاء نتيجة لمجاورته مكّة المكرّمة أكثر من مرّة، ولمَدَدٍ زمنية متفاوتة، وقد أتاح له ذلك الاحتكاك المستمر بالوسط العلمي المكّي، والاطلاع على تعدّدالتخصّصات العلمية التي كان كل شيخ يدرّسها لطلابه، وأسهمت هذه الإقامة المطوّلة والمتكرّرة في تعميق مداركه العلمية وتوسيع أفقه المعرفي، بما يؤكّد الدور المحوري للمجاورة العلمية المستمرّة في صقل العلماء وتعزيز عملية انتقال العلوم بين المراكز العلمية الكبرى والحواضر الإسلامية المختلفة.

أمّا الفقيه الرّابع، فهو الإمام العالم العامل **إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (توفي سنة 670هـ/1272م)** كان من كبار فقهاء المالكيّة، وهذا ما أكّده لنا التنبكتي عندما ترجم له، فقال: أنّه انتهت إليه الرّياسة في الفتوى، ولم يكتف بذلك –أيْ الفتوى–، وهو ما أكّده صاحب البستان من أنّه كان رأسا في الفتوى[3]، بل نتيجة لتفقّهه، فقد كانت تَرِدُ عليه جملة من

---

[1]– هو أبو عبد الله فخر الدين الرّازي محمد بن عمر بن الحسين البكري: من علماء طبرستان المتخصصين في التفسير ولد سنة 544هـ/1150م اشتهر بذكائه والحكمة، انتشرت مؤلفاته مشرقا ومغربا توفي سنة 606هـ/ 1210....ينظر: شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج21، ص 502.

[2]– محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ص ص291–292؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص39.

[3]– ابن مريم، المصدر السابق، ص66.

الأسئلة يستفتونه فيها، وخاصة طلبة العلم بتلمسان، والبلاد الأخرى من إفريقية وكان الفقهاء يطلبون منه البقاء بينهم في حاضرة تلمسان[1]، كما أفادنا العبدري على أنّه ينتمي إلى أسرة علمية منهم: أخوه أبو الحسن الفقيه، فكان الاثنان مشاركين في هذا العلم[2].

أمّا المقري، فقد ذكره في تأليفه عن القاضي عياض عند الحديث عن مكانة ابن خميس بين علماء بلاد المشرق، واكتفى بوصفه بأنهمن الشيوخ الصلحاء المشهورين دون أن يفيدنا صراحة بأنه كان فقيها، ومع ذلك، فإنّ استعماله لقب **الشيخ** يشير بوضوح إلى أنّالتنسي كان من العلماء، وأنّ الفقه كان من بين العلوم التي درسها ودرّسها، كما أنّ ظهور علمه في هذا الفرع من علوم الشريعة يعزز دلالته على مكانته العلمية وعمق معرفته بالفقه، مما يؤكّد إسهامه الفعّال في نقل العلوم الشرعية ضمن البقاع المقدسة التي جاورها[3].

رحل إلى مكّة المكرّمة حاجّا، فأخذ عن علمائها أمثال: النّاصر المشدالي والإمام القرافي وغيرهما من علماء الحجاز علوم المنطق والجدل وعلم الكلام والإرشاد، ثم رجع إلى بلاده وسكن تلمسان وانتهت إليه رئاسة العلم والتدريس والفتوى ببلاد المغرب كلها، شرح التلقين لعبد الوهاب في عشرة أسفار، فضاع الشّرح في حصار تلمسان، كان من أولياء الله الجامعين بين علميْ الظاهر والباطن، توفي سنة 670هـ/1272م[4].

فقيه آخر من المجاورين وجدت له مشاركات فقهية بمكة المكرمة وهو:**أبو علي عبد المحسن الوجهاني السوّاف (توفي نحو691 هـ/1292م)** واحد من العلماء الذين ترجم لهم الغبريني في كتابه ويذكره بقوله:"...عالم نشأ منشئا معتمدا فيه على العمل والتخصيص وجميل

---

[1]–التنبكتي، نيل الابتهاج، ص35.

[2]–العبدري محمد بن محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله، الرّحلة، حقّقها وقدّم لها: علي إبراهيم كردي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق–سوريا، 2005، ص53.

[3]– المقري أحمد بن محمد شهاب الدين التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة–مصر، 1940، ج2، ص322.

[4]–التنبكتي، المصدر السابق، ص35؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص218.

الاعتقاد"[1]، وُلِد وترعرع بمدينة بجاية، حيث تلقّى علومه الأولى، ثم انتقل إلى الحجاز سنة 660هـ/1261م لأداء فريضة الحج، واستقر في مكة المكرمة، حيث لقي عددا من أفاضل العلماء في زمانه، وقد اشتهر بالتقوى والزهد والورع، ومنقطعا عن ملذّات الدنيا، مما أكسبه احتراما وتقديرا بين تلاميذ الحجاز ومصر الذين أخذوا عنه العلوم الشرعية والفقهية، كما تُظهِر النصوص اهتمامه بالديار المصرية وتنقّله المتكرر بينها وبين الحجاز، مما جعله معروفا لدى العلماء والطلاب هناك، ويؤكّد أحد تلاميذه الذي رافقه في رحلته من مصر إلى الحجاز أنه كان ملتزما بالبساطة في سفره، محافظا على زهد حياته، حيث خرج بقميص وعمامة ومئزر وعكاز وركوة دون زيادة أو ترف، الأمر الذي يعكس تواضعه وورعه، وقد مكّنته هذه الرحلات المتكررة ومجاورته بالحجاز من نقل علومه ومؤهّلاته العلمية إلى طلبة الحجاز، فساهم بذلك في إثراء الحركة العلمية هناك ونشر الفقه المالكي والمعارف الشرعية، مؤكّدا دوره كحلقة وصل بين علماء المغرب الأوسط ومصر وبلاد الحجاز[2].

عُرِفَ بأنّه من العلماء البارعين في الفتيا، بحيث إنّه كان إذا ما أفتى في مسألة ترجّح في قولها، توفي سنة691هـ/1292م[3].

ويتضح لنا من خلال ما سبق أنّ العالم **الوجهاني السوّاف** كان من العلماء الذين تتوفر لديهم شروط الفتيا: كالإسلام والعقل والعلم والعدالة وغيرها من الشروط التي تشترط في المفتي، وهذا وإن دلّ على شيء، فإنما يدل على عظم مكانته في هذا العلم.

ومن الفقهاء أيضـــا: **عبد القوي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي أبو محمد البجائي (توفي سنة 816هـ/1413م)** ينتمي إلى أسرة ابن القوي العلمية الشهيرة، وقد تميّز بمسار

[1]-الغبريني، المصدر السابق، ص ص200-201.

[2]- المصدر نفسه، 201.

[3]-المصدر نفسه، ص201.

معرفي متدرّج بدأه برحلة مبكرة إلى المشرق؛ حيث استقرّ في القاهرة وسكن الجامع الأزهر، فأخذ عن كبار علماء مصر واكتسب تكوينا رصينا في الفقه وأصوله والحديث واللغة، ثم واصل رحلته العلمية إلى الحجاز، فجاور بمكة أكثر من ثلاثين عاما، وأضحى من أبرز العلماء المجاورين في المسجد الحرام، مشاركا في التدريس ومنخرطا في منظومة الإفتاء المالكي، كما أخذ عن العالم موسى المراكشي؛ مما أكسبه امتدادا لمنهج المدرسة المغاربية في الحرمين، وقد أشار إليه تقيّ الدين الفاسي بأنّه والد أديب مكة والحجاز وشاعرهما، في دلالة على أثره في الحياة الأدبية في مكة، سواء من خلال بيئته العلمية أو من خلال إسهامه في تكوين ابنه الذي صار من أعلام الأدب الحجازي، وتبرز أهمية هذا العالم أيضا في دوره كحلقة وصل بين التقليد الفقهي المغربي والوسط العلمي في الحرمين، إذ أسهم في نقل مناهج الغرب الإسلامي إلى المشرق وترسيخ حضور المدرسة المالكية في مكة عبر التدريس والإفتاء، ممّا يجعل إسهاماته امتدادا لحركة علمية مغاربية مؤثّرة في مراكز العلم المشرقية[1].

ويدعم السّخاوي قول الفاسي بأنه جاور مدة زمنية تفوق 30 سنة وذلك بقوله:"... وتحول إلى مكة، فقطنها أزيد من ثلاثين سنة وأخذ بها عن موسى المراكشي وغيره، وسمع بها عن سعد الدين الإسفراييني والنشاوري[2]..."[3].

---

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص472- 473.

[2]- النشاوري عفيف الدين عبد الله بن محمد المكي ولد سنة 705هـ/1305م، من علماء مكة المكرمة الأفذاذ، قليل الاختلاط بالناس أخذ العلم عن علماء مكة المكرمة، توفي رحمه الله سنة 790هـ/1387م...ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص407.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 302.

كان فقيها متميزا بحيث أخذ عنه الكثير من الطلبة العلم في مكّة المكرّمة من بينهم: أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري المكّي المالكي (توفي سنة 833هـ/1429م)[1].

ما نخلص إليه من خلال المصادر التي ترجمت له أنه كان عالما متمكّنا في الفقه ومدرّسا فيه، والشاهد في ذلك تتلمذ طلبة العلم على يده والمدة الزمنية الكبيرة التي جاورها بمكة المكرمة.

كذلك وجدنا الفقيه **محمد بن موسى بن عائذ أبو عبد الله الغماري[2] المغربي الوانوغي المالكي (توفي سنة827هـ/1424م)** الذي كان قدومه مكّة المكرّمة سنة 780هـ/1379م أو قربها، تولّى بها منصب شيخ رباط الموفق أحد أشهر الأربطة التي كانت لها علاقة بالحجاج والوافدين من بلاد المغرب[3].

أمّا تقي الدين الفاسي يقول:" كان قدومه إلى مكة في سنة ثمانين وسبعمائة أو قربها، وله من العمر –إذ ذاك– أربع وعشرون سنة...هذا معنى ما بلغني عنه في تاريخ قدومه بمكة... وولي مشيخة رباط الموفق بمكة، والنظر في مصالحة سنين كثيرة ولم يكن يعارضه فيما يختاره في ذاك أحد من فضلة مكة... " تكشف شهادة تقي الدين الفاسي عن عالم بجائي شابّ دخل مكة في وقت مبكر، ليصبح بمرور السنوات واحدا من أعلامها؛ إذ جمع بين العلم الشرعي والتدريس والحضور المؤسسي من خلال تولّيه مشيخة رباط الموفق والإشراف على مصالحه زمنا طويلا دون أن يعارضه أحد من علماء مكة المعتبرين، مما يعكس علوّ منزلته وثقة الوسط العلمي به، وقد أسهم في نشر الفقه المالكي بالحجاز، وفي تكوين عدد

---

[1]– السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص 132.

[2]– الغماري: نسبة الى غمارة وهو حلف كبير من برابرة البرانس بالشمال المغربي، وهو من أشهر شعوب البربر وقبائلهم، يمت بصلة القربى إلى الأصل المصمودي...ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص281.

[3]– عبد الرحمان بالأعرج، المرجع السابق، ص186.

من الطلبة، فضــلا عن دوره في ترسـيخ الصــلات العلمية بين المغرب والمشـرق، مما يجعل سيرته نموذجا للعالم المغاربي الذي استطاع الاندماج بفاعلية في البيئة العلمية بالحرمين[1].

اتفق كل من السخاوي مع الفاسي في ترجمته على أنه كان كثير العبادات، متقيا، وبارعا في قضاء حوائج الناس وإصدار الفتاوى، وهو ما أهّله لتولي مهنة القضاء، وقد توفي بمكة المكرمة ودفن هناك وفق وصيته سنة 827هـ/1424م، مما يبرز استمرار ارتباطه بالحجاز حتى آخر أيام حياته، وإسهامه المستمر في الحياة العلمية والقضائية بالمدينة المقدسة[2].

تُظهر النصوص السابقة بوضوح أنّ عالمنا كان متقنا لعلم الفقه، وهو مايتجلّى من توليه منصب القضاء، إذ لايُمكن لأيّ عالم أن يشغل هذه الخطّة إلا إذا كان من كبار الفقهاء وذوي المكانة العلمية المرموقة في هذا المجال كما يثبت تمكّنه إتقانه إصدار الفتاوى، إذ كان بارعا فيها وراسخا في الأحكام، مما جمع في صفات أهل العلم والفقه وأهل القضاء، وقد سهّلت هذه الصفات عليه ممارسة القضاء في الحجاز، حيث أتيح له إصدار الأحكام على المتخاصمين بثقة ودقة، مما يعكس إسهاماته العلمية والعملية في مكة المكرمة وبذلك يكون قد ترك أثرا بارزا في الحياة الفقهية والقضائية بالمدينة المقدسة، مساهما في نشر الفقه المالكي وتعليم علوم الشريعة لطلاب الحجاز والمقيمين فيها.

فقيه آخر وجدت له مشاركات فقهية بمكّة المكرمة وهو: **عبد الله بن منصور الوجدي التلمساني (توفي سنة 855هـ/1451م)** يعود أصله إلى مدينة وجدة، إلا أنّه تلمساني الولادة

[1]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص ص375-376.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص55؛ تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص ص375-376.

والمنشأ، رحل إلى الحجاز؛ فأصبح من كبار علمائها الفضلاء، استوطن مكّة المكرّمة وأخذ عن علمائها آنذاك[1].

يذكره السخاوي في الضوء اللامع على أنه كان فقيه متمكّنا زاهدا في دنياه، كما وأنّه عمل سقّاء بالحرم الشّريف إلى أنْ توفي رحمه الله[2].

وبالحديث عن **عبد الله بن منصور الوجدي التلمساني**، يتضح لنا من خلال ماترجم له في المصادر التاريخية أنّه كان من العلماء الجادّين والمتمكّنين في علم الفقه، على الرغم من أنّ كتب التراجم لم تفصّل بشكل موسع في إنجازاته العلمية، إلا أنها تشير إليه على أنّه عالم ذو مكانة مرموقة بين فقهاء عصره، وهو مايعكس حرص المؤرّخين والكتّاب على إبراز جدّيته وعمق معرفته حتى وإن اقتصرت التفاصيل.

ويؤكّد السخاوي في الاقتباس السابق كذلك، مشيراً إلى أنّ ابن منصور كان عالما بارعا في مسائل الفقه، قادرا على إصدار الفتاوى وحلّ الخلافات بين الناس وفقا للأصول الشرعية، وهذا يعكس دوره الفعّال في الحجاز، حيث أسهم من خلال مجاورة العلماء وطلّاب العلم في نقل المعارف الشرعية، وتعليم الفقه المالكي، وتعزيز الثقافة العلمية في الحواضر المقدسة[3].

كما أنّ اهتمامه بالفقه لم يقتصر على الدراسة النظرية، بل امتدّ إلى التطبيق العملي من خلال القضاء أو الإرشاد في مسائل الدين للناس، مما يجعله أحد العلماء الذين ساهموا في نشر العلوم الشرعية وتوطيدها في الحجاز، ومن هذا المنظور، يُمكن عَدُّ إسهاماته العلمية

---

[1]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص71.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص71.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص71.

جزءا من الجهد الأكبر لعلماء المغرب الأوسط في إثراء الحركة العلمية في مكة المكرمة، ونقل التجربة العلمية والثقافية بين الحواضر الإسلامية[1].

و**محمد بن عبد الرحمان أبو القاسم القسنطيني (توفي سنة859هـ/1454م)** نشأ في مدينة قسنطينة، وأخذ العلم عن كبار علمائها حتى أصبح من أعلام الفقه المالكي، ثم ارتحل إلى المشرق، وكانت الحجاز أوّل محطّاته العلمية، إذ دخل مكة المكرمة وجاور بها مدة من الزمن سنة 830هـ/1427م، وهناك برزت إسهاماته العلمية بشكل واضح، وقد أتاح له مقامه في الحرم أن ينخرط في حلقات الدرس، فيُقرأ عليه الفقه ويُستفاد من براعته فيه، وهو ما أشار إليه السخاوي في الضوء اللامع عندما وصفه بقوله: "....كان بارعا في الفقه متقدما فيه..."وقد تجلّت إسهاماته العلمية في الحجاز من خلال مشاركته في التدريس، ونشره لفقه مالك بين طلاب العلم الوافدين والمجاورين، إضافة إلى تأثيره في تلاميذه، ومن أبرزهم: ابنه العالم المعروف أحمد بن محمد الشهير بالخلوف الذي حمل عن والده هذا الإرث العلمي ونشره بعده، وبذلك أسهم في ترسيخ الحضور المالكي في مكة خلال تلك الحقبة[2].

استمرّ في مجاورته بمكة المكرمة مدة تجاوزت العشر سنوات، قدّم خلالها إسهامات علمية واضحة في حلقات الحرم، قبل أن يتوجّه بعدها إلى القدس الشريف، حيث استقرّ إلى أن وافاه الأجل سنة 859هـ/1455م[3].

في حين أنّ **أحمد بن يحيى بن عيسى بن عياش العوكلي القسنطيني (توفي سنة 860هـ/1455م)** كان من علماء المغرب الأوسط المقيمين بالقرب من مكّة المكرمة الذين تميّزوا بالاجتهاد في الفقه وفضّلوا المجاورة الدائمة بالحرم، وقد تولّى مشيخة رباط الموفق،

---

[1]-عادل نويهض، المرجع السابق، ص71.

[2]– السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص120.

[3]– محمد قويسم، فقهاء مدينة قسنطية خلال العهد الحفصي (625هـ–981هـ/1227م–1573م)، ع7، مجلة المعارف للبحوث والدراسات الأكاديمية، الجزائر، ص160.

المعروف برباط المغاربة لكثرة نزلائه من طلبة وعلماء المغرب الإسلامي، وقد خصّص صاحبه القاضي الموفي علي بن عبد الوهاب الإسكندراني هذا الرباط للفقراء والمتعبّدين المجاورين بمكة القادمين من بلاد المغرب، ليكون لهم موطن للعلم والعبادة معا، مما عزّز دوره العلمي والاجتماعي في خدمة العلماء وطلبة العلم[1].

ويعدّ الشيخ أحمد بن يحيى القسنطيني عالما متميزا في الفقه المالكي ومن كبار رجال الصوفية من أهل قسنطينة، نشأ وترعرع بها، ثم انتقل بعدها إلى الحجاز واستقرّ بها، كتب عنه ابن حزم ووصفه السخاوي:"... كان ماهرا في آلات التجارة..."، فبالإضافة إلى تفقّهه وورعه وتصوّفه إلى أنّه كان تاجرا ماهرا، أدركته الوفاة سنة 860هـ/1455م[2].

والملاحظ من ترجمته أنّ انشغاله بالتجارة وتنقّلاته لم يكن عائقا أمام تحصيله للعلم ونشره، وهو ما يشهد عليه السخاوي حين أطلق عليه لقب "عالِم متميز"، وهنا نكتشف الدور الذي لعبه العامل الاقتصادي في رحلة علماء المغرب الأوسط نحو الحجاز، وتجدر الإشارة إلى أنّه استطاع كسب ثقة الحجازيين من خلالأنه تولّى مشيخة أحد أكبر الربط، وهو رباط الموفق، وهي مكانة علمية مرموقة لم يحظَ بها إلا قلة من العلماء، وقد مكّنته هذه المكانة من الإسهام بفعالية في نشر الفقه المالكي وتعليم الطلبة، واستقبال الوافدين من بلاد المغرب للاستفادة من علمه، بما يعكس تأثيره الكبير في المشهد العلمي بمكة والحجاز[3].

عبد الرّحمان بن محمد بن فاضل بن عبد الرّحمان زين الدين الجزائري (توفي سنة 881هـ/1476م) هو عالم من علماء المغرب الأوسط الذين أجادوا في الفقه يعرف بين

---

[1]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص246.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 243.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص243.

العلماء باسم ابن فضل، فاضل من فقهاء المالكية رحل إلى المشرق الإسلامي قاصد الحجاز وهناك استوطن مكّة المكرّمة وجاور الحرم المكّي[1].

يقول فيه السخاوي:"لازمني في المجاورة الثانية بها رواية[2]ودراية[3]، وكان خيّرا" وهنا يتضح لنا أنها لم تكن مجاورته الأولى وإنما معتادا على المجاورة بمكة المكرمة، وعلى الرغم من أنّه لم يترجم له كثيرا من أصحاب التراجم إلا أنّ ترجمة السخاوي قد اختصرت الحديث عنه؛ لأنّ اللقاء مع العالم عبد الرحمان كان شخصيا،[4]توفي ودفن بمكة المكرمة.

وختام هؤلاء الفقهاء المغاربة بمكّة المكرمة: **أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد السلام المعروف بالعلمي القسنطيني (توفي سنة 888هـ/1483م)** يُعدّ هذا العالم من كبار فقهاء المالكية وعلماء أصول الدين من أهل قسنطينة، بدأ دراسته في تونس، ثم انتقل إلى المشرق؛ حيث تلقى العلم في الأزهر الشريف بمصر، وأصبح لاحقا أستاذا في المنصورية،ما يعكس مكانته العلمية العالية وقدرته على التدريس وإشاعة المعارف،رحل لاحقا إلى مكة المكرمة، حيث أدّى مناسك الحج عام 875هـ/1471م، واستقر بها، مواصلا عطائه العلمي وقد روى فيها كتبا من أبرزها: **البخاري ومسلم، والشفا** في الحديث، كما أقرأ **شرح التحفة**، ما يعكس اهتمامه بالحديث الشريف وتعليم علومه للطلاب والمجتمع الحجازي، مؤكّدا دوره في نقل العلوم الشرعية من المغرب الأوسط والمشرق إلى الحجاز، والمساهمة في إثراء الحركة العلمية في

---

[1]- الزركلي، المصدر السابق ج3، ص331.

[2]-رواية: وهو العلم الذي يشتمل على ضبط الحديث، ونقله، وروايته، وتحرير ألفاظه، وهو العلم الذي أنتج لنا دواوين السنة، من الصحاح وسنن ومسانيد، ويعد الإمام مسلم أحد رجالاته...ينظر: الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت، شرف أصحاب الحديث، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة-مصر، 1966. ص59.

[3]-دراية: وهو العلم بقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن، والراوي والمروي، من حيث القبول والرد، وهو العلم الذي أنتج لنا شرائط صحة الخبر وأقسامه وأصناف المرويات وأحكامها، وطبقات الرواة ودرجاتهم...ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص59.

[4]- السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 143

الحواضر المقدسة[1]، كما كتب على مؤلفات فقهية بارزة من بينها "**المدوّنة**" و"**المختصر**"و"**الرسالة**" في الفقه المالكي، مايعكس عمق اطلاعه وإتقانه لهذا العلم، وكان مداوما على **الإقراء**، فانتفع به عدد كبير من الفقهاء والطلاب في مكة، ليس في الفقه المالكي وأصوله فحسب، بل في علوم شرعية متنوعة، مما يعكس إسهاماته الفعّالة في نشر المعرفة وتعليم الفقه وتطوير الحركة العلمية في الحجاز[2].

يذكره صاحب كتاب شجرة النور الزكية بأنه الفقيه الإمام العلامة المتفنن في الكثير من الفنون، وبأنه حج واستوطن مكة وبها كتب كتابه"على المختصر والرسالة والبخاري"[3].

أمّا السخاوي فيقول: إنّه نزيل القاهرة ثم مكة، يُعرَف بالعلمي نسبة إلى العلم وذلك بحسب تصريحه شخصيا للسخاوي، حج سنة 875هـ، ودرس الفقه وأصول العربية وبه انتفع الفضلاء بمكة المكرمة، وبها سمع عن أبي الفتح المراغي وبعض مشيخته الذين أجازهم النجم بن فهد، ويعدّ من العلماء المغاربة القلة الذين تولوا التدريس بمدرسة المنصورية[4].

ب- علمُ الحديثِ:

الحديث في **اللغة**، هو الجديد من الأشياء، والحديث هو الخبر الذي يأتي على القليل والكثير وهو شاذ على غير القياس[5]، وقوله عز وجل: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾[6].

---

[1]- التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000، ج2، ص275-276.

[2]- التنبكتي، المصدر نفسه، ج2، ص636.

[3]- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص50.

[4]- السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 253.

[5]- محمد عجاج، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2006، ص19.

[6]- سورة الكهف، الآية 06.

أمّا الحديث في **الاصطلاح**، هو ما أضيف إلى النبيّ(ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة[1].

وهي الحلقات التي تُدَرّسُ فيها سنّة النبي (ﷺ)، ورواية أحاديثه، وقد اعتنى علماء المغرب الأوسط بهذا الجانب وكانوا شغوفين للاستزادة والتعمّق فيه أكثر، فكانت رحلاتهم إلى الحجاز لهذا الغرض النبيل، ألا وهو الحصول على هذا العلم النبيل من موطن النبيّ(ﷺ)، وكانت مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة آنذاك وجهة للعلماء للنّهل من هذا العلم والارتواء منه ثم روايته من منبعه الأصلي الصافي، فأسّسوا بدورهم حلقات لتدريسه مما جلب إليهم الكثير من الطلبة والمهتمين بهذا العلم، وسنورد فيما يلي أبرز المحدّثين المجاورين من المغرب الأوسط بمكة المكرمة:

أوّل محدّث هو **أبو القاسم عبد الرّحمان بن عبد الله بن خالد الوهراني المعروف بابن الخراز (توفي سنة 411هـ/1020م)** أقام في مجاورته بمكة المكرمة مدة 20 سنة، تلقّى خلالها العلم عن عدد كبير من علماء المشرق، شمل ذلك مصر والحجاز والعراق، مما مكّنه من الاطلاع على تنوّع الروايات والعلوم الشرعية، وقد روى عنه علماء بارزون مثل: ابن حزم وابن عبد البر، مايدلّ على مكانته العلمية وثراء معارفه في الحديث الشريف، وإسهامه الفعّال في نقل علوم المحدّثين إلى الحجاز ونشرها بين طلبة العلم هناك[2].

يُفهم من ترجمة ابن عميرة لابن الخراز في بغية الملتمس أنّه يمثّل نموذجاً متميزاً داخل البيئة العلمية للمغرب الأوسط. فكونه من كبار المحدّثين يعكس رسوخ قدمه في علوم الرواية واتصاله المباشر بمصادر الحديث في زمن مبكر، كما أنّ اختياره المجاورة خارج بلده يدلّ على اتساع أفقه العلمي ورغبته في تحصيل المعرفة من مراكزها الأصلية، بخلاف كثير

[1]– محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مركز الهدى للدراسة، الكويت،1984، ص19.

[2]– الضبي أحمد بن عميرة، المصدر السابق، ص319.

من علماء عصـــره الذين اقتصـــرت رحلاتهم على المجال المحلي، ويكشـــف هذا عن وجود تفاوت في أنماط التكوين العلمي بين العلماء، حيث شكّلت الرحلة الواسـعة عنصـرا فارقا في بناء سـلطة العالم وتميّزه، وتبرز شـخصـية ابن الخراز –من خلال هذا المسـار– مثالا للعالم الذي تجاوز حدود القطر وأسهم في نقل المعرفة وربط الوسط المغاربي بالمشرق[1].

في حين أنّ العالم **أبو عبد الله محمد بن مختار الزواوي (توفي سنة 660هـ/ 1262م)** لم تُذكر شخصيته في كتب التراجم إلا عند الفاسي الذي أشار إليه على أنّه أحد علماء المغرب الذين أسهموا في المجاورة ببيت الله الحرام، فقد جاور في البداية لمدة سنتين ثم عاد إلى بلده، ثم عاد مجدداً إلى مكة المكرمة، حيث تلقّى علوم الحديث وجلس للتدريس، ما أكسبه مكانة علمية مرموقة بين العلماء وطلّاب العلم، وكان معروفا بشدة حفظه وإتقانه للعلم، فكان من المتمكّنين الذين أجادوا وقدّموا الإفادة للطلبة والزوار، وقد توفي بمكة المكرمة ودفن فيها، رحمهالله[2].

أمّا العالم **أبو محمد عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن موســـى بن ســـليمان (توفي ســـنة 661هـ/1263م)**، فيعدّ شـــخصـــية علمية بارزة جمعت بين الحديث والفقه والخطابة والقضـــاء، وهي وظائف تدل على رســوخ مكانته العلمية والاجتماعية، وانتقاله من مرسـية إلى بجاية ثم نسـبته إليها يعكسـان اندماجه الكامل في محيطها العلمي واعتراف أهلها بفضـــله، كما أنّ تولّيه صـــلاة الفريضـــة في الجامع الأعظم يُعدّ مؤشـــرا قويا على الثقة التي حظي بها، إذ لا يُســند هذا المنصــب إلا لمن اســتوفى شــروط العلم والورع، ويؤكّد وصــفه بالعدل والمحدّث الثقة مكانته ضــمن ســلســلة الضــبط والرواية، ما يجعله من الأعمدة التي ساهمت في ترسيخ الحياة الحديثية في بجاية خلال القرن السابع الهجري، وتمثّل سيرته مثالا

[1]–المصدر نفسه، ص319.

[2]– تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص352–353.

لعلماء الهجرة الذين نقلوا المعرفة وأسهموا في ازدهار الحواضر المغاربية علميا وروحيا[1]، كما ويذكر بأنه كانت له أيضا براعة في الأدب[2].

لقي مجموعة من العلماء الذين أخذ عنهم العلم منهم: أبو عمر بن عات وأبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أغلب الخولاني المعروف بالزروالي وأبو محمد بن عيسى بن أصبغ وأبو عبد الله بن مرج الكحل، وأبو الربيع بن سليمان وغيرهم، قدم إلى إفريقية بعد 640هـ/1242م، يذكر أنه استأذن بعدها للخروج إلى الحجّ، فأذن لهفي حج سنة 656هـ/1258م، جاور بمكّة المكرّمة ثلاث سنوات، ثم عاد إلى بلده، حيث توفي هناك سنة 661هـ/1263م[3].

محمد بن مرزوق بن أحمد الخطيب (توفي سنة 781هـ/1379م)هو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني الشّهير بابن الخطيب، من بيت علم وعلماء ودين وولاية كجدّه وعمّه وأبيه وأبنائه أحمد ومحمد من روّاة الحديث، كان قد رحل إلى الحجاز مع أبيه أحمد لأداء فريضة الحجّ، ولمّا قضى مناسكه من الحجّ، تفرّغ إلى طلب العلم عن شيوخ الحرمين الشّريفين، طاف بعدّة حواضر علمية منها: مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة[4]، تتلمذ على يدي شيوخها؛ فتزوّد بخبراتهم العلمية والعملية وحتى الرّوحية وأفرد لهم كتاب خاصّا أسماه "**عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز**" وقد كان هذا المعجم مصدرا للعلماء والمؤرّخين الذين عنوا بالحركة العلمية

[1]- الثقاة: الثقة في اللغة، المؤتمن والضعيف ضد القوي، أمّا اصطلاحا: الثقة هو العدل والضبط، ينظر: محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ط11، مكتبة المعارف، الرياض-السعودية، 2010، ص284.

[2]- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص437.

[3]- الغبريني، عنوان الدراية، ص ص 322-324.

[4]- المقري، نفح الطيب، ج7، ص338.

ورجالاتها وكان هذا هو مراد والده من هذه الرحلة؛ حيث كان يقول:" أنّ أبي هاجر من أقصى بلاد المغرب لطلب العلم وهو المنفق عليّ ولا أريد انتقاص أجره عند الله"[1].

ارتحل إلى الحجاز وتولّى الخطابة بعدّة مساجد بها، وله بها عدّة مؤلّفات منها: "**شرح الشفاء للقاضي عياض**" و"**إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب**"، وكتاب "**الإمامة**"، و"**شرح صحيح البخاري**" و"**شرح البردة**" أمّا كتاب "**المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**" فقد ألّفه في المغرب[2] وقد ظلّ ابن مرزوق بعد عودته إلى بلده معنيا بالحياة العلمية بالحرم النبويّ؛ فنجده أنّه كان يثري حياة المجاورين وأصحاب البلاد[3].

أيضاً **محمد بن مسعود بن صالح الزواوي (توفي سنة 1454/859م)**،فقد قدّم إسهامات علميّة بارزة في البيئة الحجازية خلال القرن التاسع الهجري، إذ تلقّى تعليمه في مكة المكرمة على نخبة من العلماء، فسمع صحيح البخاري عن ابن صديق، ونهل من الشريف عبد الرحمن الفاسي وأبي الطيب السحلولي ومحمد بن عبد الله البهنسي، مما أكسبه تأسيسا راسخا في علم الحديث وعلومه، وقد نال من شيوخه إجازات حديثية معتبرة أسهمت في ترسيخ مكانته ضمن حملة السند، ثم تفرّغ للتدريس في مكة بعد استيفاء أدواته العلمية، فكان لجلوسه للتعليم أثر واضح في نشر المعرفة الحديثية والشرعية، وفي إعداد طبقة من طلاب العلم الذين أسهموا بدورهم في استمرار الحركة العلمية في الحجاز، وبذلك يُعد الزواوي أحد أعلام تداول المعرفة الحديثية في القرن التاسع الهجري، ومن الشخصيات التي شاركت في حفظ التراث العلمي وتطويره داخل البيئة العلمية المكية[4].

---

[1]- عبد الرّحمان جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965، ج2، ص131.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص106.

[3]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص477.

[4]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص179؛ مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين (6هـ-9هـ/م12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، الأمل لطباعة والنشر، تيزي وزو-الجزائر، 2011، ص489.

كانت له مكانة علمية واجتماعية جدّ مرموقة رشّحته لتولّي وظيفة جمع أموال الزكاة من طرف والي مكّة المكرّمة، فكان من المساهمين في الحياة الفكرية والتربوية والعمل الخيري، أجاز العديد من العلماء من بينهم السخاوي، يذكره هذا الأخير وهو أحد طلبته بأنه كان من كبار المحدثين، وأنّه قد سمع عن مجموعة من العلماء بمكة المكرمة من أمثال: الشريف عبد الرَّحْمَن الفاسي وأبي الطّيب السحلولي ومحمد بن عبد الله البهنسي الشفا، وكان قد أجاز له الْعِرَاقِيّ والهيثمي والمراغي وَعَائِشَة ابنة بن عبد الهادِي توفي سنة 1454/859م[1].

العالم خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى محمد أبو الخير الصنهاجي الجزائري (توفي سنة826هـ/1423م) أسهم أبو الخير الصنهاجي في تنشيط الحركة الحديثية في كلٍّ من المغرب الأوسط والحجاز من خلال رحلته العلمية الواسعة التي ابتدأت في المغرب الأوسط وتونس ومصر، حيث تلقّى العلوم على شيوخها وأسّس معارفه الأولى في الحديث وعلومه، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وانقطع فيها نحو عشرين سنة، فكان لهذا المقام الطويل أثر بارز في تعميق خبرته الحديثية، إذ أخذ عن كبار العلماء مثل: ابن صديق والزين المراغي والشريف عبد الرحمن الفاسي، الأمر الذي مكّنه من الاندماج في الأسانيد الحجازية وإثرائها، وبعد تمكّنه العلمي، انتقل إلى المدينة المنوّرة مجاورا المسجد النبوي، فاستمر في الأخذ عن علمائها والمشاركة في نشر المعرفة الحديثية بين طلاب العلم، مما جعله حلقة مهمة في تداول الحديث بين المغرب والحجاز، وقد اختُتمت مسيرته العلمية في المدينة؛ حيث توفي ودُفن في البقيع، تاركا أثرا ملحوظا في ربط المراكز العلمية المغاربية بالحجازية وتعزيز التبادل المعرفي بينهما[2].

[1]- السخاوي، الضوء اللامع، ج 10، ص50.

[2]- ابن خلدون يحيى، بغية الرواد، ج1، ص105.

يقول فيهابن حجر:"... اشتغل بالعلم وقرأ الحديث، لقيته بمكّة قديما وسمعت عنه..." له كتاب أسماه "**تذكرة الإعداد لهول يوم المعاد**" و**مخطوط في الأذكار والدعوات**[1]، الذي قال فيه السخاوي:"... وهو كتاب جليل حسن كثير الفوائد.." وله كتاب أخر بعنوان:"**مختصر التذكرة**"الذي لخّص فيه بعض موضوعات كتابه الأكبر، كان قد كتبهم بمكة المكرمة؛مما يدل على مساهمته في تنمية الحركة الحديثية والتأليف الوعظي في القرن التاسع الهجري بالحجاز، إذ شهد له الحافظ ابن حجر بالاشتغال بالعلم وقراءة الحديث، وذكر أنه لقيه في مكة قديما وسمع منه، وهو ما يعكس مكانته بين أهل الرواية في الحجاز"**و**مما يدل على عنايته بالتقريب والتسهيل لطلاب العلم، وتكشف هذه المؤلفات وما حظيت به من ثناء عن دوره في تعزيز حضور الأدب الوعظي والحديثي داخل المدرسة المغاربية والحجازية على السواء[2].

أحمد بن عبد القوي بن محمد شهاب الدين البجائي (توفي سنة 861هـ/1457م)

محدّث من علماء المغرب الأوسط الذين ولدوا بمكّة المكرّمة، بها نشأ وتعلم، وبها حدّث وناب في حسبتها عن أبي البقاء بن الضياء، هو –أيضا– من علماء المغرب الأوسط الذين لقيهم السخاوي في رحلته وترجم له في كتابه الضوء اللامع، توفي بمكة المكرمة[3].

نجد –أيضاً–التنبكتي قد ترجم له وقال: إنّه قد أخذ العلم من علماء مكة من بينهم: والده والزين عبد الرحمن الفاسي والعالم البساطي، ويذكر –أيضا– بأنه أصبح من كبار المفتيين بمكة المكرمة، وهذا إن دل على شيء يدل على حنكته وإجادته للفقه والحديث[4].

ويعدّ أحمد بن عبد القوي من أعلام المغرب الأوسط الذين أجاز لهم في الحجاز، وهي الترجمة التي ذكرها ابن فهد في كتابيه: معجم الشيوخ والدر الكمين وأنّه سمع بمكة عن البرهان

---

[1]– ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص102.

[2]– السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص205.

[3]– السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص352.

[4]– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص529.

بن صديق وأبي بكر بن الحسين المراغي **الصحيحين وصحيح ابن حيان ومسند أبي داوود** وأجيز له من طرف بالإضافة إلى عائشة بنت محمد بن الهادي وزين الدين العراقي وآخرون[1].

محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي المكنى أبا الفضل (توفي سنة 865هـ/1460م) ولد في مدينة بجاية سنة 820هـ/1417م وقيل 822هـ/1419م بالضبط بمدينة مشدالة التابعة إلى قبائل زواوة، نشأ وترعرع في أسرة علمية عرفت بدراسة الحديث، فوالده هو العالم المتصوّف الزّاهد أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (توفي سنة 866هـ/1459م) صاحب تكملة "**حاشية المدونة للوانوغي**" حجّ سنة (849هـ/1445م) دخل مصر وجلس بها مدّة زمنية كبيرة، وبها أخذ العلم عن علماء القاهرة، توجّه بعدها إلى مكّة المكرّمة وبها جاور[2].

كما تكلّم عنه السخاوي أيضا ووصفه بقوله:"... الشيخ الإمام علّامة خلاصة الزمان والعلماء..."[3]وهنا نشير إلى أنّ العالم السخاوي كان أحد طلبة أبي الفضل،شكّلت إقامة محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي بالحجاز محطة بارزة في مسيرته العلمية ضمن رحلته المشرقية، فقد أسهم أثناء مجاورته بمكة المكرمة في الحياة العلمية بالحرم، ولا سيما في مجالَيْ الحديث والفقه المالكي، مستفيدا من تكوينه المغاربي وما حصّله من علماء مصر، ويُرجَّح أنه شارك في حلقات الدرس والمذاكرة العلمية، وأسهم في تداول المرويات ونقل المعارف الفقهية، مثّل وجوده امتدادا للحضور العلمي المغاربي بالحرمين، وتندرج إسهاماته في إطار التفاعل العلمي بين المشرق والمغرب في القرن التاسع الهجري.

يقول فيه القلصادي بأنه قد التقى به بمصر وهنا يصف هذا اللقاء: "وقع اجتماعنا في مصر بصاحبنا الفقيه الإمام الفذ في وقته ذي العلوم الفائقة والمعاني الرائقة، أبي الفضل

---

[1]_ ابن فهد، معجم الشيوخ، ص62؛ ابن فهد، الدر الكمين، ج1، ص166-167.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص215.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص ص 180-186.

المشدالي لم أر مثله في تحصيل العلوم وتحقيقها، أخذ في كل علم بأوفر نصيب وضارب فيه بسهم مصيب، وتذكرنا أزمانًا مضت لنا بتلمسان، فيا لها من ليال وأيام مع سادات أعلامَ!"[1].

ج- علمُ القراءاتِ:

يعرّف علم القراءاتبأنّه علم يبحث في أداء كلام الله تعالى من ناحية ضبط الاختلافات المتواترة، صونا لكلام الله من التحريف والتغيير له صلة بعلم اللغة العربية[2].

قال بعض العلماء: إنّ علم القراءات هو علم يُعنَى بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف[3].

موضوع هذا العلم هو كلمات القرآن من حيث أحوال النّطق بها وكيفية أدائها، واستمداده يكون من النقول الصّحيحة المتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله(ﷺ)[4].

تعكس المصادر التاريخية الجهود الكبيرة لمقرئي المغرب الأوسط ببلاد الحجاز ومن العلماء الذين برزوا في ميدان القراءات نجد منهم:

جعفر عبد الرّحمان بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السّلمي الصقلي، بجائي المولد(توفي سنة 644هـ/1246م)أسهم إسهاما بارزا في الحركة العلمية بالحجاز خلال مجاورته بمكة المكرمة، حيث تولّى التدريس بمدرسة المنصورية، إحدى المدارس الشافعية المعروفة، وكان من أشهر مدرّسيها، وقد اضطلع بدور مهم في تعليم القراءات والحديث، وأخذ عنه عدد من العلماء وطلبة العلم، من أبرزهم: الحافظ شرف الدين الدمياطي، مما يدلّ

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص127.

[2]- محمد الهويمل، المرجع السابق، ص62.

[3]- محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، مقدمات في علم القراءات، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص47.

[4]- عبد الفتاح قاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ط1، مكتبة انس بن مالك، مكة المكرمة-السعودية، 2002، ص05.

على مكانته العلمية واتساع أثره، كما شكّل نشاطه التدريسي والتحديثي بالحجاز حلقة وصل بين المدرسة القرآنية بالمغرب الأوسط والوسط العلمي المكي، وأسهم في إثراء البيئة العلمية بالحرم المكي وتعزيز التبادل العلمي بين أقاليم العالم الإسلامي[1].

كما اقترنت مكانته العلمية بسلوك تعبّدي لافت، إذ يذكر التجيبي أنه كان إذا مضى جزء من الليل صعد إلى سطح المدرسة المُطلّة على الحرم المكي، فيتلو كتاب الله بصوت جهوري حسن، يسمعه الصوفية والعلماء المجاورون بالحرم، وهو ما يعكس تلازم العلم والعمل في شخصيته، ويبرز أثره الروحي والعلمي في الآن ذاته داخل المجتمع العلمي المكي[2].

أبو الحسن علي بن فرغوس التلمساني (عاش بين القرنين السابع والثامن هجريين/13-14م) يُعدّ من مقرئي المغرب الأوسط الذين آثروا الرحلة العلمية إلى المشرق طلبا للعلم واتصالا بمراكزه الكبرى، فقد جاب عددا من الحواضر العلمية، فزار مصر والعراق واليمن والحجاز، واحتكّ بمختلف تياراتها العلمية والقرائية، مما أسهم في توسيع أفقه العلمي وتعميق تجربته المعرفية، وقد دخل مكة المكرمة حاجّا، فاختار المجاورة بها، ونزل رباط الخوري، وهو الرباط المخصّص للمجاورين المغاربة بمكة المكرمة، ويذكر ابن بطوطة أنه كان أحد المعلّمين فيه، ويعكس ذلك اندماجه في الوسط العلمي المكي، ومشاركته الفاعلة في تعليم القرآن ونقل الخبرة القرائية المغربية إلى الحجاز، بما أسهم في تعزيز التفاعل العلمي بين المغرب الأوسط والحرمين الشريفين[3].

---

[1]- الفاسي، العقد الثمين، ج 03، ص04.

[2]- التجيبي قاسم بن يوسف، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975، ص459.

[3]- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج1، ص 167.

ويذكر ابن مرزوق أنّ رباط الخوري كان يتغيّر اسمه تبعا للمشرف عليه أو أشهر من سكنه من العلماء، مما يعكس طبيعته المؤسسية المرنة داخل الفضاء العلمي المكي،فقد عُرف هذا الرباط كذلك برباط بن فرغوس، نسبة إلى أبي الحسن علي بن فرغوس، وذلك لكثرة إقامته فيه مدة تقارب ثلاثين سنة، هي كامل مدة مجاورته بمكة المكرمة، ويدلّ هذا الامتداد الزمني على رسوخ مكانته داخل مجتمع المجاورين المغاربة، وعلى الدور العلمي والتعليمي الذي اضطلع به داخل الرباط، كما يكشف عن أهمية الأربطة في احتضان العلماء الوافدين، وتحويلها إلى مراكز للتعليم والتفاعل العلمي في الحرم المكي[1].

أمّا العالم **يحيى الزواوي**، فقد شكّلت مجاورته بمكة المكرمة محطة بارزة في مسيرته العلمية، إذ انقطع بها للتدريس ونشر علم القراءات، وقد تولّى إقراء الناس الروايات بعد برهان المسروري، مما يدلّ على الثقة العلمية التي حظي بها، وعلى مكانته بين علماء القراءات في الحرم المكي، وأسهم نشاطه التعليمي في استمرار تقاليد الإقراء وضبط الروايات القرآنية بين طلاب العلم والمجاورين، كما كان يُعدّ من القرّاء الصالحين الذين وفدوا إلى الحجاز، فجمع بين الصلاح والعلم، وأسهم في إثراء البيئة العلمية بالحرم المكي[2]، كان من القرّاء الصالحين الذين وفدوا وجاوروا بالحجاز[3].

أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري (توفي سنة 843هـ/1439 م) واحد من كبار علماء وهران في القرن التاسع الهجري، وقد أسهم مساره العلمي القائم على كثرة الترحال في تشكيل شخصيّته العلمية وإبراز إسهاماته المعرفية، فقد بدأ رحلته العلمية بالانتقال إلى مدينة بجاية، حيث أخذ عن أعلامها، وفي مقدّمتهم عبد الرحمن الوغليسي وأحمد بن إدريس البجائي، فنهل من علوم الفقه وأصوله، وتشرّب المنهج العلمي الذي اشتهرت به هذه

[1]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص221.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج6، ص200.

[3]- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، ج5، ص 291.

الحاضرة العلمية، ثم واصل رحلته إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى، حيث لقي العالم القباب وأخذ عنه، وهو ما أتاح له الاحتكاك بالمدرسة العلمية الفاسية المعروفة بعمقها في العلوم الشرعية والعقلية، ولم يقتصر نشاطه العلمي على الأخذ والتلقي، بل بلغ مرحلة التصدر والتعليم حين انتقل إلى مصر، إذ تصدّر للقراءة والإقراء في الأزهر الشريف، وهو منصب لا يُمنح إلا لأهل الرسوخ العلمي والكفاءة، مما يدل على ما بلغه من مكانة علمية مرموقة في علوم القرآن والفقه[1].

وتُوّجت رحلته العلمية بسفره إلى الحجاز، حيث جاور بمكة المكرّمة مدة عشر سنوات، وهي مدة طويلة مكّنته من التعمّق في البحث والتدريس ومن توطيد علاقاته العلمية بعلماء الحرم المكي وطلابه، وخلال هذه المجاورة، أقام برباط الفتح الذي عُرف لاحقا باسمه رباط الشيخ الهواري، وتولّى الإشراف عليه، فجعله مركزا علميا للإقامة والتعليم والتوجيه، الأمر الذي يعكس دوره المؤسسي في خدمة العلم وطلابه[2].

أمّا صاحب الدر الحجال في أسماء الرجال، فيقول بأنه كان مقرئاً وفقيهاً ومتصوفاً وأنه كان يُقصد للتبرّك به[3].

كما تشير المصادر إلى أنّ له عدّة مؤلفات تعكس تنوّع اهتماماته العلمية، من أبرزها: كتاب"**تبصيرة السائل**"وكتاب "**التبيان والتسهيل**"، إضافة إلى ثلاث منظومات في التصوّف، وهو ما يدل على عنايته بالتأليف في مجالات الوعظ والإرشاد، وتيسير العلم، والجمع بين

---

[1]-ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص221.

[2]- المصدر نفسه، ص221.

[3]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص 89.

المعرفة الشرعية والتربية الروحية في مكة المكرمة[1]، رجع إلى بلاده واستقر بوهران توفي – رحمه الله– في سنة 843هـ/1439م[2].

د– علمُ التفسيرِ:

التفسير **لغةً** يأتي من الفسر أيْ: الإنابة أو الكشف، أمّا **اصطلاحًا**، فهو علم يفهم به القرآن الكريم وتفسير معانيه، واستخراج أحكامه ومعانيه[3]، وهو أوّل العلوم وأهمّها في فهم كتاب الله عزّ وجلّ، كما يعرف بأنّه علم يعرف به سبب نزول الآيات وشؤونها حتّى من ناحية ترتيبها مكيّة ومدنيّة، ومتشابهها أو مختلفها، وناسخها ومنسوخها، وعامها وخاصها[4].

ولأهميّة هذا العلم وعلوّ شأنه عند علماء المغرب الأوسط نجدهم أيضا برزوا فيه، ومن العلماء الذين توصّلت إليهم نجد:

إبراهيم بن محمد بن الرّحمان بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي المعروف بالمصعصع (توفي سنة 882هـ/1477) من أعلام الفقه المالكي في القرن التاسع الهجري، وقد أسهم إسهاما ملحوظا في الحياة العلمية من خلال تدريسه وتأليفه، فهو زواوي الأصل، بجائي النشأة، إذ وُلد ونشأ بمدينة بجاية التي كانت آنذاك مركزا علميا بارزا، فتكوّن بها تكوينه العلمي الأول، واشتهر بسعة اطّلاعه في التفسير، ولا سيما استحضاره لنُقُول ابن عطية، مما يدل على رسوخ قَدَمِه في هذا الفن ثم انتقل إلى الحجاز، فأقام بالمدينة المنوّرة مدة حضر خلالها دروس البرهاني بالحرم النبوي، وهو ما أسهم في تعميق معارفه وتوسيع أفقه

[1]– عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية والحرب العالمية الأولى "دراسة تحليلية وإحصائية"، ط1، دار الجليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة–الجزائر، 2005، ص349.

[2]– عادل نويهض، المرجع السابق، ص337.

[3]– عتر نورالدين، علوم القرآن الكريم، ط1، مطبعة الصباح، دمشق– سوريا،1993، ص72.

[4]– محمد معبد، نفحات من علوم القران، ط2، دار السلام، القاهرة –مصر،2005، ص122.

العلمي، قبل أن ينتقل إلى مكة المكرمة سنة 869هـ/1464م، حيث جاور بها إلى أن وافته المنية سنة 882هـ/1477م[1].

هـ- التصوّفُ:

نشأ علم التصوف في كنف العلوم الدينية، يعرّفه ابن خلدون بأنّه العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزّهد فيها،كان التصوّف موجودا في مكّة المكرّمة وانتشر أكثر على عهديْ الدولتين الأيوبية ثمّ المملوكية، وهو ظاهرة دينية بدأت عند الأوائل بالإعراض عن الدنيا والإقبال على العبادة، ثمّ تطوّر إلى طريقة لها متتبّعوها ومُرِيدوها[2]، وتهدف في الأساس إلى تهذيب النّفس للوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة[3]، ومنأشهرأقطابالصوفية الذين خاضوا تجربة المجاورةبالحرم المكّي وكان لهم التأثير الكبير، نذكر:

يحيى بن محمد التُجيبي التلمساني (توفي سنة 662هـ/1264م)من علماء المغرب الأوسط الذين كان لهم حضور علمي بارز في القرن السابع الهجري؛ إذ وُلد بمدينة تلمسان ونشأ بها، وتلقى علومه الأولى في بيئة علمية نشطة أسهمت في تكوينه المعرفي، ثم رحل إلى الحجاز، فجاور مكة المكرمة، وأخذ العلم عن عدد من كبار علمائها، من أمثال: أبي أحمد بن معط المرسي، وأبي الحجاج الثغري، وابن الفرس، وهو ما أتاح له الاحتكاك بمناهج علمية متعددة وأسهم في تعميق ملكته الفقهية والأصولية، وقد انعكست هذه الرحلة العلمية في إسهاماته التأليفية والتدريسية؛ إذ وصفه الصفدي بأنه "كان فاضلا صالحا ورعا بارعا في العلوم"، وصنّف

---

[1]- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص93.

[2]-المُريد: مصطلح يطلقه الصوفية على الشخص التابع للشيخ وكانوا يقولون فيه أنّ المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسله، لا كلام ولا حركة ولا يدخل ولا يخرج، ولا يشتغل بعلم ولا بقران إلا بإذنه ...ينظر: ابن القيم، المصدر السابق، ج11، ص03

[3]- القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998، ص312.

كتابا نفيسا في شرح كتاب الخلاف في عدة مجلدات، أبان فيه عن تمكّنه من مسائل الخلاف الفقهي ودقة نظره في تحرير الأقوال وترجيحها، وإلى جانب التأليف، مارس التدريس والإفتاء، مما يدل على مكانته العلمية واعتماد الناس عليه في بيان الأحكام، ويبرز دوره في نقل المعرفة الفقهية وتطويرها بين المشرق والمغرب[1]"

ويظهر من تتبّع سيرته العلمية أنه يُعدّ من العلماء الذين أولوا عناية كبيرة للعلوم الدينية، ذلك أنّ الاشتغال بهذا الحقل المعرفي لا يتأتّى إلا لعالمٍ متضلّع في علوم الشريعة، يمتلك ثقافة واسعة ووعيا عميقا بمقاصد الدين وأحكامه، وقد أسهم هذا التكوين العلمي الرصين في توجيه اهتمامه نحو الزهد في متاع الدنيا، والتعلّق بقيم الآخرة، والاعتصام بمبادئ الدين وأصوله، بما يعكس تصورا معرفيا وأخلاقيا يرى في العلم الشرعي سبيلا إلى تهذيب النفس وتحقيق السعادة الحقيقية القائمة على الاستقامة والالتزام.

عثمان بن يوسف بن محمد بن علي الصنهاجي (توفي سنة863هـ/1458م)هو عالم من أهل الجزائر المالكيين جمع في علمه بين العلم والدين والصلاح، لقي بمكّة المكرّمة مجموعة من العلماء وأخذ عنهم، استقرّ بعد ذلك برباط الموفق، ودرّس به إلى أن توفي، وكان عثمان بن يوسف يتردّد أثناء مجاورته إلى المدينة المنورة، الأمر الذي جعل اعتقاد النّاس به يتزايد[2].

ماتجدر الإشارة إليه كملاحظة حول العالم عثمان بن يوسف، أنّه كان من المتصوفين القلائل الذين جاوروا بمكة المكرمة، وهو الأمر الواضح والجلي من عدد المتصوفة المجاورين، وأنّه من العلماء أيضا الذين نالوا شرف التدريس والتدارس لطلبة الحجاز وغيرها من الأقطار.

---

[1]– الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: احمد الارنأووط وتزكي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، 2000، ج6، ص 167.

[2]– السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص169.

هذه كانت نماذج من متصوّفة المغرب الأوسط وزهّاده الذين أثروا بمنهجهم أثناء مجاورتهم لمكّة المكرّمة، ننتقل الآن إلى فئة المجاورين من علماء آخرون برزوا في علوم أخرى.

2- إسهاماتُهُم في العلومِ العقليةِ:

يقول ابن خلدون:"...وأمّا العلوم العقلية التي هي طبيعة الإنسان من حيث أنّه ذو فكر، فهي غير مختصّة بملّة بل يوجد النظر فيها لأهل الملل وكلهم يستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة..."[1]، وهي مشتملة على أربعة علوم (المنطق، والطبيعيات، والإلهيات، والمقادير) إلاّ أنّ عدد العلماء المجاورين من المغرب الأوسط المتخصّصين فيها كان قليلا جدا، غير أنّنا لا نجزم بعدم وجود المغاربة الذين خاضوا أو اجتهدوا في مجال العقليات، والشّاهد على ذلك أنّنا وجدنا من أثبتوا حضورهم في ذلك الاختصاص رغم عددهم القليل،والعلم الوحيد الذي برع فيه علماء المغرب الأوسط المجاورين بمكّة المكرّمة هو علم الحساب والمنطق:

أ- الحسابُ والمنطقُ:

يعرّف علم الحساب بأنّه علم حسبان الأعداد بالضم والتفريق...[2]، بينما يعرف علم المنطق على أنّه ميزان العلوم يُعرَف من خلاله الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للأشياء وتقديم الحجج القابلة للتصديق[3]، وعلى الرّغم من أهميّة هاذين العلمين إلاّ أنّ عدد العلماء الذين انصبّ اهتمامهم عليهما قليل جدّا ولا أكاد أحصي سوى عالمين وهما العالم:

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 248.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص 78.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص71.

أول العلماء، نجد **عبد الوهاب بن عبد القادر البجائي (توفي بعد 680هـ/1281م)** من فقهاء المالكية بمدينة بجاية، رحل إلى المشـــرق حجّ وجاور بيت الله الحرام مرّتين وأخذ العلم من علماء وقته، تولّى القضـاء بعد عودته بالعديد من المناطق ببلاد المغرب الإسـلامي مثل: توزر وقفصة وغيرهما، أسهمت رحلاته إلى المشرق، ولا سيما **حجّه ومجاورته بيت الله الحرام مرتين**، في توســيع آفاقه العلمية واتصـــاله بكبار علماء عصـــره، وهو ما مكّنه من التعمّق في الفقه المالكي والاطلاع على مناهج الاستدلال والتعليم السائدة في المراكز العلمية الكبربوهذا الاحتكاك العلمي أكسـبه رسـوخا في العلم وأهّله ليكون من **الفقهاء المعتمدين في بلاده**، وعند عودته إلى المغرب الإســلامي، تجلّت إســهاماته العلمية عمليا من خلال **تولّيه القضاء في مدن متعددة مثل: توزر وقفصة**، حيث لم يكن القضـاء مجرد وظيفة إدارية، بل مجالا لتطبيق الفقه المالكي ونشره وترسيخ أصوله بين الناس، ومن خلال أحكامه واجتهاداته، أسهم في **تكييف الفقه مع واقع المجتمع المغاربي** ومعالجة النوازل والقضـايا المستجدة، كما أنّ مكانته العلمية والقضـائية جعلته مرجعا في **الفتوى والتعليم**، فكان حلقة وصـل بين التراث الفقهي المالكي في الحجاز ونظيره في المغرب الاوسط، مما ساعد على **تعزيز وحدة المذهب وتطويره** في القرن السابع الهجري، وبهذا يتضح أنّ إسهاماته العلمية لم تقتصر على التأليف، بل تجســدت أســاســا في **نشــر العلم، وتكوين الفقهاء، وتطبيق الفقه المالكي في الواقع القضائي والاجتماعي**[1].

يقول في حقّه الغبريني:"...كان له معرفة بالحكمة وبراعة في علم المنطق، خصوصا على طريقة المتأخرين، ولم يكن في وقته أعلم منه بكشف الأسرار الذي وضعه الخونجي في علم المنطق، وهو أعلم به من واضعه..."[2].

[1]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج2، ص276.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص233.

أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الله بن عبد الرّحمان شهاب القسنطيني (توفي سنة878هـ/1474) الذي أقرأ بمكّة المكرّمة العربية والحساب والمنطق وأخذ عنه أهلها والقادمين إليها، رحل إلى المدينة المنوّرة وتفرّغ بها إلى مهنة تدريس العلوم نفسها،[1]وقد وصف من طرف السخاوي بأنه إمام علم الحساب والمنطق لقي من الكثير من الشيوخ وسمع منهم بالقاهرة ومكة المكرمة منهم ابن حجر العسقلان، ثم زار المشرق عدة مرات آخرها سنة 864هـ/1460م وهو في طريقه إلى الحج واستقر بمكة، ثم استوطن المدينة المنورة إلى أن توفي[2].

قال السخاوي: "...لقيته بمكة ثم بالقاهرة واغتبط بها والتمس مني إسماعه القول البديع فما وافقته، فقرأه أو غالبه عند أحد طلبته النور الفاكهاني بعد أن استجازني هو به، وسمع مني بعض الدروس الحديثية وسمعت أنا كثيرا من فوائده ونظمه "**رسالة**"في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم و"ديوان شعر"و"أجوبة على أسئلة وردت من صنعاء[3]".

ما يجدر التنويه إليه كاستنتاج أنّ علماء المغرب الأوسط المجاورين في الحجاز خلال مدة الدراسة لم يُولُوا أيّ أهمية للعلوم العقلية، الأمر الذي نتج عنه شحّ علمي إذا ما قارنّاه بالإنتاج العلمي في العلوم النقلية؛ حيث كانوا قد صبّوا كل اهتمامهم ومجهودهم عليها الأمر الذي انجرّتعنه الإنجازات السّابقة في الفقه والحديث والقراءات والتفسير وغيرها بدل العلوم الأخرى–العقلية–.

---

[1]– السخاوي، الضوء اللامع، ج2 ، ص252.

[2]– المصدر نفسه، ج2، ص 253.

[3]– السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص244.

ب- في الأدبِ وعلومِهِ:

حظيت اللّغة العربية والعلوم التي تندرج ضمنها باهتمام علماء المغرب الأوسط، وهذا الاهتمام يعود إلى أنّ اللّغة العربية هي لغة القرآن وعلومه، وأنّها لغة تنشئة هؤلاء العلماء من صغرهم ووسيلة كلامهم والتعبير عن أفكارهم وتعاملاتهم، وهنا كانت اللّغة العربية قد اكتملت معالمها في الحجاز، وبذلك نجدهم قد شرحوا وعلّقوا أو أكملوا وأبدعوا عن سابقيهم وتركوا مصنفات ذاع صيتها أينما حلّوا وارتحلوا.

ومن منطلق أنّ اللّغة العربية هي أساس الأدب العربي عبر الأزمنة الغابرة، فقد أولاها الأدباء اهتماما كبيرا، فهذا العلم يبحث في مدلولات المفردات ومعانيها، وكيفية استخدام هذه المفردات ومدلولاتها لتوضع في مكانها الصّحيح، والهدف من ذلك هو الاحتراز من الخطأ في فهم المعاني الوصفية والوقوف على ما يُفهَم من كلام العرب [1].

ليس غريبا أن يهتم علماءالمغرب الأوسط باللّغة العربية، فنجد منهم من أجاد وأفاد ومنهم من دوّن وسجّل وألّف، ونجد مصنّفاته في طيّات الكتب ورفوف المكتبات ومدرجاتها، وأهم من أنتج في هذا العلم خلال الفترة المدروسة نجد:

معمر بن يحيى بن عبد القوي البجائي المكي (توفي سنة 895هـ/1490م) وهو أحد علماء الفقه والعربية بمكّة، كان بارعا في الأدب والإنشاء والنثر وله في العربية "**شرح على قطر الندى لابن هشام**" وكان قد قرضه منها السخاوي[2]، كما ساهم **ابن مرزوق الحفيد (842هـ/1439م)** أيضاً في إثراء علم اللّغة بشرح واحدة من أهم قصائد **أبي محمد عبد الله**

[1]- صديق بن حسن القنوجي،َ أبجد العلوم الوشي المرموق في بيان أحوال العلوم، دار الَكتب العلمية، دمشق-سوريا، 2007، ج1، ص257.َ

[2]- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د.ت.ن)،ص 339-340.

بن يحيى بن علي بن زكرياء الشقراطيسي(ت 466هـ/1073م) في مدح النبيّ(صلى الله عليه وسلم)، وفي سيرة الصحابة الكرام بعنوان"**المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية**"، حسب ما أورده التنبكتي[1] و"**الغاية القرطاسية في شرح الشقراطيسية**" حسب ما جاء به المقري[2]، وكان الشقراطيسيقد اشتهر بقصيدته الشهيرة في مدح النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وعرفت بلا**مية الشقراطيسي**المكوّنة من مائة وثلاثين بيتا، نقف عند عدد من الأبيات الشّعرية التي استهلّ بها قصيدته:

هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَّا أَحْمَدَ السُّبُلِ ****الحَمْدُ اللهِ مَنَّا بَاعِث الرُسلِ

خَيْرِ الْبَرِّيةِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ **** وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعَلِ

تَوْرَاةُ مُوسَى أَتَتْ عَنْهُ فَصدّقهَا **** إِنْجيلُ عِيسَى بَحَقّ غَيْرِ مُفْتَعِلِ[3].

كما ظهر كذلك في الشّعر **محمد بن عمر بن علي الجزائري (توفي بعد 816هـ/ 1360م)** وقد مدح الناصر محمد قلاوونبمكة لمّا حج، قائلا فيه:

بَلْدُ رَمْلَةُ مَاْ أَتَمُ سَنَاْكَاَ **** قَدْ فَضّل الله الْعَظِيْمُ نَدَاْكَاَ

قالت عائشة الصدوقة عندنا ****فعدت لطيبة أن ترى مداكا[4]

وفي الهجاء كان قد أجاد وأبدع العالم **محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي المكّي المالكي(851هـ/1448م)** الذي كتب شعرا كثيرا في الهجاء وقد نقل عنه النّاس ذلك وجمعه النّجم ابن فهد في مجلد ومن شعره:

---

[1]–أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 506

[2]– المقري، المصدر السابق، ج 6، ص 429.

[3]– الشقراطيسيأبي محمد عبد الله أبي زكرياءلبتوزي، القصيدة الشقراطيسية في مدح خير البرية، دار الإمام ابن عرفة، (د.ت.ن)، ص03.

[4]– ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ص 109–110.

وَمِنْ عَجَب أَنْ اَلْشُمُوْس طَوَلع***أَنْ اَلليَاْلي فَوَقهن شُعُور

سَلبنَ اَلْنُّهَىْ منّي وَلَمْ نَدْرِ أَنَنا***سُبلنا وَلَمْ تَتَحسس لذلك شُعُور[1].

كما يُعدّ **أحمد الحميري القسنطيني (ت 878هـ/1474م)** من العلماء الذين أسهموا إسهاما بارزا في إثراء الحياة العلمية بالحرمين الشريفين، المكي والمدني فقد تكررت مجاورته بهما، ولا سيما بعد سنة 840هـ/1436م، حيث جاور بالمدينة المنورة عدة مرات، ثم استقر بها وأقام إقامة طويلة، وخلال إقامته تلك، تلقّى عددا كبيرا من الأسئلة الواردة إليه من صنعاء، فقام بالإجابة عنها وجمعها في مصنَّف سمّاه "**ردّ المغالطات الصنعانية**"كما نظم قصيدة أثناء مجاورته بالحرم النبوي الشريف، استهلّها بقوله:

يَاَ أعظمُ الْخَلق عِنْد اللهِ منزلَةٌ *** وَمنْ عليه السنا في سَائِر الْكُتُبِ

وكان **أحمد الحميري القسنطيني** شديد العناية بطلب العلم، مواظبا على دراسة علوم الأوائل، جامعا بين التحصيل والتدريس، ومستفيدا من أجواء المدينة المنورة العلمية وما حوته من مجالس العلماء والوافدين إليها من مختلف الأقطار، وقد آثر الإقامة بها إقامة دائمة، فانقطع للعلم والعبادة، واستمر على ذلك حتى توفي في شهر شوال سنة 878هـ/1473م ودُفن في مقبرة البقيع إلى جوار ثلة من العلماء والصالحين، فكانت خاتمته في رحاب المدينة النبوية التي أفاد منها وأفاد أهلها وزائريها[2].

من خلال ما تعرّضنا له من إسهامات علماء بلاد المغرب الأوسط المجاورين بمكّة المكرّمة، ظهر عدد منهم وكانت لهم مشاركة علمية في عدّة علوم، والرّسم البياني المرفق، يوضّح لنا ذلك.

---

[1]– السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 149.

[2]– السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص56.

ج- علمُ التاريخِ والسيّرِ:

التاريخ في اللّغة مشتق من التأريخ، وهو الإعلام بالوقت وقد يدلّ تاريخ الشيء على غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ويلحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع، وهو فنّ يبحث عن وقائع الزّمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان[1].

والتاريخ في الاصطلاح هو وعاء الخبرة البشرية، أو هو العلم الخاص بالجهود البشريّة في الماضي وتستهدف منها جهود المستقبل، وقال ابن خلدون في مقدمته:"... إنّالتاريخ في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيه الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا قصّها الاحتفال..."[2].

استطاعت مكّة المكرّمة أن تضّم إليها طبقة من المؤّرخين من المغرب الأوسط، صنعوا مجد وتاريخ الحجاز، واستطاعوا أن يسهموا في التأريخ لمكّة وآثارها ومعالمها من جهة، ومن جهة ثانية مساهمتهم في تدريس طلبة العلم لمؤلّفات مرتبطة بجانب التاريخ والسيّر، فعّدوا بذلك من مؤّرخي مكّة والحجاز وأّوّل هؤلاء المؤّرخين، نجد:

العالم المؤرخ **محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي قطب الدين أبو الخير(توفي سنة 852هـ/1448م)** تشير المرويات التاريخية إلى أنّه كان يكْثر من مطالعة التَّارِيخ وصار يحفظ منه كثيرا خاصّة تاريخ الحجاز وَمَا يتَعَلَّق بعربها ومحالها، وتميّز أيضا فِي الْأَنْسَاب الجَاهِلِيَّة[3]،وكان قد تميّز عن مؤرّخيْ عصره بامتلاكه لقدرة الحفظ في التاريخ وهذا ما كان قد ذكره السّخاوي أنّ ذلك الذكاء كان واحدا من الأمور التي جعلت أبي الخير محمد بن عبد

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص 03.

[2]- المصدر نفسه، ص04.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج 08، ص 71- 73.

القوي يكون عونا للتقي بن قاضي شهبة في تدوين تاريخ الحجاز بعد المؤرّخ تقي الدين الفاسي[1].

والشيء الذي يدلّ على تمكّنه من علم التاريخ أنّه كان قد استعان به القاضي ابن شهبة في الحجّ سنة 837هـ/1433م[2]، فأراه كل مكان في مكّة المكرّمة، وكلّ من وقف به، وكلّ ما قيل عنه، وما به من المقابر المعروفة وحتّى غير المعروفة، وكلّ هذا وهو غير حاضر في حجّ تلك السّنة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على إحاطته بميدان التاريخ[3].

ونلاحظ من خلال ترجمته أنّ المؤرخين قد اتفقوا على أنّه من العلماء القلة الذين تخصصوا في التاريخ والأنساب واستقروا بمكة المكرمة.

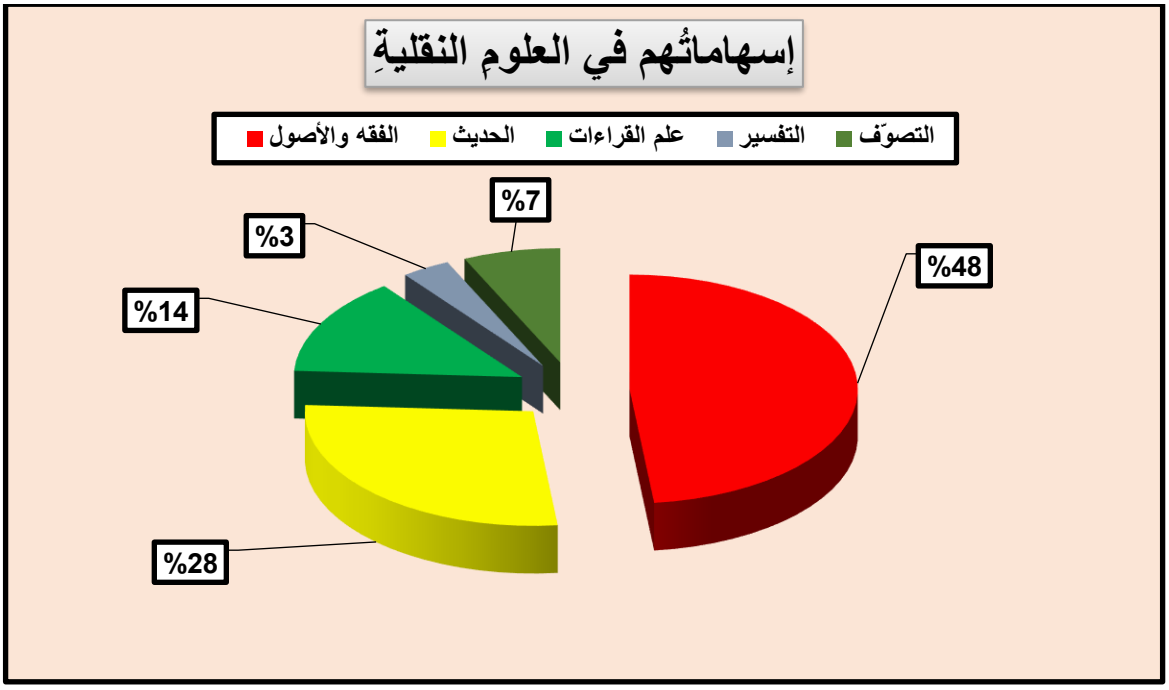

[1]- السخاوي، المصدر نفسه، ج08،ص71.

[2]- المقريزي تقي الدين احمد بن علي، الخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، مصر،2014، ج3، ص393.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع ،ج08،ص73 .

التعليقُ: يوضّح لنا هذا الرّسم البياني الممثّل مدى إسهامات علماء المغرب الأوسط في العلوم النقلية، وهذا ما تبيّنه بشكل جليٍّ النسب المئوية وهي على النّحو التالي:

اللّونُ الأحمرُ: يمثّل علم الفقه وأصوله بنسبة 48%، وبذلك يكون هو العلم الذي تفوق به العلماء المجاورين من المغرب الأوسط ببلاد الحجاز، وتأتي هاته النسبة كإثبات لاجتهاداتهم وتفوقهم ورغبتهم في التفقّه في أمور دينهم، وهو الأمر الذي نجده واضحا وجليا من خلال المؤلفات والإجازات العلمية وعدد الطلبة الذين سمعوا عنهم.

اللّونُ الأصفرُ: يمثّل هذا اللون علم الحديث بنسبة 28%، وهي نسبة جيدة تضعه في المرتبة الثانية بعد الفقه من حيث عدد العلماء المترجم لهم ويظهر ذلك جليا في اهتمامهم بهذا العلم وتأسيسهم لحلقات العلم وتدريسهم الحديث واهتمام طلبة العلم بأخذ العلم عنهم.

اللّونُ الأخضرُ: نسبة 14%، كانت لعلم القراءات على الرغم من أنّ النسبة قليلة نوعا ما مقارنة بالأصناف الأخرى من العلوم النقلية إلا أنّ العلماء الذين ذكروا وارتبط اسمهم بهذا العلم قدّموا إنجازات تخلّد أسمائهم من أمثال: العالم المقرئ جعفر عبد الرّحمان بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السّلمي الصقلي، بجائي المولد (توفي سنة 644هـ/1246م) الذي تولّى تدريس الإقراء بأهم مدرسة بمكة المكرمة وهي مدرسة المنصورية.

أمّا اللّونُ البنيُّ واللّونُ الأزرقُ: فيمثّلان علميْ التصوف والتفسير بنسبة إجمالية بينهم 10%، وذلك لقلّة العلماء المساهمين فيهم ببلاد الحجاز، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت إنجازاتهم بارزة في علوم أخرى أكثر: كالفقه والحديث.

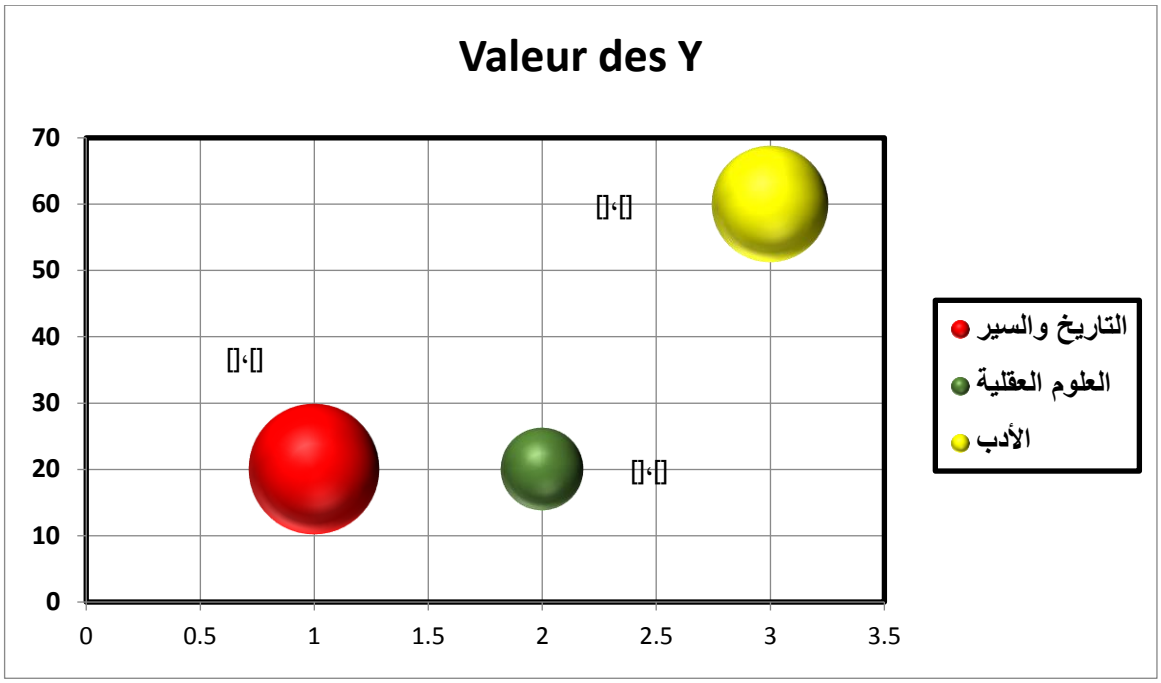

التعليقُ: يمثّل لنا هذا الرّسم البياني نسب مشاركة علماء المغرب الأوسط في العلوم الأخرى، وذلك باختلاف نسب المشاركة، ويمكن توضيحها على النّحو التالي:

اللّونُ الأحمرُ: يمثّل مشاركتهم في التاريخ والسير، بنسبة 20% وهي مشاركة لا بأس بها في هذا النوع من العلوم تحديدا، حيث نجد أنّه كانت هناك مشاركة واحدة للعالم **محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي قطب الدين أبو الخير (توفي سنة 852هـ/1448م)**، ولكن على الرغم من ذلك، فقد كانت مشاركة قيمة، خاصة وأنّ إسهامات العالم فيها كانت واضحة سيّما وأنّه ينتسب إلى عائلة ابن القوي الشهيرة.

اللّونُ البنيُّ: يمثّل مشاركتهم في العلوم العقلية، بنسبة 20%وهي نسبة قليلة جدا مقارنة بالعلوم العقلية، وهو الأمر الذي يجعلنا نخلص إلىأنّ العلماء بالإجماع لم يولواأيّ أهمية للعلوم العقلية، وهو الأمر الذينتج عنه شح علمي، فلم نكد نحصي في كتب التراجم من أسماء المجاورين إلا اسمين اثنين وهما: العالم **عبد الوهاب بن عبد القادر البجائي وأحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الله بن عبد الرحمان شهاب القسنطيني.**

اللّونُ الأصفرُ: يمثّل مشاركتهم في الأدب بنسبة 60%، وهي مشاركة لا بأس بها مقارنة بالتاريخ والسير والعلوم العقلية، فنجد العلماء تمكّنوا من إجادة هذا العلم تدريسا وتأليفا شعرا ونثرا وهو الشيء الجلي في ترجمتهم وعند مجاورتهم، فمنهم من تغنّى ببلاد الحجاز- مكة المكرمةوالمدينة المنورة- فكتب أشعارامازلت تردد لغاية يومنا هذا، مثل: شعر **محمد بن عمر بن علي الجزائري (توفي بعد 816هـ/1360م)**، وعليه نخلص إلى أنّ علماء المغرب الأوسط تعددت إسهاماتهم والأدب واحد من هذه العلوم.

المبحثُ الثانِي: إسهاماتُ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ في العلومِ النقليةِ والعقليةِ بالمدينةِ المنورةِ.

1-إسهاماتُهم في العلومِ النقليةِ:

ظهر بالمدينة المنوّرة -أيضاً- مجموعة من علماء المغرب الأوسط الذين فضّلوا المجاورة بها، وكانوا قد توزّعوا على مختلف أصناف العلوم النقلية الذين أجادوا وأفادوا وقدّموا زخما علميا ومعرفيا أبهر عقول كلّ من حضرهم، حتّى أنّ هناك من أصبح مثالا يضرب به في تخصّصه، وعليه سأتبع النّسق نفسه في توزيع العلماء على حسب اتجاهات كلّ عالم من هؤلاء العلماء.

أ- الفقهُ وأصولُه:

ازدانت المدينة المنوّرة بمجموعة من الفقهاء المغاربة خلال مدّة الدراسة الذين استطاعوا أن ينقلوا السّند العالي في الفقه، وقد توصّلنا إلى مجموعة لا بأس بها من علماء المغرب الأوسط مع تسجيل ملاحظة ازدواجية المجاورة لبعض العلماء بين مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة ومن هؤلاء العلماء، نجد:

محمد بن موسى بن عائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوغي المالكي(توفي سنة 827هـ/1424م) يُعدّ من أعلام المغرب الأوسط الذين تجلّت في سيرتهم ظاهرة **ازدواج المجاورة**، إذ جمع بين المجاورة بمكة المكرمة والإقامة العلمية بالمدينة المنورة، مما كان له أثر بالغ في تكوينه العلمي وترسيخ مكانته الفقهية، فقد جاور بمكة المكرمة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة طلبا للعلم، حيث نزل بها وأخذ عن العالم الجليل في عصره **عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي**، وقد تميّز الغماري بأسلوبه العلمي القائم على **كثرة السؤال مع الهدوء والتثبت**، وهو منهج يعكس عمق الفهم وحرصه على التحقيق والتدقيق في مسائل الفقه المالكي[1].

وبفضل تمكّنه في الفقه، عُرف بين معاصريه بـ**العلم والعارفية**، حتى أصبح **مرجعاً للقضاة** في اختياراته الفقهية، إذ كانوا يثقون بعلمه ورجاحة رأيه، فلا يعارضونه فيما يختاره من أحكام. ويبرز ذلك مدى تأثيره العلمي العملي، حيث تجاوز دوره حدود التلقي والتعليم إلى **توجيه العمل القضائي** في البيئة الحجازية[2].

وتؤكّد سيرة أبي عبد الله الغماري أنّ علماء المغرب الأوسط لم يكونوا مجرد طلاب علم بالحجاز، بل **شركاء فاعلين في إنتاج المعرفة الفقهية وتوجيهها**، وأسهموا في إثراء الحياة العلمية بمكة والمدينة، حتى وفاته رحمه الله سنة 827هـ/1424م، بعد مسيرة علمية اتسمت بالرسوخ والتأثير[3].

أجازه العديد من العلماء منهم عبد القادر بن أبي القاسم محمد المالكي، حيث نجده قد حضر عليه دروسا وحضر عنه دروسا كثيرة قراءة وسماعا، وهو الأمر الذي أُذِنَ له من خلاله

---

[1]–السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص88.

[2]– الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص375.

[3]– السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص55.

بتدريس جميع كتب المالكية، وهو الأمر ذاته الذي اتفق عليه كلّ من شمس الدين السخاوي وتقي الدين الفاسي[1].

أحمد الحميري القسنطيني (توفي سنة 878هـ/1474م) هو أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الرّحمان بن يعلى بن مدافع بن خطاب بن علي الشهاب الحميري القسنطيني المغربي المالكي نزيل الحرمين ومجاور بالمدينة المنورة يُعرَف بابن يونس، ولد سنة 813هـ/1410م بمدينة قسنطينة بالمغرب الوسط وبها نشأ، حفظ القرآن الكريم وتفقّه فيه على يدي علماء أجلاّء منهم: أبو القاسم البرزلي وابن غلام الله القسنطيني وقاسم بن عبد الله الهربزي[2].

كان عالماً متفنّناً في بعض العلوم العقلية منها: الطب وبه نفع وانتفع، ارتحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ سنة 837هـ/ 1433م، فأخذ العلم بها عن العالم الباسطي ما قد يفيده في العلوم العقلية، وعن الشيخ عبد السّلام القدسي الفقه[3].

إبراهيم بن محمد بن عبد الرّحمان بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي (توفي سنة 882هـ/1477م) أسهم في الحركة العلمية بالحجاز، ولا سيما بالمدينة المنورة، من خلال توظيف الحديث النبوي توظيفا منهجيا في تدريس الفقه المالكي والإفتاء به، فمع كونه لم يُعرف بمصنَّفات حديثية مستقلة، فإنّ حضوره العلمي بالحرم المدني، مثَّل نموذجاً للفقيه المالكي الذي يجعل السنة النبوية أصلا للاستدلال والتقعيد الفقهي، وهو ما انسجم مع طبيعة البيئة العلمية المكية في القرن التاسع الهجري التي كانت ملتقى للروايات والأسانيد من المشرق والمغرب، وقد مكَّنته أصوله المغاربية وإقامته بالحجاز من الإسهام في نقل الرواية

[1]_ السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص88؛ الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص375.

[2]– محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 259.

[3]– السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص261.

الحديثية والتقاليد الفقهية المالكية بين العالمين، إضافة إلى دوره التعليمي في تكوين طلبة العلم وربطهم بالحديث سندا وفهما، مما جعله جزءا فاعلا في ترسيخ الحضور المالكي الحديثي في الحجاز خلال تلك المرحلة[1].

تلقّى إبراهيم بن محمد الصدقاوي الزواوي المالكي تكوينه العلمي على عدد من شيوخ عصره، من أبرزهم: **محمد بن أبي القاسم المشدالي**، إلى جانب غيره من أهل العلم، وقد تميّز بسعة الاطلاع، حيث كان يستحضر أقوال **ابن عطية الأندلسي** ويوظفها في فهم النص القرآني واستنباط دلالاته، كما حضر مجالس **البرهاني بن ظهيرة** بمكة المكرمة، وانتفع بدروسه في العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى **المدينة المنورة**، حيث أقام بها مدة، واشتغل بتدريس **الفقه المالكي**، ولازم العبادة والاعتكاف، إلى أن وافته المنية بها سنة **882هـ**[2].

محمد بن أحمد بن مسعود الجزائري (توفي سنة 891هـ/1486م) شكّل الحديث النبوي عنصرًا محوريًا في التكوين العلمي له وانعكس ذلك بوضوح على إسهاماته العلمية في الحجاز، ولا سيما بالمدينة المنورة، فبحكم تكوينه الفقهي والأصولي، وتعليمه المبكر بالمغرب ثم بالأندلس، كان يتعامل مع الحديث بوصفه أصلًا من أصول الاستدلال الشرعي، لا سيما في مباحث الأصول والترجيح الفقهي، وقد أسهمت إقامته بالمدينة المنورة في تعميق صلته بالسنة النبوية، نظرًا لمكانتها كمركز علمي حديثي، فاستكمل بها تحصيله العلمي، واشتغل بالفقه مقرونًا بالنصوص الحديثية، مما أتاح له الجمع بين المنهج الأصولي والتحقيق الحديثي، وبذلك أسهم في تعزيز حضور المدرسة المغاربية الفقهية الأصولية في الحجاز، من خلال

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ص351.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص149.

توظيف الحديث في التعليم والاستنباط، والمشاركة في الحركة العلمية القائمة على الجمع بين الرواية والدراية في البيئة العلمية المدنية خلال القرن التاسع الهجري[1].

كما لقي محمد بن أحمد بن مسعود الجزائري الحافظ شمس الدين السخاوي الذي أثنى عليه بقوله:"...وهو إنسان فاضل، مشارك، راغب في المباحث والتحصيل"، وهي شهادة تعكس مكانته العلمية واتساع مشاركته في العلوم الشرعية، ولا سيما ما يتصل بالحديث وطرائق البحث فيه، ويُفهم من هذا اللقاء أنّ الجزائري كان منخرطًا في الأوساط الحديثية بالحجاز، متفاعلًا مع كبار المحدّثين في عصره، الأمر الذي أسهم في ترسيخ حضوره العلمي في المدينة المنورة، وتعزيز منهجه القائم على الجمع بين التكوين الفقهي والأصولي من جهة، والاعتناء بالحديث ومباحثه من جهة أخرى، في سياق الحركة العلمية الحجازية خلال القرن التاسع الهجري[2]".

ب- علمُ الحديثِ:

كان المسجد النبوي وجهة لامعة لتدريس وتدارس علم الحديث، خاصة وأنّ المدينة المنوّرة كانت قد حازت على رجالات في علم الحديث من علماء المغرب الأوسط من المتمكنيّن، ومن أبرز هؤلاء نجد:

المحدّث محمد بن مرزوق بن احمد الخطيب (توفي سنة 781هـ/1379م)[3].

ومن المحدّثين بالمدينة **محمد بن محمد بن ميمون أبو عبد الله الجزائري المعروف بابن الفخار (توفي سنة 801هـ/1399م)** هو محمد بن محمد بن ميمون أبو عبد الله

[1]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص111.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص216.

[3]-تجدون ترجمته مفصّلة في المبحث الخاص بعلماء المغرب الأوسط المجاورين بمكة المكرمة في الجزء الخاص بعلماء الحديث ص124.

الأندلسي الجزائري المغربي المالكي ويُعرَف بابن الفخّار لكونها حرفة جده، قصد بلاد الحجاز للحج فأقام بالقاهرة أشهرا ثم بالمدينة النبوية[1].

كذلك تَرجمهُ الفاسي بقوله:"...أنّ له مشاركات فِي الْفُنُون فِي الْفِقْه وَكَانَ ابْن عَرَفَة يعظمه وَذكرت لَهُ كرامات وأظن أَنِّي اجْتمعت وبه أول السنة رحمه الله وإيانا..."[2].

إضافة إلى ما جاء في سيرته، فقد ذكره السخاوي في كتابه ضوء اللامع: "...توجّه للحجاز وسكن المدينة المنورة خمسة أعوام يؤدّب فيها الأبناء"[3]، ويكمل الفاسي ترجمته بقوله: "...كان من العلماء العاملين الأخيار..."[4].

من علماء المغرب الأوسط المحدّثين الذين جاوروا بالمدينة المنوّرة **أيضا نجد العالم قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى الهلالي القسنطيني (توفي سنة849هـ/1454م)** يُعدّ من علماء المغرب الأوسط المحدّثين الذين جاوروا بالمدينة المنوّرة وأسهموا في حركتها العلمية، وُلد بمدينة قسنطينة، وبها نشأ وتلقى علومه الأولى، فقرأ القرآن الكريم برواية نافع، وأخذ الفقه عن عدد من علمائها، من أبرزهم:عبد الرحمن الباز، ومحمد الزلدوي قاضي قسنطينة، ومحمد بن مرزوق،ثم ارتحل إلى تونس في إطار رحلته العلمية، فأخذ عن جماعة من علمائها، منهم: عيسى الغبريني البرزلي والعبدوسي، وبعد ذلك جاور بالمدينة المنورة، فبرز فيها بوصفه عالمًا بالحديث، وقد ذكره الحافظ شمس الدين السخاوي، فقال: "وقدم علينا حاجًّا سنة 849هـ، فلقيته بالميدان في جماعة، وأجاز لنا، وممّن أخذ عنه أحمد بن يونس،

---

[1]- السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص23.

[2]- الفاسي، العقد الثمين، ج6، ص23.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص26.

[4]- الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص326.

وهي شهادة تدل على مكانته الحديثية، ودوره في الإجازة ونقل الرواية، وإسهامه في وصل الأسانيد المغاربية بالبيئة العلمية المدنية في القرن التاسع الهجري"[1].

ج- التفسيرُ وعلومُه:

كان للعلماء كذلك من بلاد المغرب الأوسط دورٌ في هذه العلوم، وهذا ما سنحاول ترجمته من خلال علمائها الذين استطعنا رصدهم في مضانّ المصادر التي تعرّضت للبعض منهم.

- **علمُ التفسيرِ:** وفي هذا الميدان، لم أتوصّل إلى أسماء علماءٍ من المغرب الأوسط اشتهروا بعلم التفسير بالمدينة المنورة بخلاف **إبراهيم بن محمد بن عبد الرّحمان بن يحيى بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي (توفي سنة 882هـ/1477م)**[2].

- **علمُ القراءاتِ:** لم تنلْ المدينة المنوّرة نصيبها من القرّاء من المجاورين من المغرب الأوسط بالقدر الذي كانت قد نالتها مكّة المكرّمة، حيث فاق عدد المجاورين بها أربعة علماء ولا أعلم حقيقة السّبب أين؟ ولكن باعتقادي الشّخصي أنّ السّبب الوحيد يكمن في تفضيل العلماء المجاورة بمكّة المكرّمة، وإن كان هذا لا يمنع بقاءهم في المدينة المنوّرة إلا أنني توصلت إلى عالِم واحد وهو:

أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي يُعدّ من كبار علماء المغرب الأوسط في علوم القرآن وعلوم القراءات، تلقّى تعليمه الأول على يد عدد من العلماء البارزين، من أبرزهم: **أبو الحسن بن سليمان القرطبي**، و**أبو مروان الشريشي**، و**أبو جعفر بن الزبير**، فتمكّن على يديهم من ضبط التلاوة وأصول التجويد، وبعد ذلك ارتحل طلبًا للعلم بين حلقات

---

[1]- السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص326.

[2]- أشرنا إلى خوضه في ميدان التفسير في المبحث السّابق في العنصر المتعلّق إسهامات علماء المغرب الأوسط المجاورين في علم التفسير بمكّة المكرّمة، ينظر: الصفحة 130 للمزيد من التوضيح.

المغرب، ثم انطلق إلى الحجاز، حيث جاور في **المدينة المنورة ومكة المكرمة**، هناك شارك في حلقات التعليم القرائي والعلمي، ناقلًا معارفه المغربية إلى البيئة العلمية الحجازية. اشتهر بدقته في القراءة وحرصه على **الإسناد المتصل**، فصار محل تقدير ومرجعية لدى طلبة العلم، كما دمج بين القراءة والفقه والحديث، معززًا بذلك حضور المدرسة المغربية في الحجاز، ويُعد مثالًا واضحًا على العلماء الذين ربطوا بين المغرب والمشرق في الحركة العلمية خلال القرن التاسع الهجري[1].

كما ورد في كتاب العقد الثمين أنّ العالم أحمد بن محمد علي الزواوي، قدم الحجاز وسمع عن مشيختها من أبرزهم: الشيخة أم الحسن بنت الحرازي وجمال الدين الأميوطي[2]، توفي غريقا بأسطول أبي الحسن المريني ومن معه من أعلام المغرب بعد سنة 750هـ/1349م.

د- التصوّفُ:

لم تحظَ المدينة المنورة في هذا الميدان بالعدد الكبير من الزّهاد والمتصوّفة من أهل المغرب الأوسط، إذا ما قورنت بمكّة المكرّمة، حيث لم أعثر إلاّ على شخصية واحدة حسب ما رصدناه في مضان المصادر وتمثّلت في الزّاهد العابد **الفقيه أبو عصيدة أحمد بن أحمد البجائي (ت 865هـ/1460م)** يُعدّ من علماء المغرب الأوسط الزاهدين العابدين في القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي)، عاش بين المغرب الاوسط وتونس خلال العهد الحفصي، متصفًا بالتقوى والزهد، ولم يُعرف له ولد أو أسرة، مظهرًا إخلاصه في العبادة والانقطاع عن ملذات الدنيا، ارتحل إلى الحجاز وزار المدينة المنورة مرتين قبل أن يستقر فيها، فاختار مجاورة الحرم النبوي الشريف، باحثًا عن الحماية الروحية والأمن العلمي وسط بيئة صعبة، متجنبًا عثرات الزمان وعداوة بعض الناس، وقد جعل من إقامته بالمدينة

[1]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص93؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص36.

[2]_ الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص388.

نموذجًا للزهد العملي والالتزام الديني مع المحافظة على صلته بالمجتمع العلمي المحلي، مما يعكس دور العلماء المغاربيين في تعزيز الحضـــور الروحي والعلمي بالمراكز الإســـلامية الكبرى في القرن التاسع الهجري[1].

رفض الرجوع إلى وطنه لتعلّقه وارتباطه بالحرم النبوي الشريف الذي يعده من أهم مراكز العلم بعد الحرم المكّي لتوفّر العدد الكبير منالعلماء والشيوخ المجاورين والمقيمين به، وهو يشكر الله ويحمده على حاله ويستغفره فيقول:" فوالله يا سيّدي ما العبد إلا في جلائل نعم الله الجسام..."[2].

2- في الدراساتِ الأدبيةِ:

حظيت المدينة المنوّرة أيضا بجملة من علماء اللّغة العربية الذين فضّلوا المجاورة بها دون مكّة فمن أبرز العلماء الذين عثرنا عليهم نذكر:

عبد الله بن عمر بن موسى البسكري (توفي سنة 765هـ/1363م): ترك عبد الله بن عمر بن موسى البسكري قصيدة طويلة كان يتغنّى بها على مدينة طيبة، فكان الحافظ المؤرّخ عبد الله بن محمد المطري(ت795هـ/1393م) كثيرا ما ينشدها ويحفظها لإعجابه بها:

دَارُ اَلْحَبِيبُ أَحَقُ بِأَنْ تَهَوَاْهَا ****وَتَحِنُ مِنْ طَرَبِ إِلْى ذِكْرَاَهَا

وَعَلى اَلْجُفُونْ مَتَىْ هَمِمت بِزَورَةٌ**** يَا اِبْنَ الكِرَاْمِ عَلْيَكَ أَنْ تَغَشَاْهَا

فَلَاأنتأَنْتَ إِذَاَ حَللتَ بِطَيبةٌ ****وَظَللتُ تَرتَعُ فِي ظِلَاَل رِبَاْهَاْ

مَغَنىَ اَلْجَمَاْلُ مِنْ اَلْخَوَاْطِر والتي**** سُلِبَتَ عُقُوُل اَلْعَاشِقِينْ حَلَاَهَا

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، أراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990، مج 04، ص20.

[2]- أبو عصيدة البجائي، المصدر السابق، ص19.

لا تَحَسَبَ المِسكَ اَلْزَكِي كَتُرَبِهَا****هَيْهَات أَين المِسَك مِنْ رِيَاْهَا

طَاْبَت فَاِنْ تَبَغِي لِطِيب يَاْ فَتِى****فَأَدَماَلْسَاْعْات لثم ثراهَا[1]

محمد بن مبارك القسنطيني(ت 868هـ/1464م) من علماء المغرب الأوسط، وُلد بمدينة قسنطينة وتلقى علومه على يد شيوخها، ارتحل إلى الحجاز واستقرّ في **المدينة المنورة**، حيث حظي بمحبة أهلها وتقديرهم، وقد أشار الحافظ **شمس الدين السخاوي** إلى ذلك بقوله: "...وحمده أهله بحيث رأيتهم كالمتفقين على ولايته، وبلغني عنه أحوال صالحة، مع تقدّمه في العلوم..."اهتمّ القسنطيني بتدريس الطلبة في **الفقه والعربية**، وعلى الرغم من أنه لم يترك مؤلفات علمية ملموسة، فقد كان يمنح الإجازة في اللغة العربية للطلبة المحليين والوافدين مؤكّدًا بذلك دوره في نقل المعرفة ومواصلة حلقات التعليم، وقد توفي بالمدينة المنورة، ودفن فيها، تاركًا أثرًا علميًا وأخلاقيًا في الوسط التعليمي الحجازي من خلال تدريسه واهتمامه بالطلبة[2].

محمد بن أحمد بن مسعود الجزائري (توفي سنة 872هـ/1467م) هو عالم من علماء المغرب الأوسط الذين شدّوا الرّحال إلى الحجاز قاصداً في ذلك المدينة المنوّرة للمجاورة، وهو عالم في النّحو فقيه أصولي، تلقّى تعليمه الأول بمدينة الجزائر ومنها انطلق في رحلته وحجّ، دخل في بداية رحلته إلى بلاد الروم؛ فأخذ عن شهاب الدين الكوراني وغيره، انتقل إلى الحجاز سنة 881هـ/1476م، فسكن المدينة المنوّرة، وهناك لقي السخاوي شخصيا وأخذ عنه قال فيه هذا الأخير:"...وهو إنسان فاضل مشارك راغب في المباحث والتحصيل"[3].

---

[1]- الحفناوي أبي القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم، تعريف الخلق برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2، ص23.

[2]- السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص295.

[3]- السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص216.

لم تبق المشاركة العلمية لعلماء المغرب الأوسط بالمدينة المنوّرة مقتصرة على علماءَ رجال، بل نجد أنّ هناك عالمات من النّساء كانت لهنّ إسهامات علمية، وما استطعنا رصده، العالمة:

صفيّة ابنة محمد بن محمد بن عمر بن عنقة أم الحياء البسكرية الأصل (توفيت سنة هـ845/م1441)تُعدّ صفيّة بنت محمد بن محمد بن عمر بن عنقة الملقّبة بأمّ الحياء، ذات الأصل البسكري، والمتوفاة سنة 845هـ/1441م، من أبرز عالمات المغرب الأوسط اللواتي كان لهنّ حضور علمي لافت في المشرق الإسلامي، ولاسيما ببلاد الحجاز، فقد استقرّ والدها بالمدينة المنوّرة، فنشأت صفيّة في بيئة علمية خصبة، مكّنَتها من التكوّن على أيدي كبار علماء عصرها، وقد ترجم لها الحافظ السخاوي، مشيرًا إلى نبوغها العلمي وتنوّع مشايخها، إذ قال عنها:"...حضرت على جدّها لأمّها جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن البنّاء نسخة أبي مسهر، وسمعت على ابن صديق"، وهو مايدلّ على عنايتها المبكّرة بسماع الحديث وضبط الرواية، كما تلقت صفيّة الإجازات العلمية عن عدد من أعلام المدينة المنوّرة، من أمثال: أبي هريرة، وابن الذهبي، والتنوخي، وابن أبي المجد، الأمر الذي أسهم في ترسيخ مكانتها بين أهل العلم، وجعلها مرجعًا موثوقًا في الرواية والتحديث. ولم يقتصر دورها على التلقّي فحسب، بل تجاوز ذلك إلى العطاء العلمي، حيث قامت بالتحديث والإجازة، وأخذ عنها عدد من العلماء، من أبرزهم: عالم مكة المكرّمة النجم بن فهد[1].

وهكذا يتّضح أنّ صفيّة بنت محمد بن عنقة مثّلت نموذجًا بارزًا للمرأة العالِمة في القرن التاسع الهجري، وأسهمت إسهامًا فعّالًا في نقل المعرفة الحديثية، وربطت بين تقاليد العلم في

[1]– عادل نويهض، المرجع السابق، ص23.

المغرب الأوسط والمراكز العلمية الكبرى في الحجاز، بما يعكس الدور الحيوي الذي اضطلعت به النساء العالمات في الحياة الفكرية الإسلامية[1].

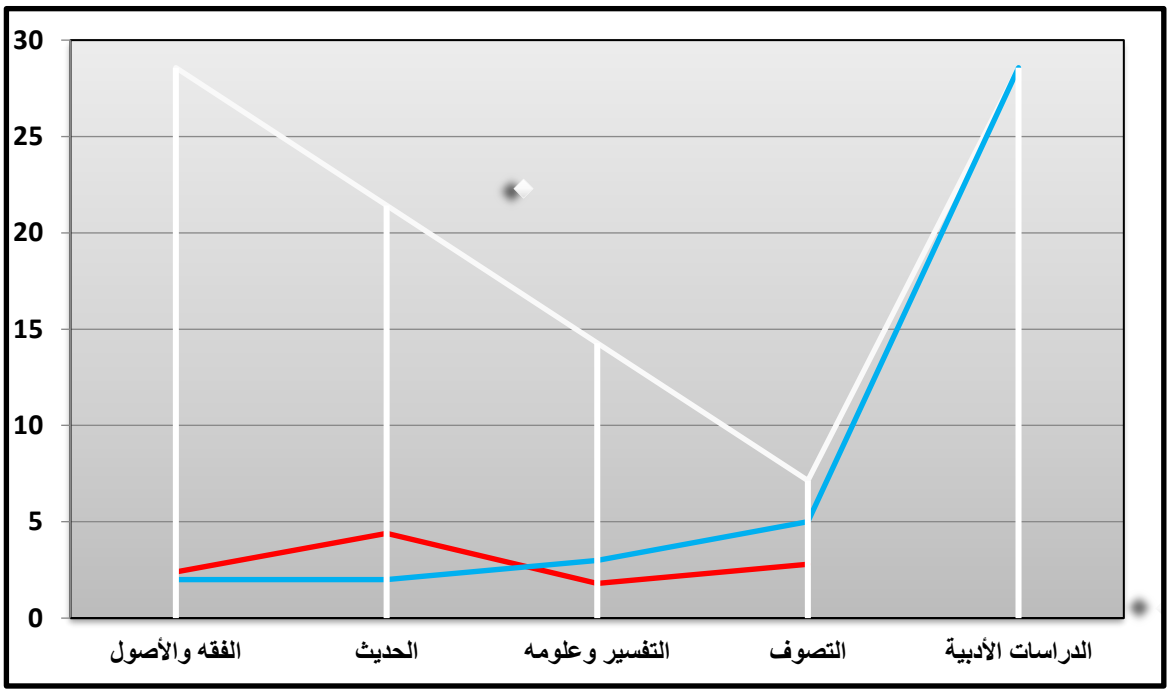

من خلال ما أحصي من علماء المغرب الأوسط، ومشاركتهم في بعض العلوم الأخرى، يتوضّح لدينا من خلال الرّسم البياني والجدول نسب مشاركتهم في الدراسات الأدبية، وهي على النّحو التالي:

اتجاهاتهم العلمية	نسب مشاركتهم
الفقه والأصول	%28.57
الحديث	%21.42
التفسير وعلومه	%14.28
التصوّف	%7.14
الدراسات الأدبية	%28.57

التعليقُ: من خلال المعطيات الموضّحة في الجدول، نرى أنّ علماء المغرب الأوسط كان إقبالهم كبيرا على العلوم النقلية، وهذا راجع إلى طبيعة أهل المغرب الذين عرفوا بميلهم

[1]–ابن فهد، معجم الشيوخ، ص 320؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص98.

الشديد إلى دراسة العلوم الدينية تحصيلا وتعليما، وكذلك اهتمام أهل الحجاز بهذا النوع من العلوم، لاسيما أنّ العلوم التي كانت تدور في مكة المكرمة والمدينة المنورة من حلقات العلم جلّها من العلوم الدينية المختلفة وأهم هذه العلوم: الفقه والحديث والتفسير والتصوف، وهذا ما هو مبين أعلاه، وقد قدرت نسبة العلوم التي تندرج تحت العلوم النقليةب71.41% وهي نسبة حسب تقديري كبيرة جدا.

في حين أنّ الأدب وعلوم اللغة العربية حازت على نسبة 28.75% وهي نسبة ضعيفة مقارنة بالعلوم النقلية، وهذا ليس بالأمر بالغريب؛ لأنّ الدين كان مرتبطا بنظام الحياة العامة للمجتمع سواء المغربي أو الحجازي، وهو المنظم لسلوك الأفراد، ولا ننسى أيضا أنّ حاجة العصر آنذاك كانت تتطلب من العلماء المزيد من الاجتهاد في العلوم الدينية لزيادة عدد المتعلمين وإيضاح المبهم لهم.

الخاتمةُ

تُعدّ هذه الدراسة محاولة علميّة لرصد وتحليل ظاهرة مجاورة علماء المغرب الأوسط لبلاد الحجاز خلال العصر الوسيط، من منطلق كونها إحدى أبرز صور التفاعل العلمي والحضاري داخل العالم الإسلامي، وقد سعت الدراسة –وفق الخطة المعتمدة– إلى الإحاطة بمختلف أبعاد هذه الظاهرة، من خلال تتبّع جذورها المفاهيميةوالجغرافية ورصد تطوّرها الزمني وتحليل إسهامات العلماء المجاورين في الحقلين العلمي والفكري، بما يسمح بتكوين رؤية شاملة عن مكانة علماء المغرب الأوسط ودورهم في الحياة العلمية بالحجاز.

أظهر الفصل التمهيدي أنّ ضبط مفهوميْ الحجاز والمجاورة، من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، يشكّل مدخلا منهجيا لا غنى عنه لفهم الظاهرة المدروسة، كما بيّن أنّ الحجاز، بما يحمله من مكانة دينية وعلمية، كان فضاء جاذبا للعلماء من مختلف أقاليم العالم الإسلامي، وفي مقدّمتهم علماء المغرب الأوسط، وقد ساعد تناول الجغرافية التاريخية لكلٍّ من الحجاز والمغرب الأوسط على تفسير مسارات الرحلة العلمية، وإبراز العوامل الطبيعية والبشرية التي أسهمت في توجيهها، كما كشفت دراسة مفهوم المجاورة عن كونها ممارسة علمية ودينية مركّبة لا تقتصر على الإقامة بجوار الحرمين الشريفين، بل تتجاوز ذلك إلى الانخراط الفعلي في الحركة العلمية: من تعليم وتأليف وإفادة واستفادة.

وأبرز الفصل الأول تطوّر حركة مجاورة علماء المغرب الأوسط لمكّة المكرّمة بين القرنين الثالث والتاسع الهجريين، حيث اتّضح وجود تفاوت ملحوظ في كثافة هذه الحركة عبر المراحل الزمنية المختلفة، فقد عرفت القرون الأولى (3–6هـ) حضورا محدودا نسبيا لعلماء المغرب الأوسط، وهو ما يمكن تفسيره بجملة من العوامل، من بينها: صعوبة المسالك والظروف السياسية وحداثة تشكّل المؤسّسات العلمية في بعض حواضر المغرب الأوسط،وفي المقابل، شهدت القرون السابع والثامن والتاسع الهجريّة ازدهارا ملحوظا في أعداد المجاورين وتنوّعا في مشاربهم العلمية، وهو ما عكس نضج الحركة العلمية بالمغرب الأوسطوتنامي

الوعي بأهمية الرحلة والمجاورة في استكمال التكوين العلمي، وقد أسهمت الدراسة الإحصائية في إبراز توزّع العلماء بحسب الحواضر والانتماءات الجغرافية، وكذا تخصّصاتهم العلمية، بما أتاح فهما أدقّ لطبيعة هذه الظاهرة.

أمّا الفصل الثاني، فقد خُصِّص لدراسة علماء المغرب الأوسط المجاورين بالمدينة المنوّرة مع التركيز على القرون السابع إلى التاسع الهجريّة، وهي الحقبة التي عرفت تزايدا في الإقبال على مجاورة طيبة، وقد أظهرت النتائج أنّ المدينة المنوّرة شكّلت مركزا علميا فاعلا، استقطب عددا معتبرا من العلماء المغاربة الذين أسهموا في تنشيط حلقات العلم ونشر المعارف الشرعية والمحافظة على استمرارية التقليد العلمي بالمسجد النبوي، كما أبرزت الدراسة المقارنة بين المجاورين بمكّة والمدينة وجود تمايز في طبيعة المجاورة، من حيث العدد، والتخصّصات وأماكن الإقامة، حيث حظيت مكّة المكرّمة بنسبة أعلى من المجاورين وتنوّع أكبر في العلوم، في حين تميّزت المدينة المنوّرة بخصوصية علمية وروحية انعكست على طبيعة الإنتاج العلمي ونمط الاشتغال المعرفي بها.

وفي الفصل الثالث، جرى الوقوف عند الجهود العلمية لعلماء المغرب الأوسط المجاورين ببلاد الحجاز، حيث تبيّن أنّ إسهاماتهم لم تقتصر على العلوم النقلية، بل شملت أيضًا العلوم العقلية والدراسات الأدبية؛ فقد كان لهم حضور بارز في مجالات الفقه، والحديث، والتفسير، والقراءات، وأسهموا في التدريس والتأليف والإفتاء، كما شاركوا في إثراء العلوم العقلية، سواء بمكّة المكرّمة أو بالمدينة المنوّرة، فضلا عن إسهاماتهم الأدبية التي عكست مستوى رفيعا من التكوين الثقافي واللغوي، وتؤكّد هذه المعطيات أنّ علماء المغرب الأوسط لم يكونوا مجرّد وافدين على الحجاز، بل شركاء فاعلين في بناء الحركة العلمية وإدامة زخمها.

وخلاصة القول، تكشف هذه الدراسة أنّ مجاورة علماء المغرب الأوسط لبلاد الحجاز خلال العصر الوسيط شكّلت ظاهرة علمية وحضارية ذات أثر بالغ في توحيد المجال الثقافي الإسلامي وتعزيز التواصل بين المشرق والمغرب، كما تؤكّد أنّ المجاورة أسهمت في نقل المعارف وتبادل الخبرات وتكريس الحجاز مركزا علميا عالميا شارك في بنائه علماء من مختلف الأقاليم الإسلامية، وفي مقدّمتهم علماء المغرب الأوسط، وتفتح هذه النتائج آفاقًا بحثية جديدة لدراسة شبكات التواصل العلمي في التاريخ الإسلامي وإعادة قراءة أدوار العلماء المغاربة في تشكيل المشهد العلمي بالحرمين الشريفين ضمن رؤية شمولية تستحضر البعد الحضاري والعلمي لهذه الظاهرة.

الفهارسُ العامةُ

أولًا: فهرسُ الآياتِ القرآنيةِ.

ثانيًا: فهرسُ الأحاديثِ النبويةِ.

ثالثًا: فهرسُ الأعلامِ.

رابعًا: فهرسُ الأماكنِ والبلدانِ.

فهرسُ الآياتِ القرآنيةِ

الصفحة	أ
ص27	" أَوَلَم يَرَواْ أَنَّا جَعَلنَا حَرَمًا ءَامِنا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِن حَولِهِم أَفَبِٱلبَٰطِلِ يُؤمِنُونَ وَبِنِعمَةِ ٱللَّهِيَكفُرُونَ ٦٧"**سورة العنكبوت**
ص27	إِنَّ أَوَّلَ بَيت وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاوَهُدىلِّلعَٰلَمِينَ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُ بَيِّنَٰت مَّقَامُ إِبرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلبَيتِ مَنِ ٱستَطَاع إِلَيهِ سَبِيلا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلعَٰلَمِينَ ٩٧**سورة آل عمران**
ص27	"إِذ قَالَ إِبرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجعَل هَٰذَا ٱلبَلَدَ ءَامِنا وَٱجنُبنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعبُدَٱلأَصنَامَ ٣٥**سورة ابراهيم**
	ر
ص19	رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسكَنتُ مِن بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ ٱلمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجعَل أَفِدَة مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهوِيٓ إِلَيهِم وَٱرزُقهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ ٣٧**سورة ابراهيم**
	ق
ص140	" قَالُواْ يَٰشُعَيبُ مَا نَفقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١"**سور هود**
	ل
ص21	" لئن لَّم يَنتَهِ ٱلمُنَٰفِقُون وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَض وَٱلمُرجِفُونَ فِي ٱلمَدِينَةِ لَنُغرِيَنَّكَ بِهِم ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلا ٦٠ "**سورة الاحزاب**
	و
ص140	"وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ **سورة طه**

"وإِذ قَالَ إبراهيم رَبِّ ٱجعَل هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنا وَٱرزُق أَهلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَن ءَامَنَ مِنهُم بِٱللَّهِ وَٱليَومِ ٱلأَٰخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا ثُمَّ أَضطَرُّهُإِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئسَ ٱلمَصِيرُ ١٢"**سورة البقرة**	**ص27**
"واذن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلحَجِّ يَأتُوك رِجَالا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِر يَأتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق٢٧لِيَشهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُم وَيَذكُرُ واْٱسمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّام مَّعلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلأَنعَٰمِ فَكُلُواْ مِنهَا وَأَطعِمُواْ ٱلبَآئِسَ ٱلفَقِيرَ ٢٨"**سورة الحج**	**ص94**

فهرسُ الأحاديثِ النبويةِ

أ	**الصفحة**
"مَاْ أَطْيَبَكِ مِنْ بَلد وَأَحبَّكِ إِلَيْ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مَنكِ مَاْ سَكَنْتُ غَيْرَكِ "	**ص27**
ح	
"الصلاةُ فِي مَسجِدِي هَذَاْ خَيرٌ مِنْ أَلْف صَلاةٍ فِيما سِوَاهُ إِلاَّ اَلْمَسجدَ اَلْحَرَاْم"	**ص19**
حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عندما قالت:"كَاْنَ رَسُولُ اللهِ يُجَاْوِرُ فِي اَلْعَشْر اَلْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَاْن "	**ص22**
د	
"اَللَّهُمَّ أَجْعَلْ بِاَلْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَاْ جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنْ اَلْبَرَكةِ"	**ص22**
ع	
"لَاْ تُشَد اَلْرِحَاْلِ إِلاْ إِلْى ثَلَاْثةِ مَساجدِ: المسَجدُ الْحَرامُ وَمَسَجِدي هَذَاْ والمسجدُ اَلْأَقصى"	**ص19**
ق	

"إِنَكِ لأحِبُ اَلْبِقَاعِ إِلَى اللهِ، وَإِنَكِ لأَحَبُ إِلَي "	ص26
م	
"مَاْ أَسَهْل اَلْعِبادَةُ بِمَكَةَ، النَظَرُإِلىّ البَيَتِ عِبادة"	ص26
ي	
"جَاْوَرْتُ بالحراْء شَهْراً، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَاْرِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ اَلْوادِي؛ فَنُودِيتُ؛ فَنَظَرتُ أَمَاْمِي وخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فلم أَرَأَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرَت فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ؛ فَرَفَعْتُ رَاْسِي، فَإِذَاْ هِوَ عَلْى اَلْعَرْش فِي اَلْهَوَاءِ يَعْنِي جِبرِيلَ عليه السَّلاَم؛ فَأَخَذتني رجفَةُ شَدِيدةُ، فَأْتَيْتُ خَدَيِجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرْونِي، دَثِّرونِي، فَصَبُّوا عَليَّ اَلْماءًا "	ص21
" نعم هي حرام، حرّمها الله ورسوله لا يختلي خلاها فمن فعل ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"	ص28
"وَاللهِ اِنَّكِ لَخَيْرُ اَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ اَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ وَلَوْلَا إني أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَاْ خَرَجْتُ "	ص27

فهرسُ الأعلامِ

أ	الصفحة
إبراهيم بن علي بن أغلب أبو إسحاق الخولاني المعروف بالزروالي.	82-115-152
إبراهيم بن علي بن فرحون.	82-115-152
إبراهيم بن محمد بن الرحمان بن يحي بن أحمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي.	87-118

إبراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري النحوي الأندلسي	118-44
إبراهيم بن يخلف عبد السلام أبو إسحاق المطامطي.	142
ابن أبي دليم.	142
ابن الدقيق.	75
ابن الفرس.	159
ابن القيم.	159-21-20
ابن صعد التلمساني.	26
ابن غلام الله القسنطيني	172
أبو الربيع بن سليمان.	152
أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني.	105
أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري المكي المالكي.	145
أبو القاسم الفاطمي	55
أبو القاسم بن بندار	43
أبو المطرف القانزعي	43
أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي	43

أبو جعفر بن الزبير	175
أبو حسن البنا	76
أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي	19
أبو عبد الله بن مرج الكحل	152
أبوعبد الله الشيعي	54-61
أبو عمر بن عات	152
أبو عمر المروزي	42
أبو محمد بن حزم	43
أبو محمد بن عيسى بنأصبغ	152
أبو مروان الشريشي	175
أبو يزيد بن مخلد بن كيداد الزناتي	60
أبو يقظان بن أفلح بن عبد الوهاب بن رستم	40
أحمد بن أحمد أبو عصيدة البجائي	160
أحمد بن إدريس البجائي	157

أحمد بن عبد القوي بن محمد شهاب الدين البجائي	85-154
أحمد بن عيسى بن عياش العوكلي القسنطيني	18
أحمد بن محمد المصمودي التاجوري	83
أحمد بن محمد المعروف بالخلوف	147
أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الذهلي الشيباني	21
أحمد بن محمد علي الزواوي	117-175
أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة التلمساني شهاب الدين أبو العباس	76
أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الله بن عبد الرحمان شهاب القسنطيني	86-117-163-170
ب	
البرهان المسروري	76
ت	
تميم محمد القروي	42
ج	

جعفر عبد الرحمان بن جعفر بن عثمان بن عبد الله السلمي الصقلي بجائي المولد	65-137
ح	
الحسن بن محمد بن علي الجزائري	65-140
حمزة بن حسن البجائي	88
س	
سعد الدين الإسفراييني	145
ش	
شمس الدين أحمد بن محمد البسكري	88
ص	
صفية ابنة محمد بن محمد بن عمر بن عنقة أم الحياء البسكرية	177
صلاح الدين الأيوبي	96
ع	
عبد الرحمان أبا القاسم بن عبد الله بن خالد الوهراني المعروف بابن الخراز	39-42-151
عبد الرحمان بن محمد بن فاضل بن عبد الرحمان زين الدين الجزائري	148-78

عبد السلام القدسي	172
عبد القوي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي أبو محمد البجائي	82-144
عبد الله بن برطلة أبو محمد بن موسى بن عميرة الأزدي	66
عبد الله المغربي البجائي	82
عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري	22
عبد الله بن عمر بن موسى البسكري	106-176
عبد الله بن منصور الوجدي التلمساني	84-146-147
عبد الله بن موسى بن عمر بن يونس الزواوي	75-106
عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر	21
عبد الله محمد بن عمر بن موسى أبو محمد البسكري	74
عبد المحسنأبو علي الوجهاني السواف	68
عبد الملك بن زياد الله بن علي أبو مروان الطبني	38-39-42-43
عبد الملك بن قريب عبد الملك الأصمعي	32-106

عبد الوهاب بن عبد القادر البجائي	163-170
عبيد الله المهدي	55
عثمان بن يوسف بن محمد بن علي الصنهاجي	137-160
علي بن فرغوس أبو الحسن التلمساني	76
علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله أبو الحسن البجائي	25
علي بن سلمان الكتامي	57
علي بن عبد الله بن محمد بن عبد النور التلمساني	25-75
علي بن عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي	18-106
علي بن نصر فاتح بن عبد الله أبو الحسن البجائي	25-66-141
عماد الدين عبد الرحمان بن محمد	77
عمر بن أحمد العمري البجائي	141
عمر بن سالم بن بدر السراج الوراقلي الجزائري المغربي	106
عيسى الزواوي	86
ق	
قاسم بن عبد الله الهربزي	172

قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى الهلالي القسنطيني	84
القاضي أبو الحسن بن أبي محمد	75
م	
محمد بن مختارأبو عبد الله الزواوي	66
محمد بن أحمد بن مسعود الجزائري	118-125-172-177
محمد بن إدريس المطلبي الشافعي	19
محمد بن خزر المغراوي	58
محمد بن عبد الرحمان أبو القاسم القسنطيني	85-147
محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي قطب الدين أبو الخير	84-161-169
محمد بن علي أبو عبد الله البجائي	118-125
محمد بن محمد بن أبي قاسم المشدالي أبو الفضل	18-155
محمد بن محمد بن ميمون أبي عبد الله الجزائري المعروف بابن الفخار	81-114-173
محمد بن مرزوق بنأحمد الخطيب	77-107-152-153-177
محمد بن مسعود بن صالح الزواوي	78-153

محمد بن موسى بن عائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوغي المالكي	115-171
محمد بن يحي بن مؤمن بن علي أبو عبد الله الزواوي الملقّب بالمنديل	77
مصالة بن حبوس	59-58
المعز لدين الله الفاطمي	62-63
المنصور لدين الله الفاطمي	62-63
ن	
نور الدين الزنكي	96
ي	
يحي الزواوي	170
يحي بن أحمد بن عبد السلام أبوزكرياء المعروف بالعلمي القسنطيني	88-149
يحي بن محمد التجيبي التلمساني	76-59
يوسف بن عبد الله بن عبد البر	43

فهرسُ الأماكنِ والبلدانِ

ا	الصفحة
أرض تميم	31
إفريقية	54-58-63-143-152
الأندلس	42-44-49-52-60-72-90-101-133-141-152-172-173
ب	
بجاية	63-65-66-67-68-69-71-78-80-90-100-101-109-120-131-132-133-141-142-143-144-151-155-159-163
بسكرة	80-90-109-113-120-134-174
البصرة	30-32-52
بغداد	41-52
بلاد السودان	101
بلاد فارس	51
بونة	100
ت	
تبوك	33
تلمسان	28-58-70-80-90-95-100-102-133-143-155-159
تنس	70
تهامة	30-31-32-33

توزر	**163**
تيهرت	**40-46-38-41**
ج	
جبال السروات	**32-33**
الجزائر	**90-120-132-134-153-160-172-175-177**
الجزيرة العربية	**32**
ح	
الحرار	**30**
خ	
خرسان	**51**
د	
دمشق	**19-33-36**
ز	
الزاب	**47-58-59-148**
س	
سجلماسة	**58**
السراة	**33-30**
ش	

الشام	**30-31-32-51-96-152**
ص	
صنعاء	**32-164-167**
ط	
الطائف	**31-82**
طبنة	**47-148-172**
طرابلس	**57-67-148-153**
طنجة	**100**
ع	
العذيب	**31**
العراق	**159**
العقبة	**133**
غ	
غدير واروا (برج الغدير)	**64**
الغور	**30-73-149**
ف	
فيد	**163**

ق	
القاهرة	161-173
قرطبة	52
قسنطينة	40-85-174
قفصة	163
القيروان	157
ك	
الكوفة	19-31-52
م	
المدينة المنورة	17-43-46-66-74-75-81-82-109-113-114-115-116-117-118-120-121-122-123-124-125-126-137-139-150-154-170-171-179
مصر	21-24-29-31-34-38-42-43-44-50-51-174
المغرب الأدنى	24-27
المغرب الأقصى	24-27-57-157
مكة المكرمة	17-29-36-66-102-104-105-106-113-114-115-150-151-152-153-157
مليانة	41-52-57-59
ن	
نجد	133-177-178

و	
واد مطماطة	**59**
وجدة	**146**
ورقلة	**106**
وهران	**39-46-83-90-100-134-157**
ي	
اليمامة	**31-32**
اليمن	**30-31-32-34-66-76-157**

المصادرُ والمراجعُ

1. القرآنُ الكريمُ.

أولًا: المصادرُ:

2. ابن الآبار محمد بن عبد الله أبو بكر القضـــاع، تهذيب(658هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السّلام الهراس، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1995م.

3. إدريس عماد الدين القرشـــي(ت872هـ/1468م)، عيون تهذيب- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب-، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، ج5، دار الغرب الإســـلامي، بيروت-لبنان، 1985.

4. الأزهري أبو منصـــور محمد بن أحمد(ت370هـ/981م)، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية لتأليف والترجمة، القاهرة- مصر، 1978.

5. الإسفراييني محمد بن محمد بن عمر (ت 418هـ/1027م)، صحيحأعمال وخلاصة الأفعال في تاريخ مكة والمدينة، ط1، مكتبة نزار باز، مكة المكرمة-الســـعودية، 1997.

6. الإصـــطخري أبو إســـحاق إبراهيم بن محمد الفارســـي(ت328هـ/957)، المســـالك والممالك، دار صاد، بيروت-لبنان، 2004.

7. البخاري أبي عبد الله محمد بن إســماعيل(ت256هـ/870م)، صـــحيح البخاري، دار ابن الكثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، 2002.

8. ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن موسى(ت587هـ/1183م)، الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، ج3، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1989.

9. البكري أبو عبد الله بن عبد لعزيز الأندلسي(ت487هـ/1094م)، المُغرِب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب، تحقيق: حماه الله ولد سالم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2013.

10. معجم من استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: مصطفى السقاء، ط1، ج1، (د.د.ن)، القاهرة-مصر، 1945.

11. البلاذري أبو العباس احمد بن يحي بن جابر البغدادي(ت279هـ/892م)، فتوح البلدان، نشره: صلاح الدين المنجد، شركة طبع الكتب العربية، (د.م.ن)، 1900.

12. التجيبي القاسم بن يوسف بن محمد بن علي (ت 730هـ/1329م)، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975.

13. الترمذي محمد بن عيسى(ت279هـ/892م)، سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل مكة، ج5، دار السلام لنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، 2000.

14. تقي الدين الفاسي المكي(ت832هـ/1429م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، ج2، دار مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1986.

15. ـــــــــــــ(ت832هـ/1429م)، الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية-مصر، 2001.

16. التنسي محمد بن عبد الله(ت899هـ/1494م)، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود أغا عياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

17. التنبكتيأحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، 1989، ج2.

18. ـــــــــــــــ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000.

19. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم عبد السلام(ت728هـ/1328م)، جامع المسائل، تحقيق: عبد العزيز شمس، ج5، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة-السعودية، 2008.

20. السيوطي جلال الدينعليمحمدمحمد أبو الفضل (ت911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سوريا، 2009.

21. ـــــــــــــــ، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، ج1، دار النوادر الكويتية، الكويت، 2010.

22. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن حسن علي(ت597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج17، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1992.

23. الجوهري إسماعيل حماد(ت393هـ/1003م)، الصحاح تاج اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، (د.ت.ن).

24. ابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت774هـ/1372م)، طبقات الفقهاء الشافعيين، باب: ترجمة الشافعي، تحقيق: أنور الباز، ج1، ط1، دار الوفاء، مصر، 2004.

25. ابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي(ت852هـ/1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد الضان، ج3، دائرة المجلس للمعارف العثمانية، الهند، 1997.

26. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب أرناؤوط، ج4، دار الرسالة العالمية، مصر، 2013.

27. ابن حزم أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1982.

28. الوزان حسن محمد الفاسي المعروف بليون (ت961هـ/1550م)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1958.

29. بن أبي يعلى الحسن محمد(ت562هـ/1131م)، طبقات الحنابلة، صححه: محمد حامد الفقي، ج1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة-مصر، 1952.

30. ابن حمّاد الصنهاجي(ت628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، دار الصحوة، القاهرة- مصر، (د، ت، ن).

31. الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ/1495م)، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، 1975.

32. ابن حوقل النصيبي أبي قاسم(ت367هـ/977م)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992.

33. ابن خردذابة أبا القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت280هـ/893م)، المسالك والممالك، دار صاد، بيروت-لبنان، (د.ت.ن).

34. ابن الخطيب أبو عبد الله السلماني(776هـ/1374م)، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1978.

35. ــــــــــــــ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال سانة، المكتبة الثقافية الدينية، الجزائر، 2002، ج3.

36. ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: سهيل زكار، ج7، دار الفكر، بيروت–لبنان، 2000.

37. ــــــــــــــ، المقدمة، اعتنى به: شيخ مصطفى المصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق–سوريا، 2012.

38. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت–لبنان، 1968.

39. الخوارزمي محمد بن إسحاق(ت151هـ/769م)، إثارة الغريب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تحقيق: مصطفى محمد الذهبي، ط1، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة–السعودية، 1998.

40. الداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد(ت945هـ/1538م)، طبقات المفسرين، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1983.

41. الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري(ت699هـ/1299م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلّق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق: إبراهيم شيوخ، ج1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة– مصر، 1968.

42. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد(ت670هـ/1271م)، طبقات مشائخ المغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر، (د.ت.ن).

43. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، ج6، ط3، مؤسسة الرسالة، الرياض-السعودية، 1985.

44. ابن رجب الحنبلي الدمشقي زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن(ت795هـ/1393م)، لطائف المعارف، تحقيق: عامر بن علي ياسين، ط1، دار ابن خزيمة، الرياض-السعودية، 2007.

45. ابن أبي زرع أبو الحسن(ت726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صحّحه وطبعه ونشره وترجمه: كارل يوجنتورنبرغ، دار الطباعة المدرسة أوسباله، بيروت-لبنان، (د.ت.ن).

46. أبو زكرياء يحي بن أبي بكر(ت471هـ/1078م)، سير الأئمة وإخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، حققه ووضع هوامشه: إسماعيل العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1982.

47. الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد(ت581هـ/1143م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998.

48. المراغي زين الدين أبو بكر(ت816هـ/1414م)، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة-السعودية، 1955.

49. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان(ت902هـ/1497م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تقديم: طه حسين، ج2، مطبعة دار النشر للثقافة، القاهرة-مصر، 1989.

50. ــــــــــــــــــــ، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت.ن).

51. ــــــــــــــ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار جيل، بيروت-لبنان، (د.ت، ن)، ج2.

52. السهروردي أبي الفتوح يحي بن حبش(ت586هـ/1155م)، ديوان سهروردي، صنعه وشرحه وأصلحه: كامل مصطفى الشيبي، المكتبة الوطنية، بغداد-العراق، 2005.

53. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م)، تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، ط1، دار الرشاد الحديثية، الدار البيضاء-المغرب، 2010.

54. الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر احمد(ت548م/1153م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، ط3، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1993.

55. ابن صاعد الأندلسي أبي القاسم صاعد بن أحمد(ت462هـ/1070م)، طبقات الأمم، تحقيق: حياة بوعلوان، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيوت-لبنان، 1985.

56. ابن صعد محمدالأنصاري التلمساني، روض النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بوعزيز، ط1، منشوراتANEP، الجزائر، 2002.

57. ابن الصغير المالكي(ت281هـ/895م)، أخبار الأئمة الرستميين، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1986.

58. الصـــفدي صـــلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرنأووط وتزكي مصـــطفى، ج6، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، 2000.

59. الضـبي أحمد بن عميرة(ت599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دارالقريب العلمية، بيروت –لبنان، 1997.

60. الطبري أبي العبـاس احمـد بن عبـد الله بن محمـد بن أبي بكر محـب الدين(ت694هـ/1295م)، القرى لقاصـــد أم القرى، ط2، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1993.

61. الونشريسي أحمد بن يحيى العباس(ت914هـ/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب في أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشـراف: محمد حجي، ج5، نشـر وزارة الأوقاف والشؤون الإسـلامية، الرباط–المغرب، دار الغرب الإسـلامي، بيروت–لبنان، 1981.

62. ابن عبـد الحكم عبـد الرحمن بن عبـد الله(ت271هـ/871م)، فتوح إفريقيـة والأنـدلس، تحقيق: عبد الله أنيس طبـاع، مكتبـة المـدرســـة ودار الكتـاب اللبنـاني، بيروت–لبنان، 1964.

63. ابن بطوطـة أبو عبد الله محمد(ت799هـ/1363م)، رحلـة ابن بطوطـة، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، (د.ت.ن).

64. الإدريســـي أبو عبد الله محمد(ت560هـ/1166م)، نزهة المشـــتاق في اختراق الأفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ت.ن).

65. العبدري محمد بن محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله (توفي نحو 700هـ/1300م)، الرّحلة، حقّقها وقدّم لها: علي إبراهيم كردي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، 2005.

66. ابن عذارى المراكشي (توفي بعد712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج1، مكتبة صاد، بيروت-لبنان، 1950.

67. أبو عصيدة أحمد بن أحمد البجائي(ت865هـ/1460م)، رسالة الغريب إلى الحبيب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1993.

68. الغبريني أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله(ت704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة في بجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت-لبنان، 1979.

69. ابنالكثير الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر الدمشقي(ت774هـ/1374م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، ج15، ط1، دار هجرة لطبع والنشر، القاهرة-مصر، 1998.

70. ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي(ت403هـ/1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: روجيه عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1997.

71. ابن الفوطي أبي الفضل عبد الرزاق البغدادي(ت723هـ/1323م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2003.

72. الفيروز أبادي(ت817هـ/1415م)، المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد جاسر، ط1، دار اليمامة، الرياض-السعودية، 1969.

73. الفيومي أحمد بن محمد بن علي(ت770هـ/1368م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، المكتبة العلمية، بيروت–لبنان، (د.ت.ن).

74. القاضـــي النعمان بن محمد(ت363هـ/974م)، افتتاح الدعوى، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1976.

75. القلصادي أبا الحسن علي(891هـ/1487م)، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1978.

76. ابن قنفـذ القســنطيني أحمـد بن حســن بن علي بن الخطيـب أبو العباس(ت810هـ/1407م)، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت– لبنان، 1983م.

77. ابن ماكولا علي بن الأمير الحافظ، في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأســماء والكُنى والأنســاب(ت457هـ/1082م)، ج5، دار الكتاب الإســلامي، (د.ب.ن)، (د.ت.ن).

78. ابن مرزوق التلمســاني أبي عبـد الله محمـد(ت842هـ/1432م)، المنـاقـب المرزوقية، تحقيق: سـلوى ألزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضـاء–المغرب، 1981.

79. ــــــــ، نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، تحقيق: عبد الحليم بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016.

80. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوسبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

81. ابن مريم التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد(ت1020هـ/1611م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (د.ت.ن).

82. مسلم بن الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت261هـ/875م)، صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1991.

83. المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب في غصن أندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صاد، بيروت-لبنان، 1968.

84. ــــــــــــــــ، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة-مصر، 1940.

85. المقريزي أبو العباس أحمد بن علي الحسيني البعلي(ت845هـ/1442م)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2001.

86. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي(ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ج2، دار المعارف، القاهرة-مصر، (د.ت.ن).

87. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأبصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، المطبعة الجامعية، الإسكندرية-مصر (د.ت.ن).

88. ابن النديم محمد إسحاق أبي الفرج(ت384هـ/994م)، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (د.ت.ن).

89. الهمذاني لسان الدين أحمد بن يعقوب الرومي(ت626هـ/1226م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض–السعودية، 1974.

90. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله الرومي(ت626هـ/1226م)، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت – لبنان، (د.ت.ن).

91. ـــــــــ، معجم الأدباء، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1991.

92. يحي ابن خلدون(ت788هـ/1379م)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق" عبد الحميد حاجيات، ج1، إصدار المكتبة الوطنية، الجزائر 1980.

93. اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن واضح(ت284هـ/897م)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ت.ن).

ثانيًا: المراجعُ:

94. ابن حفص عمر، مقدمة التوحيد، شرح: أبي العباس الشماخي وأبي سليمان التلاتي، ط02، الجزائر، 1973.

95. ابن خميس عبد الله بن محمد، المجاز في اليمامة والحجاز، دار اليمامة للبحث الترجمة والنشر، الرياض–السعودية، 1970.

96. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ج9، دار ابن الكثير، بيروت–لبنان، 2006.

97. أحمد طه جمال، مدينة فاس في العصر المرابطيوالموحّدي، دار الوفاء، الإسكندرية– مصر 2001.

98. الباروني أبي الربيع سليمان، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الاستقامة، تونس، 1938.

99. الباروني سليمان باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، لندن، 2005.

100. بركة حسن أحمد، المدينة المنورة في عصر دولة السلاطين المماليك الجراكسة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة–مصر، 2015.

101. بغداد يحي، الدولة والمجتمع في المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2003.

102. بكلي يحي، العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي، عالم المعرفة، الجزائر، 2017.

103. بكير بحاز إبراهيم وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر–قسم المغرب الإسلامي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 2000.

104. بكير محمد الفتحي، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.

105. السنيدي عبد العزيز، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، (د.د.ن)، السعودية، 2005.

106. بن عميرة محمد، فهيم، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

107. بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة–الجزائر، (د.ت.ن).

108. بيومي محمد علي فهيم، المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي، ط1، دار القاهرة، القاهرة– مصر، 2006.

109. تفادي محمد، إسهامات الآبلي في الحياة الفكرية حواضر المغرب، منشورات وزارة الشؤون الدينية تلمسان، تلمسان–الجزائر، 2011.

110. التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرنين الرابع الهجري العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003.

111. جمال الدين عبد الله، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر– مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 1991.

112. جيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ط2، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965، ج2.

113. الحربي إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد جاسر، ط2، دار اليمامة، الرياض–السعودية، 1981.

114. حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، منشورات الحضارة الإسلامية، بيروت–لبنان، 2009.

115. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر، (د.ت. ن).

116. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة–مصر، 1947.

117. ــــــــــ، عبيد الله المهدي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة–مصر، 1957.

118. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخزناجي، مصر، 1980.

119. الحفناوي محمد بن أبي القاسم الديسي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م.

120. خلاف عبد الوهاب، علم أصـول الفقه وخلاصـة تاريخ التشـريع الإسـلامي، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، 1996.

121. خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسـط مابين القرنين(6هـ–9هـ/م12–15م) دراسـة في دورها السـياسـي والحضـاري، الأمل لطباعة والنشـر، تيزي وزو–الجزائر، 2011.

122. خليفات عوض، النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضـية في شـمال إفريقيا في مرحلة الكتمان، (د.د.ن)، عمان الأردن، 1982.

123. خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، دار أحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، (د.ت.ن).

124. الدباغ مصطفى مراد، الجزيرة العربية، دار الطليعة، بيروت–لبنان، 1963، ج1.

125. ذانون طه عبد الواحد، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصـور من التواصـل الحضاري، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.

126. الذيب عيسـى وآخرون، الحواضـر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصـر الوسـيط، منشـورات المركز الوطني للدراسـات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2001.

127. روجي إدريس الهادي، الدولة الصـنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن12م، نقله إلى العربية: حمادي سـاحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1992.

128. الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضـى (ت 1205هـ/1790م)، تاج العروس في جواهر القاموس، اعتنى به ووضـع حواشـيه: عبد المنعم إبراهيم خليل ومحمد الحسين الزبيدي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ت.ن).

129. الزركلي خير الدين، الأعلام، ط15، ج2، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002.

130. الزهراني محمد مسفر الحسن، لمحات من بلاد زهران، ط1، نشر الرئاسة العامة لرعاية الشباب، السعودية، 1982.

131. سُحْلول الدين، معجم المصطلحات الحديثية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، 2016.

132. سرور جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، دمشق-سوريا، (د.ت.ن).

133. الشريفإبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، الإسكندرية-مصر، 1985.

134. الشكعة مصطفى، الأئمة الأربعة، ج4، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1991.

135. الصباغ محمد بن سالم، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة الاسدي، مكة المكرمة-السعودية، 2004.

136. الصلابي علي محمود، قيام الدولة الأيوبية، ط1، دار الكتاب الح، 1984القاهرة-مصر، 2008.

137. ــــــــــــ، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، ج2، ط1، دار ابن خلدون، القاهرة-مصر، 2007.

138. الطحان محمود، تيسير مصطلح الحديث، مركز الهدى للدراسة، الكويت، 1984.

139. الطمارمحمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشـــركة الوطنية للنشـــر والتوزيع، الجزائر، 1983.

140. العبادي أحمد مختار، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للتوزيع، بيروت–لبنان، 1995.

141. عبد الرزاق إســـماعيل، الخوارج في المغرب الإســـلامي"ليبيا، تونس، المغرب، موريطانيا"، مكتبة مدبولي، القاهرة–مصر، دار العودة، بيروت–لبنان، 1976.

142. عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في العصـــرين الأيوبي والمملوكي، تقديم: جيلالي حمزة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة– مصر، 2016.

143. عتر نور الدين، علومالقرآن الكريم، ط1، مطبعة الصباح، دمشق، 1993.

144. عجاج محمد، أصـــول الحديث علومه ومصـــطلحه، دار الفكر، بيروت– لبنان، 2006.

145. عراقي مصطفى، الرحلة إلى بلاد الأشواق شرح القصيدة الميمية للإمام ابن القيم الجوزية، مطبعة التقدم، القاهرة–مصر، 1987.

146. العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

147. عز الدين إبراهيم، الموحّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان.

148. علي جواد، المفصـــل في تاريخ العرب قبل الحجاز، (د.د.ن)، بيروت–لبنان، 1968، ج1.

149. العلي صالح، الحجاز في صدر الإسلام، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1990.

150. الغوري سـيد عبد الماجد، علم الرجال تعريفه وكتبه، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق- بيروت، 2007.

151. الغوري سـيّد عبد الماجد، معجم المصـطلحات الحديثية، ط1، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 2007.

152. فيلالي عبد العزيز، تلمسـان في العهد الزياني، موفم للنشـر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج1.

153. فيلالي عبد العزيز، مدينة قسـنطينة في العصـر الوسـيط، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 2002.

154. القادري إبراهيم، الإسـلام السري في المغرب العربي، ط1، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1995.

155. قادري بوتشـيش ابرهيم، المغرب والأندلس في عصـر المرابطين المجتمع، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1993.

156. القاسـمي عبد الفتاح، أعلام التصـوف في الجزائر من البدايات إلى غاية والحرب العالمية الأولى"دراسة تحليلية وإحصائية"، ط1، دار الجليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة-الجزائر، 2005.

157. قاضـي عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشـر المتواترة، ط1، مكتبة انس بن مالك، مكة المكرمة-السعودية، 2002.

158. القريان عبد المجيد، التعليم بتلمسـان في العهد الزياني، ط1، جسـور لنشـر والتوزيع، الجزائر، 2011.

159. القضـاة محمد أحمد مفلح وآخرون، مقدمات في علم القراءات، ط1، دار عمار لنشر والتوزيع، الأردن، 2001.

160. القنوجي رضا، جد العلوم الوشي المرموق في بيان أحوال العلوم، ج1، دار الكتب العلمية، دمشق-سوريا، 2007.

161. كحالة عمر رضا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مطبعة الترقي، دمشق-سوريا، 1925.

162. كربخال مرمول، إفريقيا، ترجمة: عماد حجي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، 1984.

163. الكساسبة رضا عبد الغني، النثر الفني في عصر الموحّدين وارتباطه بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، 2004.

164. لقبال موسى، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

165. ــــــــــــ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1975.

166. مجاني بوبة، المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، منشورات زمن، الرباط-المغرب، 2005.

167. مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصارات، الإسكندرية، 1991.

168. محمد إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب-حتى منتصف القرن 4هـ، دار الثقافة، المغرب، 1985.

169. محمد بن يوسف الزيان، دليل الحيران وأنيس الصهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: الشيخ المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

170. محمد جابر، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في أثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992.

171. محمد حسن، الإباضية نشأتها وعقائدها، ط1، دار النشر الأهلية، بيروت-لبنان، 2011.

172. محمدي محمد، المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة الحوليات التراث، العدد13، جامعة مستغانم، الجزائر، 2013.

173. محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى حقائق جديدة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 1991.

174. مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

175. المعلمي اليماني عبد الرّحمن بن يحيى، علم الرّجال وأهميته، حقّقها وعلّق عليها: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار الرّاية للنشر والتوزيع، (د.ت.ن).

176. المنوني حسين، حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1989.

177. مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، الجزائر، 1992، ج2.

178. الميلي مبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، ج2، مؤسسة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

179. نواب عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الفهد الوطنية للنشر والتوزيع، الرياض-السعودي، 1996.

180. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت-لبنان، 1980.

181. الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.

ثالثًا: المقالاتُ والملتقياتُ والندواتُ:

182. عيفة الحاج، الهجرة المغاربية إلى بلاد الشام ما بين القرنيين السادس والسابع الهجريين، مجلة الدراسات التاريخية، ع19، قسم التاريخ، جامعة أبو قاسم سعد الله، الجزائر 2015.

183. لامعة زكي، الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي، مجلة كمال التاريخي، ع/22، دار الناشري للأرشيف العالمي، (د.ب.ن)، 2013.

184. عطا لله الجمل شوقي، الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا سماتها وعوامل انتشارها، مجلة الدراسات الإفريقية، ع/08، تصدرها كلية الدراسات الأفريقية العليا، القاهرة-مصر، 1978.

185. بونابيطاهر، القبيلة والدولة بقلعة بني حماد، أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة المسيلة-الجزائر، 2007.

186. ـــــــــــــ، ظاهرة الاندماج الهلالي، في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط، مجلة الأدب والعلوم الإنســـانية، ع2011/12، كلية الأدب والعلوم الإنســـانية، قسنطينة–الجزائر.

187. بوسعد الطيب، دور علماء طبنة في العصور الإسلامية الوسطى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات الإسلامية، ع2008/3، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية.

188. مريقي عامر، عبد الرحمن إبراهيم، دور علماء المغرب الإســـلامي في بلاد الحجاز، مجلة الأحياء، ع28/جانفي2021.

189. بالأعرج عبد الرحمن، دور رحلات الحج في التواصـــل الثقافي بين المغرب والمشرق القرن8هـ/14م، مجلة الحكمة، مجلة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ع2016/08.

190. عطية عبد الرحمن، "الغايات والوسائل"، ضمن ندوة، طرق الحج جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب، القاهرة، 2002.

191. بن مختار شقرون عبد السلام، المناظرات والإرشادات في الرحلات المغاربية الحجازية، بحث مقدم، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، (د.ت.ن).

192. بوداود عبيد، تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية، مجلة عصور، ع6-7/ 2005.

193. بوكبو محمد، الرحلات الحجازية المغربية صلة وصل حضارية بين المغرب والجزيرة العربية، ضمن بحوث المؤتمر التواصل التاريخي العلمي بين الخليج العربية ودول المغرب العربي، دائرة الملك عبد عزيز، الرياض- السعودية.

194. بكور محمد، طريق الحج الصحراوي صلة وصل بين المغرب والمشرق، مجلة الأمل، العدد 48، الرباط- المغرب، 2016.

195. عبد الحكيم ياقوت، طبنة عبر التاريخ الشواهد الأثرية والأبحاث العلمية، مجلة الدراسات الأثرية، ع2018/1، جامعة الجزائر، الجزائر.

رابعاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

196. بوتشيش أمينة، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع، رسالة ماجستير، منشور جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 2008.

197. غربي بغداد، العلاقات التجارية للدولة الموحّدية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، 2015.

198. بونابي الطاهر، الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين(8-9هـ/14-15م)، أطروحة دكتورا في التاريخ الإسلامي، إشراف: عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009.

199. بالأعرج عبد الرحمان، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين 7-9 هـ/ 13-15 م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2013.

200. زواري أحمد عبد الرؤوف، العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7-9هـ/ 13-15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ، إشراف: البشير غانية، جامعة حمة لخضر، الوادي-الجزائر، 2020-2021.

201. عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005.

202. بوشـــقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوســـط خلال القرنين الثامن والتاســـع الهجريين (14-15)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ الوسيط، إشراف: لخضـر عبدلي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسـانية، قسـم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011م.

203. الرحمان موسـى، الأوراس في العصـر الوسـيط (من الفتح الإسـلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر)، رسالة ماجستير، إشراف: بوبة مجاني، جامعة منتوري- قسنطينة-الجزائر، 2007/2006.

204. الحازمي ناصر محمد علي، الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، رسالة لنيل درجة الماجسـتير، إشـراف: مرزين سـعيد مرزين عيسـري، قسـم الدراسـات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، السعودية، 2000.

فهرسُ المحتوياتِ

فهرسُ المحتوياتِ

مقدّمة..... 6

الفصل التمهيدي: الحجاز والمجاورة (المصطلحات والمفاهيم)

المبحثُ الأوّلُ: الجغرافيةُ التاريخيةُ لبلادِ الحجازِ..... 14

1-مفهومُ الحجازِ..... 14

2: جغرافيةُ بلادِ الحجازِ..... 17

3: الأهميةُ العلميةُ لبلادِ الحجازِ..... 18

المبحثُ الثانِي: المجاورةُ ودوافعها..... 20

-1 مفهومُ المُجَاورةِ..... 20

أ- لغةً..... 20

ب-اصطلاحًا..... 21

2- مدّةُ المجاورةِ..... 22

3- موقفُ العلماءِ من المجاورةِ..... 24

4-دوافعُ المجاورةِ..... 28

أ_ الدافعُ الدينِي والدافعُ العلمِي..... 29

ب-الدافعُ الاقتصادِي..... 30

ج-الدافعُ السياسِي..... 32

المبحث الثالث: مجالُ المغربِ الأوسطِ..... 35

1- التحديد الجغرافي..... 35

2- التحديد السياسي 37

الفصل الأول: علماءالمغرب الأوسط المجاورين بمكّة المكرّمة من القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجريين (من ق 9 إلى 15م)

المبحثُ الأوّلُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكةَ المكرمةِ خلالَ القرنِ 3-4-5هـ/9-10-11م..... 36

1- العلماءُ المجاورونَ لمكةَ المكرمةِ خلالَ القرونِ الثلاثةِ 36

2- أسبابُ تأخّرِ الرّحلةِ العلميةِ خلالَ القرونِ الثالثِ والرّابعِ والخامسِ والسادسِ هجرية (09-10- 11- 12م)..... 42

أ- الأسبابُ الطبيعيةُ..... 46

ب- الثوراتُ الخارجيةُ الإباضيةُ بالمغربِ الأوسطِ..... 52

المبحثُ الثانِي: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكةَ المكرمةِ خلالَ القرونِ السّابع والثامن والتاسع هجرية (13-14-15م)..... 63

1- المجموعةُ الأولَى: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ السّابعِ الهجريّ (13/12م). 64

أ- توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ 67

ب-أعمدةٌ بيانيةٌ توضّحُ توزيعَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ القرنِحسبَ الحواضرِ 67

ج- توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ 69

د- دائرةٌ نسبيةٌ توضّحُ عددَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ توجهاتِهم العلميةِ 69

2- المجموعةُ الثانيةُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ الثامنِ الهجريّ (14م). 72

أ - توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ 76

ب-توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ..... 77

3- المجموعةُ الثالثةُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ التاسعِ الهجريّ (15م). 79

أ-توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ 84

ب- دائرةٌ نسبيةٌ توضّحُ عددَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ الحواضرِ 85

ج- توزيعُ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ 86

د- دائرةٌ نسبيةٌ توضّحُ عددَ العلماءِ المجاورينَ خلالَ هذا القرنِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ 87

الفصل الثاني: علماء المغرب الأوسط المجاورين بالمدينة المنوّرة خلال القرون السّابع والثامن والتاسع هجريين(13-14-15م)

المبحثُ الأوّلُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بالمدينةِ المنوّرةِ خلالَ القرونِ 7-8-9 هـ/13-14-15م..... 101

1-المجموعةُ الأولَى: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنينِ السّابع والثامن الهجريين (13-14م)..... 101

أ- توزيعُ العلماءِ حسبَ الحواضرِ..... 104

ب- توزيعُ العلماءِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ..... 107

ج- توزيعُ العلماءِ حسبَ المجاورةِ ومدّتِها..... 108

2- المجموعةُ الثانيةُ: علماءُ المغربِ الأوسطِ خلالَ القرنِ التاسعِ الهجريّ (14م)..... 111

أ- توزيعُ العلماءِ حسبَ الحواضرِ..... 114

ب- توزيعُ العلماءِ حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ..... 116

ج- توزيعُ العلماءِ حسبَ المجاورةِ ومدّتِها..... 118

د- العلماءُ المجاورُون للمدينةِ المنوّرةِ من القرنِ السّابعِ إلى التاسعِ الهجري-دراسة مقارنة- 122

المبحثُ الثانِي: دراسةٌ مقارنةٌ بينَ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بالمدينةِ المنوّرةِ ومكّةَ المكرّمةِ خلالَ القرونِ السابعِ والثامنِ والتاسعِ الهجريّة (13–15م)..... 125

1– حسبَ مدنِ وحواضرِ المغربِ الأوسطِ..... 125

2– حسبَ علماءِ الحواضرِ العلميةِ..... 126

3– حسبَ اتجاهاتِهم العلميةِ..... 130

4– حسبَ مدّةِ المجاورةِ 132

الفصل الثالث: الجهود العلمية لعلماء المغرب الأوسط المجاورين ببلاد الحجاز

المبحثُ الأوّلُ: إسهاماتُ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ بمكةَ المكرمةَ في العلومِ النقليةِ والعقليةِ 140

1– إسهاماتُهم في العلومِ النقليةِ..... 140

أ– الفقهُ وأصولُهُ..... 140

ب– علمُ الحديثِ..... 156

ج– علمُ القراءاتِ..... 163

د– علمُ التفسيرِ 168

هـ– التصوّفُ 169

2– إسهاماتُهُم في العلومِ العقليةِ 171

أ– الحسابُ والمنطقُ 171

ب– في الأدبِ وعلومِهِ..... 174

ج– علمُ التاريخِ والسيّرِ..... 177

المبحثُ الثانِي: إسهاماتُ علماءِ المغربِ الأوسطِ المجاورينَ في العلومِ النقليةِ والعقليةِ بالمدينةِ المنورة 181
1-إسهاماتُهم في العلومِ النقليةِ:..... 181
أ- الفقهُ وأصولُه:..... 181
ب- علمُ الحديثِ:..... 185
ج- التفسيرُ وعلومُه:..... 187
د- التصوّفُ:..... 188
2- في الدراساتِ الأدبيةِ:..... 189
الخاتمةُ 194
الفهارسُ العامةُ..... 198
أولًا: فهرسُ الآياتِ القرأنيةِ..... 198
ثانيًا: فهرسُ الأحاديثِ النبويةِ..... 198
ثالثًا: فهرسُ الأعلامِ..... 198
رابعًا: فهرسُ الأماكنِ والبلدانِ..... 198
المصادرُ والمراجعُ..... 226
فهرسُ المحتويات..... 251

الملخّصُ باللغةِ العربيةِ:

تعالج أطروحة الدكتوراه الموسومة بعنوان: "**إسهامات علماء المغرب الأوسط المجاورين في الحياة العلمية في بلاد الحجاز**"موضوعا علميا وتاريخيا بالغ الأهمية يتمثل في تتبع مسار علماء المغرب الأوسط الذين شدّوا الرحال إلى الحجاز طيلة المرحلة الوسيطية، بقصد المجاورة العلمية في رحاب الحرمين الشريفين، وقد سعت الدراسة إلى رصد الدوافع المتنوعة لهؤلاء العلماء، وعلى رأسها أداء فريضة الحج وطلب العلم وتقلّد الوظائف الدينية، ثم صنّفتهم حسب تخصصاتهم ومواقعهم في الحجاز، كأئمة وخطباء ومدرسين، مبرزةحجم اندماجهم في البنية العلمية والاجتماعية هناك،واعتمدت الأطروحة على المنهج التاريخي التحليلي، مستندة إلى مصادر متنوعة من كتب التراجم والرحلات والمخطوطات، كاشفةعن أنماط التعليم السائدة حينها كالقراءة والسماع والإجازة، وأبانت عن إنتاج علمي معتبر لهؤلاء العلماء تمثّل في المؤلفات والرسائل التي أسهمت في إثراء الحياة الفكرية بالحجاز، ومن خلال تحليل أثرهم العلمي والمؤسسي، أظهرت الأطروحة كيف ساهم علماء المغرب الأوسط في ترسيخ جسور متينة من التفاعل الثقافي والعلمي بين المغرب الإسلامي والمشرق، مما يعكس أبعادًا حضارية عميقة للتواصل بين جناحيْ الأمة الإسلامية، في نموذج فريد من الهجرة العلمية والدعوية المستمرة عبر القرون.

الملخصُ باللغةِ الإنجليزيةِ:

The doctoral dissertation entitled: "The Contributions of Scholarsfrom the Central Maghreb Residing in the Scientific Life of theHijaz"addresses a highlysignificantcientific and historicaltopic،It traces the journey of scholars from the Central Maghreb who traveled to the Hijaz throughout the medieval period with the purpose of residing near the Two Holy Sanctuaries for scholarly pursuits. The study aimed to identify the various motivations of these scholars, chiefly performing the pilgrimage, seeking knowledge, and assuming religious duties. It then categorized them according to their fields of specialization and their roles in the Hijaz as imams, preachers, and teachers, highlighting their level of integration into the scientific and social fabric of the region.

The dissertation is based on a historical-analytical methodology and draws on diverse sources such as biographical dictionaries, travel accounts, and manuscripts. It reveals the prevalent modes of instruction at the time, including reading, auditory transmission, and certification (ijāzah). The research also uncovers a substantial scholarly output from these scholars, in the form of books and treatises that enriched the intellectual life of the Hijaz. Through analyzing their scientific and institutional impact, the thesis illustrates how scholars from the Central Maghreb contributed to establishing strong bridges of cultural and intellectual exchange between the Islamic Maghreb and the East. This reflects a profound civilizational dimension of communication between the two wings of the Muslim world, offering a unique model of continuous scholarly and missionary migration across the centuries.

الملخص

الملخّصُ باللغةِ الفرنسيةِ:

La thèse de doctoratintitulée: «Les contributions des savants du Maghreb central résidentsdans la vie scientifique du Hedjaz »traite d'un sujetscientifique et historiqued'unegrande importance. Elle retrace le parcours des savants du Maghreb central qui se sont rendus au Hedjaz durant toute la période médiévale, dans le but de s'établir à proximité des deux Lieux Saints pour des raisons scientifiques. L'étude s'est attachée à identifier les diverses motivations de ces savants, notamment l'accomplissement du pèlerinage, la quête du savoir et l'accès à des fonctions religieuses. Elle les a ensuite classés selon leurs spécialités et leurs fonctions à La Mecque et Médine, en tant qu'imams, prêcheurs et enseignants, mettant en lumière leur degré d'intégration dans la structure scientifique et sociale du Hedjaz.

La thèse repose sur une approche historique et analytique, et s'appuie sur des sources variées telles que des livres de biographies, des récits de voyage et des manuscrits. Elle met en évidence les méthodes d'enseignement prédominantes à l'époque, comme la lecture, l'audition et la transmission par autorisation (ijâza). L'étude révèle également une production scientifique notable de la part de ces savants, matérialisée par des ouvrages et des lettres ayant enrichi la vie intellectuelle du Hedjaz. À travers l'analyse de leur impact scientifique et institutionnel, la thèse démontre comment ces savants du Maghreb central ont contribué à l'établissement de solides passerelles de dialogue culturel et scientifique entre le Maghreb islamique et l'Orient, incarnant ainsi une dimension civilisationnelle profonde de la communication entre les deux pôles du monde musulman, dans un modèle unique de migration scientifique et religieuse à travers les siècles.